دعوة الحق

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر

العدد الثاني ـ السنة التاسعة ـ شعبان 1385 ـ ديسمبر 1965

في هذا العدد

تصدرها وزارة عموم الأوقاف والشؤون الاسلامية بالمملكة المغربية

ثمن العدد درهم واحد

مجلة تصدرها وزارة
عموم الأوقاف والشؤون
الإسلامية بالمملكة المغربية

دعوة الحق

العدد الثاني
السنة التاسعة
شعبان 1385
ديسمبر 1965
ثمن العدد
درهم واحد

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر

بيانات إدارية

تبعث المقالات بالعنوان التالي :
مجلة « دعوة الحق » ـ قسم التحرير ـ وزارة عموم الاوقاف
الرباط ـ المغرب . الهاتف 10 ـ 308

الاشتراك العادي عن سنة 10 دراهم ، والشرفي 30 درهما فأكثر .

السنة عشرة اعداد . لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة .

تدفع قيمة الاشتراك في حساب :
مجلة « دعوة الحق » رقم الحساب البريدي 55 ـ 485 ـ الرباط

Daouat El Hak compte chèque postal 485 - 55 à Rabat

او تبعث راسا في حوالة بالعنوان التالي :
مجلة « دعوة الحق » ـ قسم التوزيع ـ وزارة عموم الاوقاف ـ
الرباط ـ المغرب .

ترسل المجلة مجانا للمكتبات العامة ، والنوادي والهيئات الوطنية والثقافية والاجتماعية ، وذلك بناء على طلب خاص .

لا تلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر

المجلة مستعدة لنشر الاعلانات الثقافية .
في كل ما يتعلق بالاعلان يكتب الى :
« دعوة الحق » ـ قسم التوزيع ـ وزارة عموم الاوقاف ـ الرباط
تليفون 308.10 ـ 327.03 ـ الرباط

الافتتاحية

الرسالة الحضارية لمغرب اليوم

يجد القارىء الكريم في هذا العدد مقالين هامين لاستاذين فاضلين ، احدهما للدكتور شكري فيصل ، والثاني للاستاذ عبد المجيد بن جلون ، وقد التقيا حول موضوع كتبا فيه من غير اتفاق سابق بينهما ، هو موضوع الحضارة المغربية .

ولاشك ان الدكتور شكري فيصل قد بهره ما في مغربنا من تاريخ نابض ، وتراث خالد ، وادب حي ، وفكر ناضج ، وماض مشرق سطع في كل افق ، ونفذ الى كل ارض ، وحضارة لها خطورتها ومكانتها ، وتمتد جذورها في دنيا الماضي منذ ان اضطلع المغرب عبر القرون الطويلة بمسؤولياته ، فحمل مشكاة التقدم والحضارة ، وارتضى الاسلام دينا ينافح عنه ، ويدافع دونه ، ويبشر به في كل مكان ، حتى اشربت بشاشته القلوب ، واستوى عليها من غير سيف ودم مهراق .. فكتب ذلك المقال القيم الذي حمل عنوان : « رسالة المغرب الحضارية من الذي يضطلع بها ؟ وكيف ؟

والموضوع الذي كتبه الاستاذ عبد المجيد بن جلون حول « الحضارة المغربية» يعتب فيه على عدم الانسجام والمواءمة بين حضارتين : حضارة قديمة أصيلة يعتز المغرب بها ويتمسك بنجاعتها واصالتها . ولكنها في احتياج الى تطعيم وتقليم وتشذيب ، وحضارة متجددة حديثة ناتجة عن تطور الحياة ، وتغير الناس ، وتقلب الزمن ومتأثرة بمعطيات العصر الحاضر ، والتقدم العلمي .

ويرى الاستاذ انه تجب المواءمة بين الحضارتين حتى يتم التزاوج والتلاقح ، فالتلقيح يؤدي الى اخصاب قوي ، يحمل بذور البقاء والخلوود ، وبذلك يحصل النغم المهذب المنشود ، الذي لا ينبو عن الحس المرهف ، ولا يشذ عن الذوق السليم.

وما من شك في ان حضارتنا المغربية كانت على مر العصور حضارة قائمة على الاخذ والعطاء ، نابضة بالخلجات الانسانية ، هاتفة بالانضاء على المتناقضات فهي ليست حضارة مغلقة او متعصبة ، او جامدة وكافرة ، ولكنها حضارة زاخرة مفتحة النوافذ ، تستوعب كل الحضارات الاخرى .

والرسالة الحضارية لمغرب اليوم تنتظر في لهف وشوق ، من ينهض بها ، ويقدمها في اطباق شهية سائغة ، بعيدة عن كل حضارة واغلة ، لا تمت الينا بصلة او سبب .

فالفكر العربي انتابته هزات اثر اتصاله بالفكر الغربي ! واصابه انهيار خطير ازاء الحضارة الوافدة ، حتى بلغ في هذه السنين المتاخرة اقصى مداه ، وحتى اصبحنا نقلب بعض مجلاتنا العربية ، وصحفنا المحلية ، فنجد فيها تخبطات فكرية وادبية ، ودعوات تهدم ولا تبني ، بل تقضي على ما تبقى من قيم الخير والحق والجمال ، كالدعوات الفنية الغربية التي تبشر بحركة الساخطين ، والوجودية ، والرفض ، واللامنتمين ، واللامعقولين ، الى غير هذه الصرخات المجنونة التي تخدش صفاء العقل ، ونقاوة الضمير . كما نجد في هذه الجرائد والمجلات مقالات عن «بيير كورني» و« جي دي موبسان » وبازائه حديث عن «آرثر ميلر» يليه مقال عن « شكسبير» وآخر عن « أنوري دي بلزاك » او «البير كامو »

ولقد بات تفكيرنا مع حضارة الغرب ، وثقافة الغرب ، فلا نتحدث الا عن هذه الحضارة الواغلة التي كفر عقلها ، وكاننا لا نملك ادبا فاض بالبطولة ، وجاش بالعزة ، وعلما ادعى الى الفخر ، وابقى على الدهر ، وحضارة ذات شيات خاصة ، ونكهة عربية ، وطابع اسلامي خالص .

وليس معنى هذا اننا نلغي تعدد الثقافات المختلفة ، او نرفض تلك التي تحفل بالصراع الفكري والمذهبي الذي ساد العالم اليوم ، كلا ، فتعدد الثقافات وتنوعها ضروري لكل حضارة حديثة ، اذ ان اقتصار الحضارة على طعام واحد بدون عملية مزج بين التيارات العالمية ، معناه جدبها ، وافتقارها ، ثم احتضارها ، فالتعدد ، والتنويع ، والتلوين ، والاثراء ، معناه الحياة والخصب والتجدد والنماء والحركة الدافقة ..

كما اننا نترك حرية الاختيار لجميع الفئات المتطلعة للاخذ بشيء غير قليل من الثقافات التي تفد علينا من وراء البحار وخلف السهوب ، والعمل على درس العلوم والفنون الحديثة واساليبها ، اذ لا شيء اقتل للفكر والادب مثل ان يجد طريقه محفوفا بالموجهين والناصحين والفضوليين .

على ان لا يكون ذلك على حساب حضارتنا وثقافتنا ، وعقيدتنا ومقدساتنا ، اذ اننا امة حديثة العهد بالاستقلال ، لها كيانها المادي ، وشخصيتها الدولية المستقلة ، تشعر بكرامتها وعزتها وبتاريخها وحضارته ونضارته ..

فعلينا ان نفيد من الاثار الرائعة التي خلفها اجدادنا لنبرزها في حلة تناسب تقدم العصر ، ومقتضيات التطور ، ونعمل جادين على تقديمها ، ونستانف الرسالة الحضارية التي تنتظر منا بذل الجهود ، ومواصلة الدؤوب ، ومضاعفة النشاط لخلق انتاج اصيل ، وبحث منتج ، وتاليف مبتكر ، يعتز باصالته وطراوته حتى نربط الحاضر بالماضي وننشىء حضارة ذات طابع مغربي أصيل .

فعسى ان يجد مقال الاستاذ الدكتور شكري فيصل ، الذي طرح موضوعه للمناقشة والدرس استجابة من طرف العلماء والمثقفين الذين نرجو ان يعالجوه بموضوعية واخلاص وايمان .

دعوة الحق

دراسات اسلامية

حول تفسير سورة :

قل أعوذ برب الفلق

للأستاذ : محمد الطنجي

ان القرآن العظيم انزله الله هداية كاملة للبشرية لاعتقادها وسلوكها وأساسا لمعاملاتها ، وكل ذلك لا يتاتى الا اذا تدبر المومنون اياته لفهمها وللعمل بما فيها ، ويتأكد هذا التدبر لمعاني الايات الكريمة فى الصلاة لان التدبر هو الروح الذي يضفي على الصلاة الخشوع وبما أن المصلين كثيرا ما يقتصرون على قصار المفصل من سور القرآن فى صلاتهم ، فقد اخترت أن اتناول جوانب من تفسير سورة منها .

قال الله تعالى : « **بسم الله الرحمن الرحيم ، قل أعوذ برب الفلق من شر ما خلق ومن شر غاسق اذا وقب ، ومن شر النفاثات فى العقد ، ومن شر حاسد اذا حسد .** »

فأقول مستعينا بالله سبحانه لا يخفى أن الانسان فى هذه الحياة تنتابه عوامل سرور وغبطة واطمئنان ، كما يتعرض احيانا الى ما يخشى منه من الآفات والالآم ، أو تصيبه بالفعل بعض المصائب والاحزان ، ولا ملجأ للمومن الموحد ولا وزر ولا مستعاذ به الا الله وحده رب العالمين ، وخالق العوالم والناس أجمعين ، وهو سبحانه كافي عباده ، ينيل النعم ، ويزيل النقم ، ويكشف الضر ويجيب المضطر اذا دعاه ، والتجا اليه ، وتحصن به ، وذلك هو معنى التعوذ بالله .

وفى الاحتماء بالله رفع لمعنويات المضطر ، وتقوية له على تحمل المصاب كما يقوى بذلك رجاؤه فى كشف السوء الواقع ، وابعاد الضر المحتمل وقوعه ، والله سبحانه رؤوف بعباده ، يجعل لهم من كل ضيق فرجا وبعد شدة وعسر يسرا ومخرجا ، ويشرع لهم ادعية شرعية تعبدية جامعة لكل ما يطلب رفعه من ضرر حاصل وما يطلب بقاؤه بعيدا عن الداعي من الآفات والشرور المتوقعة ، حتى يبقى الملتجىء الى الله المتعوذ به فى حرز حصين ، والله سبحانه ينزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمومنين ، وفى هذا المعنى ورد فى الحديث عن عقبة رضي الله عنه ان رسول الله (ص) قال له الا اخبرك بافضل ما تعوذ به المتعوذون ؟ قلت : بلى . قال : قل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس .

والالمام بمعنى هذه السورة يتطلب بيان الاستعاذة والمستعاذ به والمستعاذ منه .

اما معنى الاستعاذة فلفظة عاذ ، وما تصرف منها تدل على التحرز والتحصن والنجاة ، وحقيقة معناها الهروب من شيء تخافه الى من يعصمك منه ، ولهذا يسمى المستعاذ به معاذا ، كما يسمى ملجأ ووزرا فمعنى اعوذ التجيء واعتصم واتحرز فالعائذ قد هرب من عدوه الذي يبغي هلاكه الى ربه ومالكه ، وفر اليه والقى نفسه بين يديه ، واعتصم به واستجار به قاله بعض المفسرين .

اما المستعاذ به فهو الله وحده الذي يعيذ المستعيذين ويعصمهم ويحفظهم من شر ما استعاذوا به من شره .

وفى تشريع التعلق والاستعاذة بالله وحده رد واي رد على من استعيذ فى كشف الكربات وفى الحفظ من متوقع الافات باي مخلوق من المخلوقات .

وقد اخبر الله فى كتابه ممن استعاذ بخلقه ، أن استعاذته زادته طغيانا ورهقا ، فقال حكاية عن مومني الجن : « وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادهم رهقا ، » والرهق فى كلام العرب : الاثم وغشيان المحارم وهذا الصنيع منهم لا تقره شريعة الحق ، وجاء فى التفسير حكاية عن صنيع هؤلاء ، انه كان الرجل فى الجاهلية اذا سافر فامسى فى أرض قفر

(اي خالية) قال أعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه ، فيبيت في أمن وجوار حتى يصبح . فانكر القرآن هذه الاستعاذة لان الله هو الحفيظ على كل شيء ، المدبر للامر كله ، كما انه الخالق المنفرد بايجاد جميع المخلوقات ، فهو كما وصف نفسه : (له الخلق والامر) وانما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون . فالامر الكوني هو كلمة الله لايجاد الاشياء وتسخيرها ، والرسول الاكرم عليه السلام انما يستعيذ بالله او بصفة من صفاته ، وقد صح في الحديث قول الرسول : أعوذ بكلمات الله التامة التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما خلق وذرأ وبرأ ، ومن شر ما نزل من السماء ، وما يعرج فيها ومن شر ما ذرا في الارض وما يخرج منها ، ومن شر فتن الليل والنهار ، ومن شر كل طارق الا طارقا يطرق بخير يا رحمن .

والاستعاذة وقعت في هذه السورة من اربعة امور شر المخلوقات التي لها شر عموما ، ثم شر الفاسق اذا وقب اي الليل اذا اقبل بظلمته ، ثم شر النفاثات في العقد وقد ارتضى الحافظ ابن القيم أن المراد بها الانفس الخبيثة والارواح الشريرة التي تسعى للتأثير بافعالها الخبيثة للاضرار بالغير ، ثم شر الحاسد اذا حسد ، وقوله اذا حسد يبين ان المحسود يتأذى من الحاسد اذا توجهت نفسه لحسده بالعمل .

اما الشر المستعاذ منه فهو الالام والاسباب المفضية اليها ، فالمعاصي والكفر والشرك وانواع الظلم هي شرور ، وان كان فيها لصاحبها نوع غرض ولذة ، وهذه النظرية من بعض المفسرين تساير نظرية من يقيس الخير بمقياس السعادة العامة ، ويجعل الشر ما قابل السعادة العامة ، فانواع الظلم والمعاصي والشرك والكفر لا تمت الى سعادة المجتمع بأي صلة ، وعليه فهي شرور دعا الاسلام الى الاستعاذة بالله من جميعها ، وهي شرور واردة على الانسان من خارج كالظلم بالسحر والحسد الى آخره ، بخلاف ما تضمنته سورة قل اعوذ برب الناس .

أيها المسلم ان هدي القرآن يدعوك الى الابتعاد عن الشر بنفسك والى عدم ملابسته بأي وجه ، ثم يرغبك في التحصن والاستعاذة بالله من جميع اشكاله والوانه .

ثم ينبغي أن يتنبه القارىء لهذه السورة ان الاستعاذة في سورة الفلق جاءت متعلقة باسم الرب لما في صفة الربوبية من معنى الايجاد والخلق والرعاية والحفظ ، وقد أضيف لفظ الرب الى الفلق الذي هو الصبح والنور ، قال الحافظ بن القيم في تفسير المعوذتين : «واعلم ان الخلق كله فلق وذلك ان فلقا فعل بمعنى مفعول كقبض وسلب وقنص بمعنى مقبوض ومسلوب ومقنوص ، والله عز وجل فالق الاصباح وفالق الحب والنوى وفالق الارض عن النبات ، والجبال عن العيون ، والسحاب عن المطر والارحام عن الاجنة ، والظلام عن الاصباح ويسمى الصبح المتصدع عن الظلمة فلقا » . فعلى هذا كانك قلت أعوذ برب هذه المخلوقات كلها وعلى التفسير الاول يكون المعنى انك تقول اعوذ برب النور من شر كل مخلوق ومن شر غاسق اذا وقب اي ليل اذا دخل واقبل بظلمته لان الظلمة تساعد فعل الشرور بخفية عن أعين المبصرين ، فتنطلق النفوس الخبيثة لفعل انواع الشرور ، ومن شر النفاثات في العقد أي الانفس الخبيثة والارواح الشريرة الساعية للاضرار بالغير بانواع المكر والخديعة والحيل من فعل الساحرين والمشعوذين الذين يخدعون الناس وياكلون اموالهم بالباطل ، ومن شر كل حاسد يتمنى زوال النعمة عن محسوده لتصير اليه .

أيها المسلم : انك بتدبرك لمعاني هذه السورة عند تلاوتها تكون بهذه الاستعاذة بالله وحده وبدعائه باخلاص تحصن نفسك ، وتسعى لحفظ نعم الله عليك ، وتقوي معنوياتك بالتعلق بربك ، وتطرد وساوس الشيطان عنك ، فتسكن روعاتك ، وتطمئن نفسك ، وتكون ممن قال الله تعالى فيهم : (الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ، الا بذكر الله تطمئن القلوب) صدق الله العظيم .

الرباط : محمد الطنجي

وحدة التفكير القرآني

للأستاذ: حسن الشيخ

منذ اربعة عشر قرنا والفكر الانساني يركز تحليلا دقيقا فى القرءان الكريم الكتاب الخالد المبين فتعطي نتائج هذا الحاصل توجيهات جديدة وتوحي باسرار لا طاقة للفكر باستكناهها ، فالى جانب بلاغة الاسلوب وسحر الكلمة وقوة التأثير ، نلاحظ وحدة الموضوع وشمولية الفكر واستكناه قضايا الانسان العقلية والنفسية والاجتماعية ، غير ان انصراف الفكر للدراسات القرءانية من جهات متعددة فوتت منعة دراسات شاملة تتناول القرءان من سائر الوجوه على اسس منهجية جديدة ، وان المحاولات التي قدمها كثير من المفكرين المعاصرين كالاستاذ الرافعي والسيد قطب وامين الخولي وغيرهم ينقصها وجود تركيز جديد مستمد من هذه المحاولات جميعها .

ولن ينتظر مني القارىء فى هذا الموضوع ان اقدم له تحليلات لم اسبق اليها وانما احاول ان اظهر مدى وحدة القرءان فى عرضه لقضايا انسانية تظهر لاول مرة وكأنها متناقضة .

ومن العبث ان اكرر ان للقرءان اسلوبه الخاص به ، فهو ليس بالشعر الذي يفيض تعبيرا عن احساسات النفس البشرية ، ولا بالنثر الخيالي الذي يجنح العاطفة لتحلق فى ابعاد خارجة عن محيطها ولا هو بالنثر الفلسفي المعتمد على التركيب والتحليل العلمي الجاف لمعضلات الانسان ، وانما هو كتاب تسحر الانسان كلماته الخفية التي تسمو به الى ايحاءات تحليلية عميقة لذات الانسان وموقعه فى الكون ومصيره النهائي ، فهو وحي يفيض من ينابيع عميقة لا تتغير ولا تتبدل لانها ينابيع الانسان فى صورته الطبيعية لا تتغير فى الزمان والمكان وانما تظل هي فى صورتها الحق ، ولا شك ان التحليل يتعرض لزوايا متعددة فى اعطاء الصورة الحقة لطبيعة الشيء المحلل « بالفتح » ولا يمكن ان تكون النظرة شمولية ما دامت ملتقطة من واجهة واحدة ، ولذلك كان تعدد الواجهات من اسباب تغيير الصورة واعطائها تحليلا جديدا ، ثم لا ننسى ان هذا التحليل لم يكن يعطي فى صورة نهائية وانما كان يعرض فى صور متقاطعة ليستطيع الذين تلقوه اول مرة ان يفهموه بوضوح تعليمي ، وتعلمي لضرورة تعلق الافكار والنظريات بالعقل الانساني والنفس الانسانية ليتحرك الانسان المؤمن فىعالم الانسانية مؤديا رسالته الكاملة ، وهل هناك افكار مجردة تنقصها العقول الانسانية المؤمنة بها لتدافع عنها وتناضل ؟

وان اختلاف الزوايا التي يحلل منها الواقع الانساني ، وتطور العرض هو الذي جعل كثيرا من المفكرين يرون اختلافا فى العرض والتفكير فى القرءان، وبذلك خيل لبعضهم ان فى القرءان تعارضا فى عرضه ، ولنأخذ مثلا لذلك بتحليل قضية حرية الانسان كمسؤول عن اعماله فى الحياة فمن الواضح ان الانسان مخلوق من المخلوقات العديدة ولكنه يمتاز عنها بانه انسان عاقل مفكر ومحتاج فى نفس الوقت الى الهداية فهو ليس مجرد مخلوق ضائع فى الكون كالطيور والحشرات ولكنه فى نفس الوقت لا يستطيع الحياة وحده بل يطلب الاعانة الدائمة ، هو اذن مخلوق عظيم بذاته شاعر بوجوده وهو فى نفس الوقت جزء من مجتمع انساني وجزء من الكون كله وليس ذرة زائدة فى الاثير بل ذرة ذات فعالية فى الكون .. ولذلك كان التناقض فى الانسان نفسه ، لانه كوحدة له راي وموقف وكجزء ليس له الا ان يستسلم للتيار الجارف ، ومن هنا كان حرا وكان مقيدا فاذا رايناه من زاوية « فرديته » وجدناه

يملك عقلا شاعرا ، اعني عقلا غير ءالي وغير ميكانيكي او الكترونـي ، ولكنه عقل يستطيع ان يجنح بنفسه بالخيالات والانطلاقات ، والمحاولات ، ولكنه في نفس الوقت لا يستطيع ان ينتصر على الجاذبية الارضية ولا عن التفتتات المادية الداخلية فيظل قويا يغالب والفناء، ومن هنا خيل للكثيرين ان هناك تناقضا قرءانيا في مسؤولية الانسان ، حيث ارادوا ان يضيقوا مفهوم الانسان ليساير نزعة عقلانية محدودة المنطق ، فارادوه ان يكون تارة حرا في تصرفاته وءاونة مقيدا في تصرفاته ، وكأني بهم ارادوا ان ينزلوا بالتفكير الالهامي الشمولي الى مرتبة التفكير الذاتي الشخصي الذي يتأثر حسب درجة الثقافة والوعي والامكانيات ، فيكون تارة ذا ارادة واخرى سليبا منها ، فالتناقض واقع في طبيعة الانسان ، وفي علاقته مع الكون ، والقرءان انما يصور هذا الترابط بين الانسان والكون وبين الانسان وذاته ، هذا التصوير الذي هو شرح للتناقض الواقع وليس تقريرا له .

فحرية الانسان موجودة فعلا في عالم كله قيود كالسجين تماما الذي يتحرك داخل حجرته، هو حر في حجرته مستعبد في الخارج ، ولا يخفى اثر هذا الازدواج من الوجهة الواقعية ، اذ ان الانسان الذي يحيا بطبيعته في طغيان لا يحد من قوته الا ايمانه بقيود ترد غلوائه كما ان الذي يعيش بطبيعة الضغط والاستكانة يجد في رحب المسؤولية والارادة ما يدفعه للعمل .

ان الانسان كمخلوق يستمد وجوده من خالقه ، تتوقف حياته على استمرار وجوده الروحي والجسدي المسوى من مادة نتجت من الطين ، ووهبه العقل الذي امتاز به عن سائر المخلوقات فاكسبه قدرة على تسيير نفسه واختيار طريقه .

وقد كان الانسان بالاعتماد على عقله يستطيع ان يدبر شؤونه في الحياة ولكنه ظل دائما بعيدا عن جوهر هذه الرسالة ، واحتاج الى علاقته بربه الذي كشف له طريق الهداية ، ومن هنا اصبح مسؤولا عن اخطائه ومن هنا ايضا بدات الخلافات المذهبية في تحديد حرية الانسان وجبريته ، وبالرجوع الى القرءان نرى ءايات تراه مخلوقا محدود الارادة او لا ارادة له بل هو مسير في الحياة ، ونرى ءايات اخرى تمنحه الكثير من الاختيار في توضيح سلوكه ، فهل هناك اختلاف في المدلول ، والواقع ان الاعتماد على منهج يوضح مدى عدم التضارب بين الآيات المختلفة يكشف ان الموضوع القرءاني حين يكون في معرض الحديث عن الله فان الايات تحدد من اختيار الانسان وتجعله تحت جبرية غير محدودة وبذلك يكون العمل الانساني سواء كان خيرا او شرا على السواء وان الهداية والايمان بيد الله .

اما حين يكون الموضوع القرءاني عن الانسان فتوضح الاية دائما حريته في الاختيار وتحمل مسؤوليته ويقتصر ارشاد الله للانسان عن طريق الوحي بواسطة الانبياء .

وقد حاول كثير من المفكرين المسلمين ان يوفقوا بين النظريتين المتضاربتين في القرءان الكريم فذهبت السلفية القديمة الاشعرية الى اثبات القدرة الالهية واعطاء الانسان كسبا اي اختيارا مما كسبته كل نفس بشرية ، فهي مقارنة القدرة للفعل بعد الكسب الانساني ، على ان السلفية الحديثة ترى ان الانسان يملك ارادته واختياره ولكن الحكم الاخير لاعماله مرده لله وحده ، فالانسان مسؤول عن خطيئته ، وعن اخطائه امام الله بعد تصرفه المباشر بقدرته ، وهذا راي الاستاذ الامام الذي حاول التوفيق بين المذاهب الاسلامية القديمة والفلسفة الحديثة التي لا تقر بالجبرية ، ولا يستبعد في هذا التفسير اعطاء واجهتين لارادة الانسان وحريته ، الاولى التي تظهر في فرديته ، والثانية التي تظهر في الجماعة الانسانية الكبرى .. ويظهر العمل الجبري الجماعي في التاريخ الانساني .

وبما ان الجماعة تحكمها قوانين اخلاقية صارمة تستطيع بسببها ان تستمر حية او تضعف وتتلاشى كما ان الفرد نفسه يخضع لقوانين اخلاقية اذا حافظ عليها استمر وجوده والا عرض نفسه للمتاعب والتلاشي ، فان التاريخ يظهر بوضوح نفس هذا القانون .

ولذلك فالقرءان الكريم يشير الى التاريخ كدليل على ارادة الله في الفرد والامم والشعوب ، حيث يظهر ارادة الله وقدرته المطلقة في التاريخ .

وقد يكون على القول بالاختيار والكسب ان يكون التاريخ مجموعة اختيارات البشر مضافة الى حكم الله وقدرته ثم ان الانسان كمجموعة من جهة اخرى مسؤول امام الله ، فكم من امة عصت فاستحقت شر الجزاء على ان هذه محاولات العقل البشري لمعرفة كنه التصرفات ، وهو دائما يعطي اوجه نظر فقط والا فالانسان في ارادته وقوته والتاريخ في حركته الدينية يتطوران تطويرا مشهودا يخضع لترتيبات

بعيدة عنا ان ندرك اسرارها، ولكننا نسجلها بعد نهايتها وكاننا نختزنها فى ذاكرتنا فقط .

ومن جهة اخرى يلاحظ ان ادراك الانسان يتبع قوة عقله ولذلك فاراؤه لا يمكن ان تخلو من تسببية وتبعا لذلك فاحكامه على مجريات الكون وشعوره بحريته لا يخرجه عن دائرة الارادة العليا المطلقة ، وبما ان للانسان تركيبا حيوانيا ماديا يسيطر عليه عقله وشعوره فهو متقسم بينهما ، وكم يخيل له انه يستطيع ان يفعل ويعمل ولكن طبيعته المادية تلزمه بفعل خاص فيشعر فى ذاته بالتناقض ، وتكون احكامه واراؤه تبعا لذلك متناقضة، فالانسان ليس حرا خالصا متحررا من ماديته والا لكان غير الانسان ، وليس مادة صرفة والا لكان غير انسان ، ولكنه مخلوق ذو طبيعة خاصة وخطأنا اننا لا ننظر من زاوية التاريخ بل نحكم على حرية الانسان فى حركته ، ولو تراجعنا قليلا لنحكم عليه وقد اتم رسالته فدرسنا عصره واثره فى عصره لوجدناه مجبورا ولقلنا بحتمية عمله وجبرية التاريخ .

فقد اوضح الفيلسوف «شوبنهور» ان الانسان ليس الا ارادة فعالة ولكنه عندما وضعه فى الكون لم يحرره من الارادة العليا ، ان جوهر العقل هو الفكر والادراك ، ولكن الارادة هي التي تقود العقل ، وكما عبر «سبينوزا» بان الرغبة فى جوهر الانسان والارادة هي الاساس قبل العقل ، بل انه كما يقول «شوبنهور» شخصية ارادية لا عقلية وجسمه الانسان ارادة مجسمة ولا شك ان هذه الارادة تعمل فى عالم محدود ضيق لا تتحرر منه ، ويعيد كل انسان قضيته كفرد من ذاته ، وفى جماعته لينتهي وقد ترك هذه الدنيا كما وجدها كما يقول فولتير ، ان الارادة الانسانية غير مختارة ويحاول العقل ان يفسر اعمالها بطريق الاختيار وعلى هذا فلا تناقض فى الايات القرءانية .

الحسن السائح

العلمـــاء الاغنيـــاء

قيل لبزرجمهر : « العلماء افضل ام الاغنياء » ؟

فقال العلماء .

فقيل له : فما بال العلماء بأبواب الاغنياء اكثر من الاغنياء بأبواب العلماء ؟

فقال : لمعرفة العلماء بفضل الغنى ، وجهل الاغنياء بفضل العلم .

ثقافة القرآن والثقافات العالمية

للأستاذ : محمد الحمداوي

- 3 -

كان البحث في المقالين السابقين مركزا على اقامة الدليل على بطلان دعوى ان (ثقافة القرآن ثقافة عالمية) في كل محمل من المحامل التي يمكن ان يحتملها اللفظ في دلالته الصحيحة ، وعلى المعنى الذي فسره به صاحبه ، في صلب مقاله المعنون به ، كما كان مركزا كذلك على ابطال ان يكون القرآن قد نقل او استعمل او اخذ من محاسن الثقافات السابقة ما يحسن اخذه واقتباسه ، فلم يكن بقي الآن مما سبق الوعد باتمامه الا نقض الجزئيات التي التمسها الاستاذ الوزاني من هنا وهناك كشواهد ودلائل على دعواه ، وكمعالم للاخذ والنقل والاقتباس الذي نسب للقرآن من غير القرآن ، وها هو ذا انجاز الوعد ان شاء الله .

1 ـ قرنية الاسكندر المقدوني .

مما ساقه الاستاذ الوزاني للتدليل على صلة الوصل القائمة بين ثقافة القرآن وثقافة يونان ان (ذا القرنين) الذي قص علينا القرآن قصته في صورة الكهف هو الاسكندر الاكبر المقدوني اليوناني الذي قال عنه انه « الملك الذي اثنى عليه الحق سبحانه بقوله : (انا مكنا له في الارض وآتيناه من كل شيء سببا) ، وقال عنه ان (القرآن نوه باعماله الاصلاحية في حماية الامم المتحضرة من جاهلية رحل الاسيويين المسمين في التوراة جوج وماجوج ، وفي القرآن ياجوج وماجوج » .

واعتقد ان حمل ذي القرنين الواردة قصته في القرآن على الاسكندر الاكبر المقدوني تفسير للقرآن داخل حدود اضيق من تلك الحدود التي اتهم الاستاذ الوزاني المفسرين قديمهم وحديثهم بانهم حصروا مفاهيم القرآن داخلها ، فليس هناك من دليل قطعي ـ ولا حتى ظني راجح ـ لا في الكتاب ولا في السنة ولا في اقوال رجال العلم بالحديث وبالتفسير والتاريخ قديمه وحديثه ما يجعلنا نجزم او نرجح بان المراد بذي القرنين في القرآن هو الاسكندر المقدوني ، بل ان ما ورد من النصوص الصحيحة الصريحة يؤكد عكس ما ادعى ، قال الحافظ بن كثير في تفسيره في معرض الطعن على الحديث الذي يعين ان المراد بذي القرنين الاسكندر المقدوني : « انه ضعيف وفيه نكارة ورفعه لا يصح » ، قال : وفيه من النكارة انه من الروم ، وانما الذي كان من الروم الاسكندر الثاني ، وهو ابن فليبس المقدوني اما الاول المذكور في القرآن فكان في زمن الخليل كما ذكره الازرقي (1) » ، وقال في تاريخه « البداية والنهاية » بعد ان ذكر اقوال العلماء فيمن هو المعنى بذي القرنين : « وانما نبهنا عليه لان كثيرا من الناس يعتقد انهما واحد ، وان المذكور في القرآن هو الذي كان ارسطو طاليس وزيره ، فيقع بذلك خطأ كبير ، وفساد عريض طويل كثير ، فان الاول كان عبدا صالحا وملكا عادلا ، وكان وزيره الخضر ، وكان نبيا على ما قررناه قبل هذا ، واما الثاني فكان مشركا وكان وزيره فيلسوفا ، فأين هذا من ذاك ؟ لا يستويان ولا يشتبهان الا على من لا يعرف حقائق الامور (2) » ، وقال ابن تيمية في كتاب « الرد على النصارى » : « وكان ارسطو قبل المسيح بنحو ثلاثمائة سنة وهو وزير الاسكندر بن فليبس اليوناني المقدوني الذي يؤرخ به التاريخ الرومي من اليهود والنصارى ، وكان هذا مشركا يعبد هو وقومه الاصنام ولم يكن يسمى ذا القرنين ولا هو ذا القرنين المذكور في القرآن (3) » وذكر ابو الفدا في تاريخه وهو يتكلم عن الاسكندر المقدوني انه « قد قيل انه انصرف من المشرق الى جهة الشمال وبنى السد على ياجوج وماجوج ، والصحيح ان الاسكندر المذكور لم يكن منه ذلك ، بل ذو القرنين الذي ذكره الله في القرآن ، وهو ملك قديم كان على زمن ابراهيم عليه السلام ... وقد استفاض على السنة الناس ان

1) « تفسير بن كثير » الجزء الثالث ص 100 .
2) « البداية والنهاية » الجزء الثاني ص 105 ـ 106 .
3) « الرد على النصارى » الجزء الاول ص 120 .

لقب الاسكندر المذكور ذو القرنين وهو ايضا غلط ، فان لفظة « ذو » لفظة عربية محضة ، وذو القرنين من القاب العرب ملوك اليمن (4) » ، وذكر ابن حجر في فتح الباري وجوهـا كثيرة لايضاح الفرق بين ذي القرنين والاسكندر المقدوني (5) .

هذه بعض نصوص لبعض علماء الاسلام من رجال العلـم بالكتاب والسنة والتفسير والتاريخ ، وهي نصوص صريحة في عدم ارادة الاسكندر المقدوني بذي القرنين في الآية الكريمة ، والمفسرون المحدثون مثل الشيخ جوهري طنطاوي والسيد قطب قد اتبعوا سنن السلف الاول في رفـض ان يكـون الاسكـندر المقدوني هو المراد في القرآن .

والمؤرخون الغربيون الذين حدثونـا عن الاسكندر في فتوحاته وحروبه وانتصاراتـه ، حدثونـا كذلك عن قسوتـه وغطرسته وغروره بالعظمة الى حد ادعاء الالوهية بما يؤيد ما جاء عنه في اقوال علماء المسلمين ، ويمنع ان يوصف بما وصف الله به عبده ذا القرنين من اوصاف الملوك العادلين المصلحين ، يقول « ولز » في كتابه (معالم تاريخ الانسانية) : « ان كتاب عصر الاسكندر والكتاب الذين عاشوا في زمن قريب من عصـره يؤكدون ما فطر عليه من غرور لا حد له (6) » ، ويقول وهاكم الاسكندر وهو انسان موهوب في كثير من النواحي مواهب اعلى مما لدى اي رجل في زمنه ، ولكنه مغرور متشكك في الناس ، نزق حاد العواطف ، وله ذهن احدثت امه به انحرافا وزيغا (7) » ، ومن قبل « ولز » تحدث « هارفي بورتنر » في كتابه « التاريـخ القديم » عن سوء اخلاق الاسكندر فقال : (... وهناك حدث امر هائل ظهر منه سوء خلق الاسكندر وتغير عوائده ، فانـه طغى وتجبر وجار عن سبيل الحق (8) » ، وتقول دائرة معارف نلسون : « ان اكبر اغلاطه كان افراطه في الشراب الذي قاده اكثـر من مـرة الـى ارتكـاب الافاعـل مثـل قتلـه الشنيـع لكليتوس) (9) (Cleitus)

ثم ان اي شريعة من شرائع الله لانبيائه السـابقين لم تجز لأي بشر ان يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله ، وما سبق لأحد من عباد الله الداعين الى دينه ، والباسطين لعدله على وجه الارض ، ان زعموا لانفسهم شيئا من ادعاء الألوهية حتى ولو كان ذلك على سبيل السياسة والاحتيال في حمل العامة على طاعتهم ، ولكن تاريخ الاسكندر قد اثبت انه ادعى الألوهية ، يقول « هارفي » : « ... فازداد الاسكندر تجبرا وافتخـارا حتى اراد ان يسجد له الناس كالاله ، وفعل ذلك بعض شيعتـه تملقا ، وابـى ذلـك بعض المقدونيين واليونان ولا سيمـا « كاليستنس » صاحب ارسطو طاليس ، فقال له : ان ذلك يغيـظ الآلهة ، فاغتاظ منه الاسكندر وقتله ، ولا يخفى ما في ذلك من الظلـــم (10) » .

ويقول « ولز » متحدثا عن طموح الاسكندر الى التأثير في كل من يحيط به من الناس : « فكم كان مريحا ومطمئنـا لنفسه ان يكتشف لتوه ليس مجرد مخلوق موفق وليس واحـدا من اولئك السوقة من القوم الاغريقيين المصريين ، وانما هو قديم ازلي وقدسي وابن الاله ، وهو الاله فرعون بن آمون رع (11) » وقد عنون « ديورنت » الفصل الذي تكلم فيه على موت الاسكندر بقوله : (موت الاله) وتحدث عن الرسالة التي بعث بها الاسكندر عام 324 قبل المسيح الى جميع الدول اليونانية يبلغها فيها انـه يرغب في ان يعترف به من ذلك الوقت ابنا « لزيوس » وصدعت معظم الدول بما امرت (12) ، ومهما تكن الدوافع السياسية التي حاول « ديورنت » ان يستنتجها من بعض النصوص التاريخيـة على انها كانت الاسباب الداعية الى ادعائه الالوهية ، فقد اثبت انه « بعد ان أله نفسه اصبح سريع الغضب متغطرسا وان سرعـة غضبه وغطرسته اخذتا تزدادان على مر الايام (13) » .

ثم ان عفة العبد الصالح ذي القرنين وزهده عن تناول ما في ايدي الناس مع قدرته على الاخذ حتى ولو كان ذلك مقابل ما طلب منه ان يقوم به من اصلاح ، واجابته لمن عرض عليـه المال بقوله « ما مكني فيه ربي خير » اقرب الى صفات الانبياء المرسلين ، مثل سليمان الذي رفض هدية بلقيس قائلا : « مـا اتاني الله خير مما اتاكم » وابعد ما تكون عن اوصاف الشـر والنهم المالي الذي وصف به التاريـخ الاسكندر المقدونـي . يقول « ولز » وهو يتحدث عن الجو الحقيقي لحيـاة الغازي : « انها تكشف عن ذهن مضطرب لا يعرف الاتزان ومغلق تماما

(4) « تاريخ ابي الفدا » الجزء الاول ص 45 .

(5) « فتح الباري » الجزء السادس ص 294 .

(6) « تاريخ معالم الانسانية » ج 2 ص 370 الترجمة العربية .

(7) المصدر نفسه ج 2 ص 355 .

(8) التاريخ القديم « لهارفي » ص 296 .

(9) Nelson's Encyclopaedia, Vol. 1 - Alexander Th Great

(10) التاريخ القديم « لهارفي » ص 296 .

(11) « معالم تاريخ الانسانية » ج 2 ص 362 .

(12) « قصة الحضارة ج 7 ص 533 الترجمة العربية .

(13) « قصة الحضارة ج 7 ص 533 و 534 الترجمة العربية .

في مغاثر الامور الشخصية ، ذهن لم تكن الامبراطورية لديه الا مجالا للمظهر الاناني ، ولا موارد العالم بأسرها الا مادة لنوبات من ذلك النوع من السماحة والكرم الذي يسرق الف رجل لكي ينتزع اعجاب فرد واحد مبهور (14) ، » .

هناك اذن اكثر من دليل من دلائل العلم وشواهد التاريخ على عدم صحة ان يكون القرآن الكريم قد عنى بذي القرنين الاسكندر المقدوني ، ومن ثم فقد بطل ان تكون قصة ذي القرنين في القرآن دليلا على وجود الصلة بين ثقافة القرآن ، وثقافة اليونان .

اما ما جاء في دائرة المعارف الاسلامية (15) في مادة الاسكندر حيث نسبت الى جميع (المشارقة) ما توجب الامانة العلمية ان ينسب الى اقلهم ، وحيث قصدت في الكلام على الروايات الضعيفة المجروحة ما اجملته في الروايات الصحيحة الثابتة ، فانما ذلك من نوع ما كان امير البيان الامير شكيب ارسلان (16) رحمه الله قد وصف به الكثير من هذه المعلمة من الجهل والتحريف ، او التزوير والتحريف ، في محاولة نسبة الخرافات والاباطيل الى الاسلام . ولعل ذلك من بعض ما اغرى لاستاذ الوزاني ان يقول في الاسكندر ما قال .

2 — اغريقية الخضر .

ذكر الاستاذ الوزاني الخضر الذي رحل موسى عليه السلام للاخذ عنه ، كشاهد من الشواهد على الصلة القائمة بين ثقافة القرآن وثقافة اليونان ، فقال : « فهذا موسى عاهل العبرانيين ومن اولي العزم من الرسل ، يرحل لملاقاة رجل اغريقي لياخذ عنه علما لا يعلمه » . وقد تتبعت جميع ما امكنني تتبعه من اقوال المفسرين والمؤرخين والنسابين ، فلم اجد منهم من ذكر ان الخضر صاحب موسى اغريقي يوناني ، فقد ذكر الطبري في تاريخه (17) وابن كثير في تاريخه (18) وابن حجر في « فتح الباري (19) » اكثر من قول في اسم الخضر ونسبه ما عدا انه يوناني ، ذكروا من الاقوال في نسبه انه مصري ، وانه فارسي، ولم يذكروا اي قول بانه يوناني ، وذكره ابن خلدون (20) في عمود نسب اهل بابل من العراقيين ، فلم يبق اذن من اغريقية الخضر الا انها وحي اوحته الى الاستاذ الوزاني فكرة تعريق القرآن وقصص القرآن وآيات القرآن في ثقافة الاغريق وفلسفتهم .

ومن العجيب جدا ان الاستاذ الوزاني الذي يرفض ان « يضع حدود مفاهيم القرآن الكريم حيث وصل بها المفسرون القدماء وكذلك المحدثون » والذي يتهم المفسرين بأنهم « فسروا القرآن داخل حدودهم الضيقة وايام عزلتهم عن بقية اطراف العالم » ، من العجيب ان يعمد الى ما اتى به بعض المتهافتين الخرافيين منهم ، فيثبته على انه تفسير ، وانه حق وصدق يثبت ان الانبياء اخذوا العلم عن فلاسفة الاغريق حين يقول متحدثا عن الاسكندر : « وكان له ابن خالة وهو الذي رحل الى الاخذ عنه موسى وفتاه يوشع بن نوح عليه السلام ، وقال الله في ذلك : (فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما) » .

والمعروف في تاريخ بني اسرائيل ان موسى عاش حوالي القرن الخامس عشر قبل المسيح ، ومن البديهي ان العبد الذي آتاه الله من عنده رحمة وعلما ، والذي قص القرآن قصة موسى عليه السلام لما رحل مع فتاه للاخذ عنه ، كان يعيش في زمن موسى ، وهو الذي كان اسمه (الخضر) كما ورد ذلك في الحديث الذي يرويه البخاري ، فمن هي هذه المرأة التي عاشت في القرن الخامس عشر قبل المسيح حيث ولدت ام الخضر ، ثم امتد بها العمر الى القرن الرابع قبل المسيح حيث ولدت « اولمبياس » ام الاسكندر فاصبح هذا ابن خالة لذاك ؟ ! وقد نبه الاستاذ عبد الوهاب النجار لهذا التهافت ، حين قال : « ويقول بعض المفسرين انه (الخضر والاسكندر المقدوني ابنا خالة ، وهو قول جاهل ، لان الاسكندر كان بعد موسى بأكثر من الف سنة ، فكيف يكون ابن خالته معلما لموسى رسول الله (21) » .

— يتبع

البيضاء : الاستاذ محمد الحمداوي

---

14) « معاليم تاريخ الانسانية ج 2 ص 372 الترجمة العربية .
15) الترجمة العربية المجلد الثاني ، مادة (الاسكندر) .
16) في مقال له ، كان قد نشره في احد اعداد مجلة « السلام» التي كان يصدرها بتطوان العلامة الاستاذ محمد داود .
17) « الطبري » ج 1 ص 256 .
18) « البداية والنهاية » ج 1 ص 326 .
19) « فتح الباري » ج 6 ص 335 — 336 .
20) « تاريخ ابن خلدون » ج 1 ص 108 ، طبعة سنة 1336 .
21) « قصص الانبياء » ص 257 ، الطبعة الاولى .

على هامش المؤتمرات الاسلامية :

في مجال التخطيط للقضية الاسلامية في العصر الحاضر

للأستاذ المهدي البرجالي

المؤتمرات الاسلامية امام الاوضاع الاسلامية الحاضرة – ما تبتغيه الحركة الاسلامية التي تعبر عنها هذه المؤتمرات ؟ الاهداف الاسلامية الحاضرة بين مضمونها السياسي والمضمون الثقافي والاتجاهات السائدة بهذا الصدد – الحركة الاسلامية امام اختيارات اساسية في التكنيك والاستهداف المرحلي والضرورات الناشئة عن ذلك .

عقد في اندونيسيا – اوائل هذه السنة – مؤتمر اسلامي ضم وفودا عديدة من شتى انحاء العالم وكان موضوع اجتماع هذه الوفود بالطبع دراسة الاوضاع الاسلامية الحاضرة على المستوى العالمي والنظر فيما تعكسه هذه الاوضاع من مشاكل وقضايا مختلفة ؛ وخلال حج هذه السنة انعقد جمع اسلامي ءاخر تفرعت عنه لجن مختلفة ، تعني بتمحيص مختلف القضايا التي تواجه المسلمين في العصر الحاضر من روحية وثقافية وسياسية ومادية وتنظيمية وغيرها ؛ وافضى المؤتمر كما هو معهود في مثل هذه الاحوال – الى اقرار توصيات يبدو من محتواها ان لها نصيبا من الاهمية في هذا الميدان ، وان كانت هذه الاهمية هي ذات قيمة نظرية لا غير ،لانه سيبقى من الضروري دائما تهيؤ امكانيات مادية وتنظيمية ضخمة ، ووجود اجواء نفسية وسياسية مناسبة ، وتضافر قوى عقلية خلاقة ، وتوافر تخطيطات دقيقة منسقة ، وتكاثف النوايا والعزائم والمبادرات لاجل الوصول في هذا الباب الى انجاز شيء اساسي له قيمة عملية وحقيقية ، ولا يعني هذا ان الندوات التي ما فتئت تعقد منذ عدة سنين ، حول موضوع القضايا الاسلامية الراهنة على مستوى العالم ، ومشاكل العمل من اجل تحقيق نوع من النهضة الاسلامية ذات ابعاد ثقافية وسياسية وتعاونية وغيرها – لا يعني ما تقدم ان هذه الندوات ذات القيمة النظرية المجردة لا تقدم شيئا في الامر ولا تؤخر ، وليس من شانها ان تثير قدرا من الاهتمام ، فالواقع ان المؤتمرات ذات الصبغة الاسلامية والتي توالى انعقادها خلال فترة طويلة ترجع الى ما قبل الحرب العالمية الاخيرة ، هذه المؤتمرات كان لها اثر ما في لفت الانظار الى وجود القضية الاسلامية ، وبلورة قدر من الاهتمام بها واستخلاص بعض النظريات والحقائق المتعلقة بها ، وابرازها نوعا ما بين القضايا العالمية الموجودة كقضية قائمة لها كيان حقيقي متميز ؛ ولها كذلك اطارات انسانية تعمل من اجلها وابعاد فكرية وثقافية وروحية تمتد عليها واعتبارات سياسية وايديولوجية ومادية تقوم عليها ، وكل هذا مما له اهمية خاصة ، لا يمكن ان تنكر ، بل اننا اذا نظرنا الامر من جانب ءاخر فسنجد ان هذه الاهتمامات الاسلامية التي تتمثل وجودها في المؤتمرات المتعاقبة والقرارات المتخذة ، والصحف الصادرة ، والنوايا المعلنة ، والعزائم المعقودة ، كل ذلك ناتج عن وجود نهضة اسلامية لاشك في وجودها ، وهو مظهر من مظاهر هذه النهضة التي لا تزال تتلمس سبيلها لكنها لم تستقر بعد من الناحية النظرية وحتى العملية ايضا ، على اساس

شامل ومكين ، فمن الناحية النظرية يمكن للمرء ان يلاحظ بسهولة مقدار النقص والهزال الذي تتميز به الحركة الاسلامية الحديثة ، ان افترضنا ان هناك حركة اسلامية ما بالمعنى العلمي والسياسي الدقيق الذي تعنيه هذه الكلمة ، فالنظريات السائدة بهذا الصدد لا يزال ينقصها الكثير لكي تصبح ذات مدلول علمي متكامل ومستوعب لمختلف القضايا والمشاكل الاساسية والهامشية التي يمكن ان تعرض بهذا الشان ، ولكي تصبح كذلك قابلة للتطبيق او على الاقل تحتوي على شيء يمكن القيام منه بمحاولات تطبيقية على نحو جدي وفعال نسبيا ، ان النظريات السائدة لم تزل تعتمد ـ الى عهد قريب يمكن ان يكون الان قد بدا ينتهي ـ تعتمد على جملة من العموميات والتجريدات التي تاخذ بالجانب العاطفي من القضية دون ان تمس الجوانب الاخرى الاقل عاطفية الا مسا قريبا لا يبرز معطيات المشاكل القائمة على ما ينبغي ان يكون عليه الابراز بل وتتفاضى احيانا عن هذه المشاكل ، وتكاد تنكر وجودها من اساسه ، ولا يفهم من هذا ان الجوانب العاطفية سواء في هذه القضية او غيرها ، هي مما لا لزوم لاستشعاره والحفاوة به او انها ضارة بسير القضية اكثر مما هي نافعة ، فالواقع ان اية قضية من القضايا ـ ولو في نطاق مادي صرف ـ لا تجدمحركها وباعث الدينامية فيها ، الا الحافز العاطفي بالاضافة الى الحوافز الاخرى من كل نوع ، فاحرى اذا كان الامر يتعلق بقضايا روحية في جانبها الكبير ، مثل قضية الانبعاث الانساني في اطار الحوافز الدينية التقدمية ، غير ان الذي يلحظه المرء بهذا الصدد هو وجوب النظر الى القضية من جميع جوانبها والاعداد لها بشتى الامكانيات المتوافرة ، بما في ذلك الامكانيات العاطفية والعقلية والوسائل الموضوعية التي ـ وان لم تتنكر للمبدا ـ الا انها لا تغفل الواقع القائم فاحرى ان تتعامى عنه او تسقطه من الحساب بتاتا ، انه من الضروري اذن لانجاح القضية استبطان مختلف جوانبها وخصائصها وظروف وجودها وتطورها ، وملابساتها ، ثم الاعداد لمواجهة مقتضياتها عن طريق التخطيط الدقيق المستوعب ، القائم على اساس النظر في مختلف الامكانيات المفترضة ، واستنفاذ شتى الاوجه الجائزة ، واستشفاف كل الافاق المترائية ، واستخلاص سبيل نظري للاعتقاد والتطبيق يتميز بوضوحه وموضوعيته وصرامته وذلك عامل من العوامل التي ساعدت كثيرا من الحركات الدنيوية على اصابة ما تنشده من اهداف ولو بصورة جزئية ،

اما في نطاق الحركة الاسلامية الحديثة ، فلا اخال انه قد تمت حتى السنوات الاخيرة ، عملية بلورة مبدئية وعقائدية من هذا القبيل ولذا فان الاساس النظري للحركة الاسلامية الراهنة ، ما انفك يسوده نوع من الغموض والتارجح الذي قد لا يبدو للبعض انه غموض وتارجح ، ولكن اذا كان الامر كذلك فكيف يعلل المرء وجود عدة ظواهر تلاحظ في اتجاهات الحركة الاسلامية الحديثة ، وتكاد تقعد بها عن القيام بعمل واضح المعالم ، محدود في اهدافه ووسائله ومن بين هذه الظواهر : 1» عدم وجود الاهتمامات الكافية عند كثير من الرواد بتحليل المشكلات والقضايا التي لابد ان يخلقها عمل تنظيمي جدي ، يستهدف بعث التضامن الاسلامي من جديد ، وربما يتجه بهذا التضامن الى نوع من الوحدة في العمل والفكر على مستوى ما من المستويات ، وليس المقصود بالتحليل مجرد تصور المشاكل واسبطانها ، بل المقصود بذلك اكثر ، ان يكون هذا التصور صحيح الاسس حقيقي المضمون ، مستوعبا لمختلف النقط المكتنة ، له قيمة عملية تخرج به عند الاقتضاء من نطاق التجريد الى مجال التحقيق .

2» عدم تبلور فكرة الانبعاث الاسلامي في مفاهيم قارة وقابلة لتكوين راي عام اسلامي يعتمد على اسس منطقية واسعة النطاق، وليس المراد بالراي العام مجرد وجود الفكرةمشاعةبين اكبر عددممكن من الناس فهذا شيء يمكن ان يكون حاصلا في قطر اسلامي او ءاخر ، وانما المراد ادق من ذلك ، هو ان يكون الراي العام هذا قادرا على هضم المقتضيات النظرية والعملية للفكرة ، وهذا مما يساهم في تكوين راي مشترك تدفعه حوافز عقلية ونفسانية مشاعة وهادفة لكن كل هذا لا يتاتى ما لم تكن مقتضيات الفكرة واضحة مبسطة تستطيع التسرب الى العقول العادية ، وخلق طاقة حماسية عميقة نتيجة لكل ذلك اضف الى هذا ان الراي العام في هذا الموطن ، لا يقصد به فقط مجرد حالة شيوع الفكرة على المستوى الشعبي في داخل قطر اسلامي معين اذ الواقع ان بعض الاقطار الاسلامية في ءاسيا يتوافر فيها راي عام نسبي من هذا النوع ، لكن المقصود هنا هو حالة راي عام اسلامي عالمي يستوعب الاقطار الاسلامية المختلفة ، ويكون من موحياته الاساسية الشعور العام بضرورة تحقيق تضامن اسلامي على مستوى اوسع بكثير من مستوى قطر واحد او عدد محدود جدا من الاقطار الواقعة في مناطق متجاورة .

3 ـ عدم وجود تخطيط معين تتفق الحركات الاسلامية على احتضانه والعمل به ، وذلك من اجل تحقيق الاهداف المشتركة بين هذه الحركات جميعا .

هذا من الناحية النظرية ، اما من حيث الاعتبارات الواقعية فيلاحظ اولا :

1 ـ انصراف النخبة في البلدان الاسلامية او الكثير منها على الاقل ـ انصرافها الى العمل السياسي والايديولوجي وغيره ضمن اطارات فكرية اخرى تستبعد الدين وما بسبيله كبوتقة لصهر التضامن والتعاون بين الاقطار العربية والاسلامية ، او انها على الاقل ـ تضع العامل الديني ـ بهذا الصدد ـ موضعا ثانويا او مرحليا فقط .

2 ـ تجمد « الحركة » الاسلامية وقصورها امام الحركات الاخرى ذات الاساس الدنيوي الصرف ، ولعل من بين عوامل هذا التجمد ـ ما ذكرناه من انشغال النخبة عن قضايا من هذا القبيل ، وتجمد الكثيرين من الموالين للفكرة الاسلامية ، عند حدود مفاهيم ضيقة ، ووسائل اتكالية ، ليست لها قابلية لاحداث تأثير جماهيري له اهمية واعتبار .

3 ـ ومما تفرع عن كل ذلك ـ على ما يظهر ـ عدم وجود سلطة دولية قوية تحتضن الحركة الاسلامية العالمية وتسخر لها الموارد والامكانيات المختلفة ، وتهيىء لها من سبل الرعاية ما تجده الحركات التوحيدية الاخرى ، التي تشق طريقها الان سواء على اساس اقتصادي ـ اجتماعي او على اساس فكري فلسفي او ما هو مزيج من هذا وذاك .

* * *

ماذا تبتغيه الحركة الاسلامية الحديثة «مفترضين وجود هذه الحركة بالفعل » من وراء العمل على بعث نهضة اسلامية في مستوى عالمي واسع ؟ هل المراد بهذا هو النتيجة المفترض حصولها من مجرد العمل على بعث الشعور الديني الحق ، في حظيرة المجتمعات المنتسبة الى الاسلام ، وتحقيق الظروف النفسية والعقلية والاجتماعية ، التي قد تساعد على تنمية هذا الشعور ، وتركيزه بصورة تجعله اداة ملائمة لتطور المسلمين دينيا ودنيويا ولكن في نطاق محلي مستقل اي في دائرة الانفصال الموجود بين الاقطار الاسلامية بعضها عن بعض ؟ ام المراد بالنهضة ـ في هذا المقام ـ معنى اوسع من ذلك بكثير بحيث يفهم منه امكانية الاتجاه الى تحقيق حالة من التلاقي والتعاون بين المجتمعات الدولية الاسلامية على ان يدفعها ذلك الى نوع من الاتحاد فيما بينها ، قد يؤول الى نوع من الانصهار ، يتمكن معه كل مجتمع من التفاعل البناء مع المجتمعات الاخرى المكونة لتكتل من هذا القبيل ؟

ان النظر في معطيات جوهرية من هذا القبيل ، هو ضروري ـ اساسا ـ للتثبت من نوع العمل الذي يتعين على حركة اسلامية عالمية ان تقوم به وتنجز شيئا حقيقيا من ورائه ، والحركة المفترضة هذه، توجد ، او بالاصح ـ يوجد القائمون عليها ـ محتارين احيانا بين جواذب المثالية التي تحدوهم روحيا الى الاخذ بالمبدا من اساسه « مبدا العمل من اجل الهدف الذي يتوخونه » وبين صراحة الواقع الذي يحمل في الغالب ، عددا غير محدود من المشاكل والمعرقلات والمتناقضات ، وهذه كلها لا تساهم فقط في تعقيد الوسائل التي يستخدمها العاملون من اجل تحقيق المبدا الذي يعملون له وتوريط الاهداف التي يرومونها بل ان المشاكل والمتناقضات الناتجة عن الحيرة بين الواقعية والمثالية ، ربما تقود احيانا الى الحيرة في تقييم حدود المبدا ذاته ، ولفه احيانا كثيرة في غلالة من الغموض والعشوائية يجعل القائمين على الحركة لا يتبينون جيدا مواطىء اقدامهم في ميدان التصور والعمل والانجاز الا بقدر لا يسمح بالحصول على شيء عملي وواضح وحاسم ، وبذور الحركة الاسلامية الحديثة تعاني بالفعل ـ ومنذ وجدت ـ من نتائج هذه الحيرة الواسعة بين اشعاعات المثالية من جهة ، واوعار الواقع من جهة اخرى ، لكن معاناة هذه الحيرة والاستمرار فيها هل هو شيء حتمي لا مناص منه ؟ اذا سلمنا بمضمون هذا السؤال فقد يعني ذلك ان المبدا نفسه ، ربما تكون الشقة بينه وبين الواقع شاسعة بحيث يستعصي في الاخير على التطبيق ، وتبقى مثالياته مجرد اناشيد يتغنى بها عند ارادة التعزي ومداورة النفس غير انك اذا القيت شيئا من هذا القبيل الى احد المقتنعين بفكرة العمل الاسلامي العالمي فانه سوف يجيبك ـ على اي احتمال ـ بانه لا يوجد من التناقض بين المثالية ومصاعب الواقع ما يحول حتميا ونهائيا دون تحقيق الفكرة والخلوص بها الى شيء عملي ، واذا ما اعدت الكرة واعترضت بان العصر عصر مادي وتقني لا تجد فيه الافكار المنبثقة عن الروحيات ، مجالا لرواج او توسع ، ستجاب ولاشك بان الناس مستعدون بطبيعتهم لكل شيء ، وان المادية اللاانسانية اذا كانت قد اجتاحت بالفعل كثيرا من المجتمعات بصورة او اخرى ، فان ذلك يعود ببساطة الى نشاط الماديين فكريا وتنظيميا وانجازا

لا الى استعدادات الناس الفطرية التي لا مرد لها ، ومعنى ذلك ان الافكار الاخرى الاقل اغراقا في الروح المادية — يمكن ان تجد مجالا صالحا للتأثير في الناس ، اذا كان ثمة من يعمل لها ، ويخلق باستمداد منها ، اوضاعا عملية وواضحة ، يجد فيها الناس تجاوبا مع حاجياتهم الانسانية كمخلوقات لها اجسام وعقول ومشاعر ، فالمشكلة اذن لا تكمن في سعة الفارق الموجود بين المثالية التي يحتويها المبدا والواقع الذي تعكسه حقائق الحياة العملية ، وانما المشكلة هي في درجة قدرتنا على تصور الامور في هذا المجال ، تصورا منطقيا وشاملا وجوهريا والعمل في نطاق ذلك ، بحيث لا يؤدي الامر الى التقوقع في نطاق المثاليات المجردة التي لا تستقيم مع الواقع ، ولا يستقيم بها الواقع ، او الى الخوف المبالغ فيه من هذا الواقع وبالتالي استعظام مصاعبه والفرار امامها ، مع ان واقع الحياة هو نتيجة اعمال الناس وتصرفاتهم ، ولهذا فان تعديله واعادة تكييفه هو ممكن مبدئيا بشرط توافر المقتضيات اللازمة للتأثير على مسالك الناس ومنازعهم .

فما هو اذن الخط الذي تسلكه الحركة الاسلامية المفترضة ؟ وهل تغلب عليه الجوانب المثالية والروحية ، ام تسوده اكثر الاعتبارات السياسية والدنيوية ؟

الحقيقة ان حركات البعث التي عرفتها كثير من الاوطان الاسلامية خلال هذا القرن وما قبله لم تكن تضع — دائما — فروقا كبيرة بين الاغراض الروحية والدنيوية التي تكمن وراء حركة البعث الديني هذه ، فعادة ما كان الرواد الاسلاميون الاول في مطلع هذا القرن وما قبله يرددون ان تأخر المسلمين يعود بالدرجة الاولى الى انحرافهم عن الخط السوي الذي رسمه لهم الدين ، وكانوا في الغالب يتغيأون من محاولتهم ايقاظ الشعور الديني وتعميقه وتنقيته مما علق به — كانوا يحاولون من وراء ذلك نفخ روح جديدة في المجتمع الاسلامي العالمي ، ينهض بها من غفوته ويصبح بذلك في مستوى القدرة على مواجهة المخاطر الذي تحيط به في عقيدته وسيادته ، ومكتسباته ومصايره ، بل ان الحركات الوطنية في البلاد الاسلامية — وهي حركات سياسية اكثر من اي شيء آخر في الغالب — هذه الحركات كانت كثيرا ما تمتزج بالاعتبارات الدينية بل وقد تتخذ الشعور الديني حافزا اساسيا تتذرع به وتعتمده كثيرا الى حد انها تجعله هدفا في حد ذاته كما وقع في سير الحركة الوطنية الاسلامية التي ادت الى استقلال الباكستان وان كانت هذه الحركة ذات اهداف سياسية ودنيوية كذلك .

وقد تتخذ بعض الحركات الوطنية الاخرى الشعور الديني نقطة انطلاق اولى نحو الاهداف الانبعاثية العامة ذات الصبغة السياسية والاجتماعية ومن امثلة ذلك : بدايات الحركة الوطنية الجزائرية ، وما يماثلها من الحركات التي سارت على نفس السبيل

اما الحركات الدينية التي ارتضت اقامة الحاجز سميكا شامخا بين اهدافها الدينية — كما تفهم هي الدين — وبين المجالات الايجابية في عالم الحياة العادية ، سواء على مستوى دولي او محلي ، فاشتد حرصها لذلك على الجانب الروحي الصرف ، وسارت شوطا بعيدا في احتقار الاعتبارات الاخرى ذات الصبغة السياسية والاجتماعية ، او اللامبالاة بها اطلاقا ، مثل هذه الحركات ، تقوقعت منذ نشأتها في اطار جد ضيق ، وانفصمت اسباب الاتصال بينها وبين الجماهير الاسلامية ، وان كان لها اتباع وانصار متفرقون هنا وهناك ، ومن الامثلة التي تساق بهذا الصدد ، مثال بعض الطرق الصوفية ، وخاصة منها تلك التي لم تقم حتى بمجرد التبشير على طريقتها الخاصة ، مثل ما قامت به بعض الطرق الاخرى من هذا القبيل .

ولم تغفل المؤتمرات الاسلامية عن هذه الحقيقة ، فقد دأبت على المزج في توصياتها بين الاعتبارات الروحية والدنيوية ، وهكذا تجدمن خلال هذه التوصيات اهتماما بقضايا التوجيه التي يجابهها العالم الاسلامي ، الى جانب المشاكل السياسية والنفسية التي يعانيها المسلمون الى المعضلات الاقتصادية والاجتماعية التي توجد هنا وهناك في انحاء الدنيا الاسلامية علاوة على المسائل الثقافية التي تأخذ كثيرا بالاهتمام ، لان لها — بحق — ارتباطا كبيرا باستمرار التماسك المبدئي بين البلدان الاسلامية وضمان استمرار الصلة قائمة بين الاجيال الاسلامية والتراث المكون للشخصية التاريخية الاسلامية .

من خلال الاهتمامات الشاملة او شبه الشاملة التي تثيرها المؤتمرات الاسلامية المتعاقبة والتي ترسم صورة عنها مجمل التوصيات والقرارات الصادرة عن مؤتمرات من هذا النوع من خلال ذلك كله ، يلاحظ المرء ان القضية الاسلامية توجد لها صورة لا بأس بها وربما متكاملة نوعا ما في اذهان المعنيين بهذه

القضية ، والمروجين لها بين القضايا ، فالرواد الاسلاميون لا ينقصهم الان كثيرا ، جانب الادراك لهذه القضية ، وما يكتنفها من ملابسات روحية ودنيوية متكاملة ، الا ان تصور الاشياء لا يكفي بالنسبة لمن يتصدى لامكانية تطبيق مقتضيات التصور هذا ، واعطاء نتيجته شكلا واقعيا خارج الذهن ، ولا يفهم من هذا ان القائمين على امر هذه المؤتمرات والعاملين في حظيرتها بفكرهم وتنظيماتهم ، كل هؤلاء لا يعنيهم من امر التطبيق شيء فالمفروض في هذه المؤتمرات — مبدئيا — انها لم تلتئم الا لتقوم بانجاز شيء عملي لصالح فكرة النهوض والتطور والتعاون ضمن اطار اسلامي تقدمي وبهذه الصفة بالذات الا ان المشاكل الواسعة التي تعيشها الفكرة الاسلامية يوميا في في حياة الناس وتصوراتهم وحياتهم الثقافية والروحية والاجتماعية ، كل هذا ليس من شانه ان يعمل على تعزيز نتائج المؤتمرات واللقاءات الايديولوجية من هذا النوع ، وذلك على النحو العملي الفعال الذي يؤمل مبدئيا ، واذا كان هناك من يلتمس له العذر ، فهم هؤلاء الرواد انفسهم ، لانهم يعملون حقا في ظروف جد معقدة ، ومن اجل التوصل الى اهداف تهم عالما واسعا ومتشعبا كالعالم الاسلامي الحاضر ، ان مظهر التشعب هذا لا يتجلى فقط في اختلاف النظم السياسية والاوضاع الاقتصادية والاجتماعية عند المسلمين هنا وهناك في شتى انحاء العالم ، ولكن الاهم من ذلك تباين الاحوال الفكرية والثقافية في البلدان الاسلامية وتفاوت حظوظ هؤلاء واولئك في فهم الاسلام ، والتاثر بمقتضياته تاثرا ايجابيا يمكن من العيش وتاكيد الذات في خضم الحياة التقنية المعاصرة، ضمن روح اسلامية صحيحة، والزاوية التي ينظر منها الى هذا الموضوع هي — كما راينا — ذات جانبين : الجانب السياسي والجانب الثقافي — الديني ، والحركة الاسلامية الحديثة تعني — كما نفترض — عناية متوازية بكل من الجانبين ، فهي تحاول ان يحدث نوع من التطور في المجتمعات الاسلامية يساعد على تحقيق نهضة فكرية دينية ، وتامل من جهة اخرى ان يخلق كذلك جو يسمح بوقوع بعض التضامن ان لم تكن اتحاد بين الاقطار الاسلامية في مجالات شتى من مجالات الحياة المعاصرة ، لكن ما الصعب في هذين الجانبين وما هو الابعد منهما عن المنال ؟ انه — ولا شك — النهضة الثقافية المتوازية في العالم الاسلامي ، بما لها من مضمون روحي وفكري عميق الاثر ، اما احتمال تحقق نوع من التضامن بين عدة اقطار اسلامية او معظمها ، يقوم في اساسه على الاعتبارات التقليدية في العالم الدولي من سياسية او اقتصادية او اجتماعية ، فهذه الامكانية جائزة نظريا — لان الكثير من الدول تحرص اليوم على استغلال اية رابطة بينها وبين دول اخرى وربما تنزع الى اختلاق هذه الرابطة لكي تكتسب مزيدا من الاصدقاء الذين يتضامنون معها ، او الزبناء الذين تتعامل معهم تجاريا ، او تستعين بهم ماليا او فنيا او غير ذلك ، غير ان مثل هذه الروابط المصلحية كثيرا ما تتعرض للتزعزع ، بل والتدهور احيانا ، اذا بدا ان هناك اي تناقض في المصالح والمنافع بين هذا الجانب او ذاك ، وقد يكون هذا التناقض سطحيا او وهميا ، ومع ذلك فانه يؤدي الى نسف كثير من العلاقات الدولية التي تطلب بناؤها عديدا من السنين ، ويقع هذا اكثر بالنسبة للدول المتخلفة التي كثيرا ما يتسرع البعض منها فيبني علاقات ذات صبغة مصيرية ولكن على اساس عواطف غير قارة ، او تحت تاثير مصالح عابرة لا غير ، ولهذا نلاحظ ان موازين العلاقة بين مثل هذه الدول تتعرض لتارجحات مستمرة لا يدرى لها اول من اخر .

وبعد فماذا يراد استنتاجه من كل هذا ؟ هل يعني انه من الافضل استبعاد الجوانب المصلحية والمنفعية في اية علاقات دولية على اساس اسلامي ممكن ؟ او انه من الضروري عكس ذلك اهمال العامل العاطفي مثل هذا الامر ، لانه يعتد به في بناء اشياء قارة وحاسمة ؟ ليس القصد اطلاق احكام حاسمة من هذا القبيل ، وخاصة بالنسبة لموضوع العلاقات الدولية التي تتشابك فيه العوامل ، وتتداخل القضايا الى حد كبير ، فالمصالح المتبادلة قاعدة صحيحة ، معمول بها في مضمار المعاملات الدولية ، ولهذا فليس من موجب لاستبعادها ، اذا ما كانت الرغبة تنحصر في مجرد العمل على خلق وضعية للتبادل والتعامل بين عدة اقطار اسلامية ، يمكن ان تكون متقاربة فيما بينها من مصالح ربما تزدهر بمرور الايام اذا وجدت ظروفا ملائمة ، وقد تضمر وتفقد موضوعها في حالة معاكسة ، ولا موجب كذلك لاستبعاد العواطف بل انه من اللازم توافرها في اية علاقة بين الافراد والجماعات ، وحتى في صور العلاقات الدولية حيث يلعب التشارك في الافكار والمشاعر دورا مهما في تحقيق جانب من هذه العلاقات وان كان لا يضمن بناء كل العلاقات من الاساس ، فهناك اذن امكانية محتملة ، لبناء علاقات ما بين عدة اقطار اسلامية ، على اساس المصالح

المتبادلة وغيرها ، ولكن ليس من الممكن – بالمقابل – ان يقال حينئذ ان الرابط الاسلامي هو الذي كون بالفعل مثل هذه العلاقات وانه المؤثر في استمرارها ونموها بمقدار ما هي تستمر وتنمو ، وفي حالة فشل تضامن او تفاهم من هذا القبيل فان ذلك لا يفهم ايضا ان الفكرة الاسلامية هي التي فشلت لانها لا تعتبر من حيث المبدا – عاملا مهما في هذا المقام ، ولم كل هذا ؟ لان الفكرة الاسلامية – بمفهومها التقدمي الايجابي – ليس لها وجود فعال الا بشكل ضيق الافق ومحدود جدا في الوطن الاسلامي الراهن ومن غير شك فان المندوبين الذين يمثلون مجتمعاتهم في المؤتمرات الاسلامية العالمية ، هم من بين الذين يلمون بهذه الحقيقة البسيطة ، التي يغني ذكرها عن تحليلها وافاضة القول حولها ، فالتخلف العام ، هو من مميزات الاقطار الاسلامية باعتبارها جزءا من العالم المتخلف او العالم الثالث ، والسياسة القومية لكل هذه الاقطار او معظمها بالاقل ، تنصب في الدرجة الاولى على مصاولة هذا التخلف ، واستئصاله من الاساس ان ان امكن ذلك ، لكن الحالة الخاصة للتخلف اي التخلف الديني،لاتلقى معالجتها مقدارالاهتمام التيتلقاه ضرورات المعالجة في الميادين الاخرى ، ولهذا فقد استمرت نسبة التخلف الاسلامي على ما هي عليه ، او زاد تركزها بصورة ملحوظة في اقطار اسلامية عديدة ، وان كانت هناك نهضة بهذا الشان لا بأس بها في اقطار اسلامية اخرى ، والاحوال والمواقف التي ربما ينشا عنها استمرار حالة التخلف هذه ، يمكن تصنيفها الى ثلاثة :

1 – موقف التواكل وهو ناشيء عن الاعتقاد بان الفكرة الاسلامية هي بخير ، وليس من ضرورة للعمل من اجلها لانها قائمة بالفعل ومتركزة في النفوس تركزا يجعل منها حقيقة جوهرية ثابتة .

2 – موقف اللامبالاة ، وهو ناجم عن حالة عدم الاهتمام بالامر مطلقا اما استخفافا به واما نتيجة للانغمار في مجالات اخرى قد تعتبر ذات اهمية اكثر .

3 – موقف المحاربة ، وهو يطبع بعض الاوضاع التي لا تاخذ الفصل بين الدين والدولة على انه عبارة فقط عن اتخاذ موقف سلبي نحو الدين بل ترى ان الامر يتجاوز ذلك الى درجة استبعاد التأثير الديني تماما عن الحياة العامة في البلاد سواء في الميدان الثقافي او المادي او غير ذلك ، ومناواة هذا التاثير ان اقتضى الحال في بعض الاحيان .

* * *

من السهل ان يلاحظ المرء حالة العزلة وضيق الافق الذي تعيش فيه حركة النهضة الاسلامية العالمية في الوقت الراهن؛ وعدم تفاعلهامع سواد الناس في العالم الاسلامي عكس ما عليه الحال بالنسبة لحركات اخرى كحركة القومية العربية مثلا ، وما استعرضناه سابقا من مواقف واحوال يمكن ان يؤكد بالفعل وجود هذه الظواهر السلبية في حياة الجماعة الاسلامية العالمية ، فالامر في هذا المجال يتطلب – كما تقدم – كثيرا من الوضوح في الفكرة والوسيلة والهدف وابرز المشاكل التي لابد ان تبرز من خلال هذا الوضوح اذا توافرت اسبابه هي مشكلة الفكرة الاسلامية نفسها : ما حقيقتها في اذهان الناس من الناحية السياسية والثقافية والاجتماعية ؟ ما ارتباطها باهتمامات الناس ونظرتهم الى الصلات فيما بينهم وعلاقتهم بالعالم والتيارات الكبرى التي تسود دنيانا المعاصرة ؟ ان الجمهور العادي في الاقطار الاسلامية لا يرى الامر من خلال هذه الزوايا مطلقا او حتى اذا ما رءاه فعلى نحو سطحي وتافه ، لا يرسم صورة ولا يلقي نورا ، ومن نتيجة ذلك ان الصلة بين الفكرة الدينية والمشاكل الحياتية تكاد تكون منعدمة عند الجمهرة الاسلامية بحيث نجد ان مسلمين يكادون لا يجدون رابطا مهما بين الانتساب للاسلام ، وضرورة اتخاذ موقف لصالح المطرودين من ارضهم في فلسطين ، كما اننا نجد كثيرا من الاقليات الاسلامية في اقطار ءاسيا وافريقيا ، وهي تعطي لمن يواطنها من المعتنقين للاديان الاخرى – نظرة سيئة عن المفهوم الاسلامي وما يتصل به من نواح فكرية واجتماعية وغيرها ، ومن البديهي ان ايراد مثل هذه الحقائق لا يقصد به اثارة جو دراماتيكي حول القضية الاسلامية او استنهاض الهمم لصالحها عن طريق الضغط على مصادر الانفعال عند الناس ، فلعلنا جميعا نلم بان جملة مشاكلنا المعقدة الراهنة لا تجد حلها عن طريق من هذا النوع ، غير ان الذي يعنينا من كل ما تقدم – لهو الاقتناع بان سبيل الانبعاث الاسلامي يتطلب جهودا فكرية وتنظيمية واسعة الافق ، وذلك على الصعيد المحلي اولا ، وقبل كل شيء ثم على مستوى الحركة التنسيقية العالمية بعد ذلك ، ويقوم هذا الاعتقاد على ملاحظة ان التفاهة التي تعيشها الفكرة الاسلامية في ذهن الجمهور او في عقول اغلبية المتعلمين غير المتخصصين في الاسلاميات – هذه الحالة من التفاهة لا تمكن في الواقع من تكوين راي عام اسلامي يستطيع ان يتجاوب شيئا ما مع

مقتضيات نهضة اسلامية صحيحة وحركة تضامن اسلامي على مستوى عالمي واسع .

والمعتقد ان هذه الحالة من التفاهة التي تسود جو الفكرة الاسلامية في اذهان الناس ، راجعة في جملة ما ترجع اليه من اسباب – الى الوسائل والمناهج التي تتبع في بث روح الاسلام بين الجمهور وتربية الاجيال الجديدة عليه ، ان القضية هنا ليست مسالة ثانوية او شبه ثانوية بل هي من الاهمية بدرجة رفيعة جدا ، وتظهر هذه الاهمية فيما يطرحه الموضوع هذا من مشكلات ، وما يعرضه من اختيارات لابد ان يبث فيها على مستوى العالم الاسلامي كله ، لكي نضمن عوامل نهضة اسلامية متكاملة متوازنة ، على النحو الذي يمكن ان يستهدفه الرواد مبدئيا ، وما هي هذه الاختيارات ؟ انها ذات نطاق فسيح جدا لانها تتعلق بنوع الطريق الذي يجب ان نسلكه لاستعادة هويتنا الحضارية واسترداد القدرة على تحمل الرسالة ، التي تطوق اعناق كافة المسلمين دون تحديد لجنس او زمان او مكان ومن بين الاختيارات المهمة من هذا القبيل :

1 – هل نختار سبيل التوقي من مؤثرات المذاهب والتيارات الفكرية الاجنبية ، فنوصد دونها الباب ، الا ما كان متفقا مع مقوماتنا وهويتنا الاساسية وهذا ما تفعله بعض المجتمعات الحديثة ، كالمجتمع السوفياتي ، والمجتمعات الشيوعية في الغالب ام نسلك سبيلا اكثر ليبرالية ، فنفتح الباب على مصراعيه امام تيارات الفكر العالمي بدون تحديد على غرار ما هو جار به العمل في العالم الراسمالي الغربي ، والاقطار الاخرى التي تتفق مع الغرب في بعض قيمه وتقاليده .

2 – هل نكتفي بالدفاع عن الاسلام امام التيارات الفكرية التي تناقضه ، بحيث يبقى كل همنا الا تتاثر الناشئة بمؤثرات هذه التيارات على نحو يفقدها الصلة بتراثها الحضاري وقيمها الدينية ، ام نتجه ابعد من ذلك ، فنحاول نشر قيمنا عبر العالم ، وتقريبها الى افهام الشعوب ومشاعرها مثل ما يفعله كل متحمل لدعوة او مسؤول عن اداء رسالة .

3 – هل من الحكمة ان نبقى متمسكين في هذا المجال باساليبنا العادية في الوعظ والارشاد ، أم من الضروري بهذا الصدد اعتماد تقنية دقيقة ، تقوم على اساس علمي وواقعي ما امكن ، وان كان ذلك ليس معناه تجريد الروح الدينية في اذهان الناس من محتواها او اطارها الروحي الذي يقوم عليه جانب مهم من جوانب الفكر الديني في اساسه ، وما فتئت الكاثوليكية الحديثة تستمد على بعض المناهج من هذا القبيل ، القائمة على مواجهة حقائق العالم ومشكلاته الفكرية بوسائل اكثر علمية وواقعية كما يظهر ذلك في الصحافة الكاثوليكية الصادرة بفرنسا ، وبعض الاقطار الاخرى في الغرب . ولعله لا يوجد من اختلاف في ان الدعوة الاسلامية الاكثر واقعية وموضوعية من اي دين اخر ، هي في حاجة الى تقنية منظمة من هذا القبيل للتعريف بها وتقريبها لافهامنا نحن وافهام العالم ، واذا ما اغضينا عن المؤتمرات الاسلامية التي غلبت عليها الصبغة السياسية اكثر من غيرها ، فاننا نجد مؤتمرات اسلامية اخرى كان للجانب الثقافي والتربوي فيها حظ اوفر ، ومن بينها مؤتمر «لاهور» الذي انعقد خلال سنة 1958 ودرست خلاله مواضيع مهمة جدا كالموقف الاسلامي امام التطورات الفكرية في العالم المعاصر ، وما يمكن ان يساهم به الاسلام في اقرار السلام بالعالم ، والاسلام وصلاته بالاديان الاخرى ، والاسهام الاسلامي في تطور الثقافة والحضارة بالغرب والمفاهيم الاسلامية في موضوع الدولة وغير ذلك مما كان اساسا لدراسات اسلامية مستفيضة وبالغة الاهمية ، الا ان مثل هذه المؤتمرات ما فتئت تغلب عليها الروح الجدلية والنظرية التي تتشعب تحت تاثيرها الاغراض ، وتتعدد المناحي دون ان يمكن ذلك من النفوذ الى وقائع حية وذات اثر ما على سير حركة اسلامية عالمية ممكنة لكن الذي يامله المرء ان تكون الندوات الاسلامية التي انعقدت في خلال الشهور الاخيرة والتي ستنعقد – ولا شك – في غضون السنوات القادمة – اكثر قدرة على خلق بذور حركة اسلامية حقيقية ، واعطائها محتوى نظري وعملي متكامل يمكن اعتماده في مواجهة المشاكل الانسانية والتنظيمية التي تواجه مسلمي اليوم .

سلا – المهدي البرجالي

مناقشات

نقد مقال العوائق النفسانية للتخطيط

الدكتور تقي الدين الهلالي

- 9 -

تقدم ان اقوى دسيسة يتذرع بها المتهوسون بالدعوة الى الالحاد والتعطيل ، هي زعمهم ان الشعوب الاوربية والامريكية التي بلغت اوج الرقي في العلم والمدنية ، والحضارة والحرية ، لم تبلغ ذلك الا الا بنبذ الدين ، قالوا : فاذا شئنا معشر المسلمين ان تبلغ ما بلغوا ، فعلينا ان نترك الاسلام ، وبدون تركه نبقى دائما متأخرين ، وهذه الحجة المزعومة ، ظلمات بعضها فوق بعض ، وبناء باطل على باطل ، وفاسد على فاسد ، كما يحكى عن بعض العجم انه ادعى التحقيق في علم التاريخ والانساب ، فسئل عن الحسن والحسين فقال « هزا وازح خسن وخسين ، بنات معاوية ابن ابي طالب » يعني ، هذا امر واضح ، فالحسن والحسين ابنا معاوية بن ابي طالب . وقد بدات في هدم بنيانهم من الاساس ، فبينت بالرقوم الدقيقة الرسمية من سفارات الامم الراقية ، كالولايات المتحدة وبريطانيا وسويسرا والمانيا الاتحادية والسويد والترويج ، ان عدد الملحدين في مجموع سكان هذه البلدان ، المتباعدة في الاوطان ، المختلفة في اللغات ، ونظام الحكم ، وغير ذلك من وجوه الخلاف ، اذا جمعت الملحدين فيها لا يكاد عددهم يبلغ واحدا في المائة ، فتهدم الاساس الذي بنوا عليه كذبهم الوقح ، ومنهم من يزعم انه بلغ الغاية في العلوم العصرية والفلسفة .

والحق انه لم يدرك منها الا الوتد ، وهو « سفه » وفاته السبب ، وهو « قل » فهل كان هؤلاء المتحذلقون المتهوسون الفاتنون المفتونون ، يعلمون هذه الحقائق وكتموها ، وحاولوا اثبات نقيضها ، غشا لشعوبهم ، وتدليسا ومؤامرة مع اعدائها ، واصطيادا في الماء العكر، ام كانوا يجهلونها ، فان كانوا يعلمونها ، فحسبهم خزيا وعارا ، خيانتهم لقومهم واوطانهم ، وخيانة للعلم واضاعة للامانة . وان كانوا لا يعلمونها — مع انهم يزعمون — انهم يعلمون من احوال اوربا ما لا يعلمون من شؤون اوطانهم وقومهم ، فكيف خفيت عليهم هذه الحقائق ؟؟ ام ذهبوا الى اوربا وامريكا لتعلم الرقص وشرب الخمر ، والتزي بأزيائهم اكتفاء بالقشور ، ورجعوا بشهادات مزيفة يصولون بها على ابناء وطنهم ، ويتكبرون عليهم ويبتزون اموالهم ، ويبثون الفتن والبلبلة في افكارهم، والتفرق في صفوفهم ويسممون افكار الشباب ، لا يرقبون فيهم الا ولا ذمة، فبعدا للقوم المفسدين .

وقد شهد اربعة من اقطاب الادب والثقافة لهذه المقالات التي انشرها في هذا الموضوع انها حق ، وهم الاستاذ العبقري المؤلف الطائر الصيت السيد عبد الله كنون . والاستاذ الطبيب النطاسي الدكتور المهدي ابن عبود . والاستاذ العالم الاديب السيد محمد الطنجي والاستاذ الصحفي القدير الاديب السيد عبد الكريم غلاب : وهؤلاء الاقطاب ادوا شهادتهم دون ان يسألها منهم احد . ولا شك ان هناك من فطاحل العلم والمعرفة في هذا الوطن ، وفي غيره كثيرا من المعجبين بها امثالهم ، لو بحثنا عنهم وسألناهم عن ءارائهم ، فان ظن المفسدون ان الجو خلا لهم ليبيضوا ويصفروا وينقروا ما شاءوا ان ينقروا ، فقد اخطأوا في حسابهم ، فلا يزال — ولله الحمد في هذا الوطن المنكوب بأمثالهم — بقية باقية يفضحون دسائسهم ، ويأتون على بنيانهم من القواعد ، فيخر عليهم السقف من فوقهم ، ويأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون . اولئك رجال جمعوا بين الثقافتين، القرءانية والاوربية، ولم تشغلهم اوربا بزخارفها ، ولا اعشت اعين بصائرهم اشعة مدنيتها عن انتقادها نقد الدنانير والدراهم ، فأخذوا جيادها ، وتركوا زيوفها ، كما قال تعالى في سورة الزمر « 17 — 18 فبشر عبادي

الذين يستمعون القول ، فيتبعون احسنه ، اولئك الذين هداهم الله ، واولئك هم اولوا الالباب » .

وسأتوجه بالسؤال الى سفارات اخرى وانشر اجوبتها ليزداد وجه ربني الحبشي ومن يغتر بسفاسفه اسودادا يوم يوم تبيض وجوه وتسود وجوه ، ويزداد اهل الحق اغتباطا وابتهاجا .

اذا رضيت عني كرام عشيرتي
فلا زال غضبانا علي لئامها

« ذكر بقية شبهات الملحدين والرد عليهم »

يقول الاستاذ ليتريه : يظهر لي ان الاسباب الاولية التي خلقت الكون ذاتية فيه ، وانما هي التي تسمى بالنواميس .

ونحن نلقي عليه اسئلة فعليه ان يجيبنا عنها هو او من ينشر المبادىء الالحادية في هذه البلاد وهي: كيف ان المادة ، وهي عمياء صماء ، استطاعت ان تكون هذا التكون البديع وتشكل هذا الوجود الضخم على تنوع كائناته ، وتباين موجوداته ؟

انا نرى باعيننا ان المادة منقادة بواسطة قوانين ونواميس الى التشكل على حسب نسب مقدرة ، فكيف نتصور ان شيئا محروما من نعمة الادراك والتعقل يتجه من نفسه الى غاية كمالية تدهش لها عقول البشر ، وتحار لها مدارك الفكر ؟ كيف ان المادة المجردة من العقل والادراك تكون كائنات متمتعة بعقل وادراك كالانسان مثلا ، وكيف ان المادة تحكم نفسها بنواميس حكيمة ، وهي لا تعرف معنى الحكمة ولا تحس بها ؟ وكيف يسود النظام والوئام بين مكوناتها ، وهي لا لا تعرف للنظام معنى ، ونحن نرى رقيا محسوسا في مكوناتها من جماد الى نبات الى حيوان الى انسان ، وكل هذه الممالك الاربع في رقي مستمر الى غاية اسمى مما نتصور ؟ كيف ان المادة العمياء غير المدركة تتبع من نفسها خطة التدرج والترقي ؟ وكيف تخلق المادة هذه المبدعات في عوالم الجمادات والنباتات والحيوانات ، وتهبها كل ما تحتاج اليه من حيل الحياة واسباب حفظ النوع ، واسباب البقاء والارتقاء والمادة في نفسها لا تعي ولا تدرك ؟ وكيف ان المادة المجردة عن الشعور تتوصل الى خلق الحواس الحيوانية بهذه الدقة والمهارة ؟ ولماذا كل هذه الحواس مركبة تركيبا يدهش له العقل ، ولم يوجد منها ما هو مختل الوظيفة «1» عبء ثقيل على صاحبه ؟ ولماذا لم تكن الطبيعة ذات قوى مختلة ، ونظامات معتلة ، ونواميس متعاكسة ، يبطل بعضها اثر بعض ؟ ولماذا هذا التضامن بين النواميس ، وهذا التلاؤم بين قوى الوجود ؟

ليس للماديين على هذه المسائل اجوبة مقنعة ، واكثرها لا جواب له عندهم ، وكل ما لديهم الفاظ فارغة نسردها على القارئين ليروا رأيهم فيها .

نظريات الماديين في نظام الكون

الكون عند الماديين مادة ونواميس ، فان قلنا لهم كيف نشأ هذا الوجود على ما فيه من جمال وابداع؟ قالوا ، نعم ، اسمعوا ، حصل كل ذلك بواسطة ناموس الانتخاب الطبيعي .. ما هو ياترى ناموس الانتخاب هذا ؟ يقول معناه ، ان الطبيعة مندفعة .. للرقي الدائم .. ومسوقة ، لان تنتخب الجيد الصالح من الكائنات وتبيد الردى الفاسد منها ، فهي تميل دائما من كامل الى اكمل ...

هل هذا جواب ايها الحكماء ؟ ايحسن بك ان تجيب من يسالك لماذا تسير الباخرة بقولك ، انها مدفوعة الى السير ومسوقة لقطع المسافات .

لا يليق بنا في شرعة الانصاف ان ندحض هذا الجواب حتى نعطيه كل ما يحتمله من قوة وسلطان فنقول : قول الماديين ، ان الابداع الوجودي حدث بواسطة ناموس الانتخاب الطبيعي الذي من مقتضاه

«1» ارجو من القراء الكرام الذين يتتبعون هذه المقالات ان ينعموا النظر بهذا المقال والذي بعده ، فانهما يشتملان على محاسبة الماديين ومناقشتهم بحجج قاهرة خانقة ، لا قبل لهم بالجواب عنها ، فضلا عن مناهضتها . راجع خلقة العين وتركيبها العجيب في سلسلة مقالات « دواء الشاكين وقامع المشككين » بقلم كاتب هذه السطور المنشور في مجلة « دعوة الحق » ، الجزء الثاني من السنة الرابعة ، فانك اذا قرات ما كتبه العالم «كريسي مورسن» في اسرار تركيب العين ، لا يخامرك اي ريب في ان من يقول بان العالم خلق بالمصادفة ، اما ان يكون مكابرا يتعمد الكذب ، او يكون اجهل من حمار اهله .

ان لا يبقى الا الاصلح للبقاء «2» ، معناه : ان المادة لما كانت قديمة هي ونواميسها دائما الحركة والتشكل بمقتضى تلك النواميس ، فلنفرض ان قد حدث نوع من الحيوان ، فالمعروف ان كل اشخاص ذلك الحيوان لا تكون على درجة واحدة من النماء والقوة ، فيحدث ان الانمى والاقوى من افراد هذا النوع يسبقون الضعاف الى مظان الغذاء وينازعونهم البقاء ، فيزداد الاقوياء قوة على قوتهم ، ويزداد الضعاف ضعفا على ضعفهم ، فيلد الاقوياء افرادا اقوياء يكتسبون مع الزمن صفات جديدة ترسخ فيهم فتصير احوالا ، ويلد الضعاف ذرية ضعيفة تنحط عن اصلها درجات ، ثم ينتهي الامر بتلاشي الضعاف وبقاء الاقوياء ، فاذا تغير الوسط الذي يعيش فيه هؤلاء الحيوانات واشتد عليهم البرد ، او صعب عليهم الغذاء ، او احتاج لشيء من التحايل او التسلق او الجراءة مالت افرادهم الى مشاكلة الوسط الجديد فلا يقوى على ذلك الا افراد منهم بمجهود عظيم ، وبعد اجيال عديدة يكونون في اثنائها اكتسبوا صفات جديدة صارت فيهم احوالا راسخة ، وربما طالت اعناقهم بعد ان كانت قصيرة ، ودقت سيقانهم بعد ان كانت غليظة ، وكسوا بوبر كثيف ، بعد ان كانوا مجردين منه .

ولما كانت النواميس عاملة ، والاوساط في تغير مستمر ، فلا شبهة عندهم في ان الكائنات تدخل من طور الى طور ، وتتنوع من حال الى حال ، وقد حدث ذلك حين انفصلت الارض عن الشمس «3» في مبدأ تكونها ، فنشأت اولا الحياة في خلية نباتية ، ثم اختلفت الفواعل والاوساط، فتشكلت تلك الخلية، ونشأمن بعضها حيوانات،ومن بعضها نباتات مختلفة،وما زالت الاوساط تتغير والكائنات تتطور في مئات الالوف من السنين، حتى نشأ الانسان وبقي اكثر ما نشأ قبل ذلك من نبات وحيوان الى الان ، وباد كثير من انواعه كما يشاهد في الطبقات الارضية « انظر جولوجيا » وكلمة حفريات .

فالوجود في نظرهم كان على ما هو عليه اليوم، لا بقصد ، بل بمجرد الاتفاق ، او كما يقولون «بالصدفة» فقد اتفق ان تكون ءاثار النواميس العاملة على المادة المتحركة بطبيعتها هي ما نشاهده من نباتات وحيوانات واتفق ان تكون الكائنات التي وجدت على المريخ او المشترى «4» او الدنياوات الاخرى على غير هذا الشكل

هذه نظريتهم في كل قوتها وغاية ابهتها ، فلنرد عليها الان مطمئنين لا غالين ولا مقصرين : هب ان المادة ونواميسها قديمة ، اي موجودة من الازل ، فلا يعقل حتى مع هذا الفرض ان يخلق الكون بالاتفاق المجرد من العقل والاختيار ، لانه ان عقل ان يخلق بالاتفاق حيوان ما ، فكيف يعقل ان تخلق بجانبه بالاتفاق ايضا انثى تناسبه تمام المناسبة لاستدامة

«2» الاصول التي بنى عليها داروين نظرياته اربعة :النشوء والارتقاء ، وتنازع البقاء ، وبقاء الاصلح . فاما النشوء ، فقوله : ان جميع الكائنات الحية من انسان وحيوان ونبات ، اصله خلية واحدة لا تكاد تبصر بالعين المجردة ، وسترى صفتها في هذاالمقال .
واما الارتقاء فقوله : ان الكون دائما في رقي مستمر ، لا يمكن الرجوع فيه الى الوراء ابدا .
واما تنازع البقاء ، فمعناه عنده : ان انواع الحيوان والنبات تتنازع البقاء ، كل منها يسعى ليبقى ولو بفناء غيره ، فيبقى منها ما هو صالح للبقاء،وهم الاقوياء ، ويفنى منها الضعفاء الذين لا يصلحون للبقاء .

«3» قوله : حين انفصلت الارض عن الشمس . اعلم ان نظرية انفصال الارض عن الشمس لم يقم عليها اي دليل يقيني ، وانما هي افتراء وتخمين ،ولكن هذه النظرية ساعدها الحظ فانتشرت وشاعت اكثر من سائر النظريات ، حتى صارت عند العامة حقيقة لا تقبل الشك ، ولكن القول بهذه النظرية — على تسليمه — لا حجة فيه للماديين ،وانما هو وبال عليهم ، كما سياتي في هذا المقال او في الذي بعده عند البحث في حدوث الحياة على وجه الارض .

«4» قوله : على المريخ او المشتري الخ. لم يثبت الى حد الان وجود اي نوع من أنواع الحيوان في المريخ ، ولا في غيره من الكواكب السيارة . غير ان بعض علماء الفلك يظنون ظنا ، وما هم بمستيقنين ، ان في النواحي الشمالية من المريخ بعض انواع النبات في شكل بدائي ، والله اعلم .

نوعه ، وان عقل حصول ذلك فى نوع من انـــــواع الحيوانات ، فهل يعقل حصوله فى جميع الانـــواع على الســواء ؟

هب انه يعقل ذلك ، فهل يعقل ايضا ان الاتفاق يرغم الانثى على تربية صغارها وتجشم الصعـــــاب فى سبيـــل ذلك ، ويجبر الذكـر احيانا – كثيـــرة لمعاونـة الانثى فى هذا العمل الشاق .

هل لذلك « الاتفاق » عقل ادرك به ان ابــداع هذا الميل فى قلوب الذكور والاناث ضروري لحفـظ بقاء نوعها ، وما للضرورة وذلك ، بل ايـن هـي مـن هذا الترتيب ، وهي لا تدركـه ولا تعقله ؟

انا نرى اثمار البلاد الباردة مغطاة بوبر ليحفظ فيها مقدارا كافيـا من الحرارة ، فلا تهلك فى الشتـاء وكذلك الحيوانات ، فانها مجلات هنالك بفرو لتحميها من الزمهريـر ، فهل يعقل ان الاتفـاق المجرد مـــن العقـل تصدر منـه جميع هذه الاعمال الدالة علـى مقاصد وغايـات حكيمـة ؟

نقول انها تحلت بكل هذه الاعضاء الواقيـــة بحكم « الضـرورة » ومعنى ذلك ان تلك الاصقاع لـم تكـن باردة على الدرجة التي تشاهد عليهـا الان ، وكانت عائشة عليها تلك النباتات والحيوانات ، فلما اخذت فى البرودة تدريجيـا احست تلك الكائنـــات بلزوم دثـار يحميها عوادي ذلك الجو البارد وباد من اشخاصها الضعيف المجرد من كل وبر ، وبقـي القوي المحلى بشيء منه ، فنمـا وبره « بالضرورة تدريجيا » حتى اذا وصل الجو الى ما هو عليـه الان وصل هـو ايضـا من التحلي بالوبر الى حالته الراهنة .

«فالضرور» هي التي اوصلته الى هذه الحال .

نقول ، ان امثال هذه التعليلات الكلامية لا تكفي لتفسير وجود الكون على هذا الابداع الباهر الذي اعجز عقل الانســان ، ولا تــزال اكثـر اياته غامضة لم تصـل المدارك الى ادراك اسرارها المعجزة ، ومع ضعـف هذا التعليل ووهن اركانه نرى ان الاحسن مجـاراة الماديين ومقارعتهم عليـه فنقول : انكـم تقولون ، ان الضرورة هي التي تدفـع المادة بتاثيـر الوسـط للتحلـي بكل ما يمكنها من البقاء فيه ، ولسنا نفهـم لهذا الكلام معنى ، بل هو لا معنى له على الاطـلاق ، واليـك البيـان :

سلمنا لكم جدلا ان المادة قديمة ، وان فيهـــا نواميسـها ، فهل ءاثار النواميس فى عرفكم الا حركـات بسيطـة ، كناموس الجذب يجذب الاجسام ، وناموس الدفع يدفعها ، وناموس الساكن مستمر على سكونه حتى تاتيه قوة تحركه ، والمتحرك مستمر على حركتـه حتى تاتيه قوة تقفه الخ . مما لم يخرج عن حركـات بسيطة غير مركبة ، لا يمكن ان تفسر خلق اصغـــر الكائنات ، فضلا عن الكون وما فيه .

مكنـاس : الدكتور تقي الدين الهلالي

العلـم وعدولـه

قال النبي صلى الله عليه وسلم :

« يحمل هذا العلم من كل خلف عدو له : ينفون عنه تحريف القائلين ، وانتحال المبطلين ، وتاويل الجاهلين » .

نظرة في منجد الآداب والعلوم

للأستاذ عبد الله كنون

-6-

حرف الخاء :

167 — فى ص171 ، ع ني اثناء الكلام على اسرة الخازن اللبنانية يقول فى احدهم « من ثقات الامراء » وثقات جمع تصحيح تساؤل مطلقة فكتابته بالتاء المربوطة خطأ .

168 — فى نفس المكان تعريف بالخازن البغدادي صاحب التفسير جاءت تسمية التفسير فيه هكذا «الباب التاويل» والصواب لباب التأويل .

169 — فى ص 172 ، ع‌ل عند الكلام على خان حسية بحمص من سوريا قال : « امر بعمارها السلطان سليم » والصواب بعمارتها .

170 — فى ص 173، ع‌ل تعريف يامين الخانجي جاء فيه انه كتبي شهير نشر كتب عربية كثيرة . والصواب كتبا بالنصب . ومثل هذه الاخطاء اللغوية والنحوية وان كانت بسيطة لا يمكن التساهل فيها فى كراسي الاملاء والانشاء لتلامذة المدارس فكيف فى كتاب لغوي يسمى معجما عربيا ؟

171 — فى الصفحة المذكورة عني كلام على قبيلة ختعم جاء فيه قوله « وكان معبودهم « ذو الخلاصة » وبقطع النظر عن اللحن الواقع فى التعبير فان الصواب فى اسم الصنم ذو الخلصة محركا بدون مد . وقال : « انتصر زعيمهم انس بن مدرك على بني عامر بن صعصة » وهو صعصعة بصادين .

172 — فى ص 176 ع‌ل ترجمة للعلامة الخرشي صاحب الشرح المعروف على المختصر الفقهي لابي المودة خليل ، ضبط فيها اسمه بضم الخاء وفتح الراء وقال انه ولد فى ابي خراش بمصر والمشهور فيه الخرشي بكسر الخاء وسكون الراء وذكره فى التاج باسم الخراشي بالف بعد الراء على انه منسوب لابي خراش القرية التي ذكرها المنجد .

173 — فى الصفحة نفسها ، ع ني ورد ذكر قصي من اجداد النبي «ص» اثناء الكلام على خزاعة وضبط بفتح القاف وهو بضمها على صيغة التصغير .

174 — فى عين المكان تعريف بما سماه الخزامة وكتب ازاءه بالحروف الافرنجية
قال فيه جزيرة صغيرة تخص اسبانية واقعة تجاه الريف فى المغرب ..الخ . وظاهر ان المراد مدينة الحسيمة فى الريف ، وهي لا تخص اسبانيا ، وانما هي مدينة مغربية صميمة ، وهي ليست تجاه الريف ، ولكنها من الريف ، والعجيب فى اسم هذه البلدة كيف كثر عليه التغيير ، فان اصله المزمة وتصور الى الحسيمة وها هو الان عند المؤلف يصير الخزامة .

175 — فى ص 177، ع ل ترجمة لضياء الدين الخزرجي صاحب القصيدة المعروفة بالخزرجية فى علم العروض قال انه علي الساعدي وانه ولد ببيغة وتسمى قصيدته الدائرة الشامية فى العروض والقافية، ولا يصح من هذا كله شيء ، وهو يعتمد فى المعلومات التي ذكرها على ترجمة صاحب الخزرجية فى دائرة المعارف الاسلامية ريني باسي وقد نبهنا فيما سبق من هذ البحث على انه صاحب خبط كثير فى المواد المغربية التي كتبها للدائرة ، ولنا بحث فى كشف اخطائه بها ، والذي حررناه فى صاحب الخزرجية انه ضياء الدين محمد او عبد الله على الخلاف فى كنيته بين ابو عبد الله او ابو محمد وانه خزرجي انصاري سبتي ، وصل الى المشرق ولقب هناك بضياء الدين وغاب خبره بعد رحلته عن عارفيه من

بني بلده ، وبيان ذلك في ترجمته من كتابنا شخصيات مغربية .

176 — في نفس الصفحة عني تعريف بهند ابنة الخس الايادية ضبط فيه اسم الخس بفتح الخاء وهو بالضم .

177 — في نفس المكان تعريف بالخضر عليه السلام ضبط اسمه بضم الخاء وسكون الضاد وهو بفتح الخاء وكسر الضاد ، وقال فيه « انه احد اولياء المسلمين رفعه القرءان فوق الانبياء ، باعتباره الدليل المعهود اليه بارشاد موسى » والقرءان لم يرفعه فوق الانبياء ، كيف والصحيح فيه انه انما كان من صالحي المومنين ، فكيف يكون فوق الانبياء ، وما ذكر من علمه في القرءان انما هو مزية ، والاتفاق على ان المزية لا تقتضي التفضيل ، ثم قال « وقد حظي عند الصوفيين بمركز ممتاز اذ ان كثيرا « كذا » ما ادعوا باتصالهم « كذا » المباشر به » وحظوته عند الصوفية لا جدال فيها لما اوتيه من العلم اللدني ، ولكن الاتصال به موضوع شك من العلماء لان الصحيح انه توفي ولو كان حيا لاتصل بالنبي «ص» قبل ان يتصل بغيره .

178 — في ص 178 ، ع ل تعريف بالشيخ محمد الخضري صاحب تاريخ الامم الاسلامية ضبط اسمه بكسر الخاء وسكون الضاد وهو على المعروف بضم الخاء وفتح الضاد .

179 — في نفس الصفحة عني تعريف باسعد الخطير بن مماتي صاحب كتاب قوانين الدواوين صحف فيه اسمه مماتي الى حماتي بحاء فميم وهو بميمين مفتوحتين ثانيتها مشددة .

180 — ص 179 ع ني ترجمة لابن خلدون المؤرخ الشهير قال فيها : « عينه ابو عنان سلطان تونس والي الكتابة » والصواب ابو عنان سلطان المغرب ، على ان في عبارة والي الكتابة ركاكة لا تخفى ، ثم قال : « لم يصلنا منه الا مقدمة كتاب العبر المشهورة بمقدمة ابن خلدون » والواقع ان ما وصلنا من تآليفه اكثر من ذلك ، فالتاريخ نفسه زيادة على المقدمة وكتب اخرى له ، كلها موجودة ، وبعضها مطبوع ، كالتاريخ

181 — في نفس الصفحة عني تعريف بخلف الاحمر ضبط كنيته ابا محرز بكسر الميم وفتح الراء وفيما نعتقد هو بضم الميم وكسر الراء بصيغة اسم الفاعل ، وقال « تنسب اليه لامية العرب وقد نسبت ايضا الى الشنفرى » ولو عكست الجملة لكانت اصح ، فان المعروف ان لامية العرب للشنفرى وبعض النقاد يشك في نسبتها اليه ويقول انها مما صنع خلف الاحمر ونحلها الشنفرى .

182 — في ص 180 ، ع ني ترجمة لخمارية بن احمد بن طولون جاء فيها « اسرف الاموال » يعني اسرف في انفاقها .

183 — في ص 183 عني تعريف بقبيلة خولان جاء فيه انهم اعلنوا دخولهم في الاسلام وعادوا الى الوثنية ثم ارشدوا وساهموا في فتح مصر ، وهو يعني ثم اسلموا من جديد .

طنجة ــ عبد الله كنون

رسالة المغرب الحضارية : من الذي يضطلع بها ؟ وكيف ؟

للأستاذ الدكتور شكري فيصل

- 1 -

لم يكن احب الي وانا في المشرق من ان اعرف المغرب معرفة قريبة .. ان اتعرف اليه ان شئت قدرة اكبر من الدقة .. ان ازوره ، وان اتنقل فيه ، وان القى اهله ـ عنيت اهلي كذلك ـ واقف على جوانب الحياة منه ، مستبطنا لها ، متفاعلا معها ، مفيدا منها ، ما وسعني ان افعل .

ولم يكن ذلك الهوى وليد نزعة طارئة يمكن ان اتلهى عنها او ان استبدل بها غيرها ... لم يكن رغبة في رؤية بلد شأنه شأن اي بلد ءاخر من بلاد الدنيا ، ولم يكن حبا في الاطلاع على مجهول في اكثر ما تجهل من ارض الله الواسعة .. وانما كان وراء ذلك كله احساس عميق ، تكون يوما بعد يوم ، واشتد في كل مراحل العمر مرحلة بعد مرحلة .. وكان ينمو ويستحصد كلما اوغلت في الدراسة وتتبعت اوضاع هذا الوطن الاسلامي الكبير .. حتى كان لهذا الاحساس في اعماقي جذور ، وحتى كانت له في حياتي اغصان واوراق .

هذا الاحساس يعود الى تقديري للمهمة الكبرى التي اضطلع بها المغرب عبر القرون الطويلة منذ ارتضى الاسلام واتخذه دينا ينافح عنه ويدافع دونه . فقد وقف شامخا ـ كجباله الشامخات ـ في وجه العوادي الصعبة التي كانت تجتاح هذه المنطقة ، وينهض كالمنارة ، تمتد اشعتها من هنا وهناك ، ينشر انوار الاسلام الى هذه العدوة الاخرى في الاندلس من نحو ، والى ما وراء الصحراء في غرب القارة الافريقية ووسطها من نحو ءاخر .. وكان كالقلب ينبض دائما بالدم القوي النقي يبثه هنا وهناك على كل سنوات التاريخ .

- 2 -

هذه الرسالة الحضارية للمغرب التي يستطيع كل دارس للتاريخ او متتبع لاحداثه ان يدركها .. اعني ان يدرك خطورتها ومكانتها .. ماذا يكون من اثرها في اتجاه المغرب اليوم ؟ ماذا تترك من الطباع في سياسته .. او ماذا يجب ان تترك من انطباع ؟.. كيف نستطيع ان نعطي هذ الرسالة الحضارية مكانتها في حياتنا كلها .. في حياتنا كافراد وفي حياتنا كمجموعات .. وبالتالي في حياتنا كدولة فتية ترهقها اعباء التطور ومهمات النمو ولكنها لا تحب ان تتخلى عن رسالتها الاصيلة ؟

في رأيي ان العاملين في المغرب المؤمنين به ، برسالته .. الحاملين لامانته العظمى يستطيعون ان يعملوا من هذا النحو في وجهتين اثنتين :

احداهما هذه الوجهة الداخلية الصرف .. والاخرى هذه الوجهات الخارجيات المختلفات . ومن الواضح ان الوجهتين لا تنفصلان .. وانما هما تتشابكان وتختلطان ، احداهما تنبع من الاخرى ، والاخرى تكمل الاولى .. فليس بينهما قط مثل هذا الفصل الحاد .. وانما هو ـ هذا الفصل ـ محاولة في تقسيم البحث وتذليل اطرافه امام الذين يحبون ان يخوضوا فيه .

اني لا اتحدث عن الوجهة الداخلية في هذا المقال .. ذلك لانها من التشعب بحيث لا يتسع لها حيز محدود في مجلة تحرص على ان يكون لها شيء من تنويع او تلوين رغم حرصها على طابعها العام .. ولكني احب ان اتحدث عن الوجهة الخارجية .. فكيف نستطيع ان نتابع رسالة المغرب في هذا السبيل؟

– 3 –

وقبل كل شيء احب ان انوه بان المغرب لا يجب له ان يغفل عن هذه الرسالة ، ولا ان يدخر جهدا في سبيلها .. انه لا يحسن به ان يغفل ولا يستطيع كذلك – بحكم طائفة من الضرورات الموجهة الحتمية – ان يغفله .. ان ذلك شيء اساسي في كيانه وفي طبيعته وفي مستقبله ... من غير حاجة الى الابانة عن هذه الضرورة الملحة .

فاذا كان ذلك صحيحا – وهو صحيح لا يقبل الجدل .. وهو كذلك صحيح الى حد انه يملا على المفكرين تفكيرهم ويفرض وجودهم عليهم – فاننا نتساءل من جديد ، كيف نتابع رسالة المغرب في هذا السبيل ؟ .. من الذي يضطلع بها ؟ وكيف ؟

– 4 –

يبدو لي – اول الامر – ان ذلك عمل يجب ان ينهض به قوى من صميم قوى المغرب التي لا تفكر في مغرب اليوم فحسب ، ولكنها تفكر في مغرب الامس ومغرب اليوم ومغرب الغد .. قوى من هذه المجموعة المتفتحة المتطلعة التي تعي امجاد المغرب في الماضي ، وتفكر – على المدى البعيد – في امجاده المستقبلة .. قوى كل الذين يلتقون على ان هذه الرسالة الحضارية للمغرب لا تتوقف ولا يجب ان تتوقف مهما تكن الظروف الداخلية .. ولا يمكن ان تتوقف اذا كنا نريد للمغرب مكانته الاصيلة المتفردة .

ومن الواضح ان في المغرب قوى كثيرة .. بعضها نقابي وبعضها حزبي .. بعضها يعمل على صعيد الحياة السياسية وبعضها يعمل على صعيد الحياة الاجتماعية اليومية .. ان كل هذه القوى ليست هي المعنية بهذا الواجب .. ولكننا سنرى انها ليست بعيدة عنه .

القوى التي اعنيها هي القوى التي لا تفكر في خير اليوم ولا في واقعات اليوم ، ولا في فوائد اليوم ، ان اليوم ليس شيئا عندها ، فكثيرون اولئك الذين يعملون له .. ولكنه اليوم الاخر الذي تفكر فيه وتعمل له .

هذه القوى هي الجماعات التي تعمل على صعيد الحياة الثقافية والحضارية .. هي قوى الجامعات والمعاهد العليا ، هي قوى الجماعات الاسلامية الصافية .. ايا كانت هذه الجماعات .. دائرتها الاولى هي دائرة العلماء ورجال الاسلام والقيرويين على اي تنظيم كانوا .. ودوائرها الاخرى من وراء ذلك كل الذين يؤمنون بالاسلام ومكانته على اية جهة كانوا وفي اي عمل .. في نطاق التجار او في نطاق العمال او في نطاق المتصوفة الذين لا يشركون مع التصوف البريء .. في نطاق الطلبة وفي نطاق الاساتذة .. انها هذه القوى التي تفكر في الارتباط التام بين مستقبل المغرب وبين مستقبل رسالة الحضارية هذه فيما حوله من اقطار

– 5 –

ماذا تستطيع الدائرة الاولى ؟ .. ماذا يستطيع العلماء ان يفعلوا في هذا السبيل ؟ .. ذلك هو السؤال التقليدي الذي يمكن ان يطرح هنا .. يطرحه – في لهجة اسى وفي نوع من الاسى – اولئك الذين يعتذرون عن السادة العلماء .. ويطرحه العلماء انفسهم حين يجدون الطريق مغلقة بين ايديهم ، او حين تتراءى لهم كذلك .. ويطرحه البحث الموضوعي حين يحاول ان يخرج من بين ضباب الاسى والاسف الى نور الحقيقة .

ولعلي لا اكون مسرفا ولا متجنيا في هذا الذي ساقوله .. ولكني اومن ان السادة العلماء يستطيعون من هنا ان يبدأوا عملا ضخما في سبيل رسالة المغرب الحضارية .

ان مجرد البداية في هذا ستتيح لكل القوى الاخرى الكامنة ان تتحرك في طريق المساعدة والتعضيد القوى الرسمية والقوى الشعبية على السواء ، قوى الجماعات المتعلمة ، وقوى الاحزاب والنقابات .. قوى هذه الحقيقة العميقة : حقيقة رسالة المغرب في هذا الجزء من العالم .

ان ذلك لا يحتاج ، اول الامر ، الا الى مجموعة اولى تجتذب اليها من وراءها .. مجموعة اولى تنطلق من الايمان وتحاسب الذين وراءها على هذا الايمان .. تسأل نفسها ثم تسأل من دونها : ماذا فعلنا من اجل ان نتابع هذه الرسالة .. ما دمنا مؤمنين بها .

ان الايمان هو المنطلق وهو الغاية .. وليس في الدنيا عمل يبشر بالنجاح المؤكد كما تبشر بذلك الاعمال التي تتحد فيها منطلقاتها وغاياتها .. لان البدايات والوسائل والغايات تتلاحم تلاحما كاملا فلا تترك مجالا لتسرب الشكوك او اختلاف الانظار او تباين الطرق او تضاربها .

فاذا كانت الخطوة الاولى من هذا الايمان، كان الطريق بعد ذلك كالمحجة البيضاء لا يضل فيها سالك .

— 6 —

اقدر ان هنالك من يقول ، وهو يقرا هذا المقطع السابق ، انه دفقة حماس ، وان الكاتب ينسى شان الحياة الجديدة التي تقوم — فى اكثر الانظمة المعاصرة على جهد الدولةوتستند اليهاق كل عمل او فى كل مخطط.

حسن جدا .. فهذه نقطة الضعف الكبرى بالقياس الى هذا الموضوع الذي نثيره .. ان الدولة توشك ان تكون فى الحياة الجديدة كل شيء .. ولكنها فى الواقع ليست كل شيء .. لم تبلغ .. ولن تبلغ ان تكون كل شيء فى اشد المجتمعات توجيها .. لنترك للدولة الاعباء الكثيرة التي تنهض بها والتبعات التي تتضخم امامها .. ولنفتش عن الساحات الاخرى الخالية نملأها .

وماذا تحتاج المشروعات عادة من الدولة ؟ ..

انها فى حاجة الى شيئين : التخطيط والتمويل .. فهل نحن هنا فى حاجة الى الدولة فى ذلك ؟ هل رسالة المغرب الحضارية — فى الاتجاه الخارجي — فى حاجة الى تخطيط الدولة وتمويلها ؟ ..

من المؤكد اننا — فى الوجهة الداخلية — نحتاج الى الدولة حتما .. اننا حينذاك نكون ، مع اجهزتها ، كتلة واحدة او نكون نحن والاجهزة كتلة منها .. اما فى المجال الخارجي فلا .. وقد يكون البعد عن الدولة خيرا .. قد يكون من الافضل ، لكي يتخذ العمل كل مداه — فى كل ابعاده — من الحرية والانطلاق ان لا تكون الدولة مباشرة شريكة فيه او قائمة عليه .. ومن المؤكد انها ترضى عنه بل اقدر انها ترحب ان تقوم به لجان اهلية بالنيابة عنها .. انها — فى اسوأ التقديرات — لم تتحرج منه .

وبقي التمويل .. لقد استقر فى اذهاننا ان المال كل شيء فى كل مشروع .. غزانا هذا التفكير حتى اقعدنا واضلنا .. لم نعد نفكر بالمشاريع والاموال معا وانما نفكر بالاموال اولا ثم نحيط كل مشروع امام كل عقبة مالية ..

واذا كانت هذه نقطة خلافية كما يقول الاصوليون فلنسأل : هل يكون المال — اعني الحصول عليه — عقبة فى هذا السبيل .

الذي اعتقده ان مجرد قيام العمل ، مجرد ظهوره .. اعلانه عن نفسه فى نطاق من نظافة القائمين عليه ومباشرتهم للعمل فيه واولى خطواتهم فى طريقه — كفيل ان يجعل الايدي الاخرى تمتد اليه . ان كل انسان من القادرين فى المغرب .. واعني استعمال التعبير الفقهي : ان كل مطلق لن يتاخر عن الاسهام المادي فى ذلك .. هنالك اعداء لا تحصى من كل الطبقات المؤمنة : غنية او فقيرة .. تفكر فى مغرب الغد والامس فى ءان واحد ، وتحرص على رسالة المغرب وتحرص كذلك على ان تمد هذه الرسالة بما تستطيع

وحينذاك لن تكون هنالك عقبة اسمها المال تحبط كل مشروع حتى قبل ان يقوم .

— 7 —

انها دعوة من الاعماق تملا كل جوانبي اين كنت فى المغرب .. بل اننا — فى المشرق — لننظر الى المغرب، من هذا النحو ومن انحاء اخرى ، فى كثير من الامل فيه ، والاعتماد عليه ، واليقين بانه سيستانف رسالته الحضارية على اي حال .. وان مكانه من افريقية ، من افريقية الغربية على اقل تقدير يجب ان يكون مكان الريادة .. وان قولة الحديث الشريف — مهما تكن درجة الحديث — «لايزال رجال من امتي فى الغرب ظاهرين على الحق الى يوم القيامة » قولة لن تتخلف .

— 8 —

حين نقرا فى الصحف ان رجلا فى نيجيريا — هو رئيس وزراء المنطقة الشمالية — يسلم على يديه الالف يجب الا يقعدنا ذلك بل يجب ان يدفعنا من نحوين : ان نشارك فى دعم هذه الرسالة من نحو ، وان نعمق هذا العمل من نحو ءاخر .. يجب حينذاك ان نذكر ان القضية ليست قضية مال وانما هي قضية رجال .

مرة اخري : انها دعوة .. قد تكون قاسية فى بعض اسلوب الاداءولكنها من القلبمن قلب المشرقالى قلب المغرب. .قلب المغاربة الذين يفكرونفى مغرب الغد الكبير .. فان كان هنالك شيء من اندفاع او غلو فى هذا الحديث فليكن من ابسط ما ننتهي اليه ان نفتحباب المناقشةعلى اوسعمصاريعه فى هذا الموضوع.

هل تاخذ « دعوة الحق » بهذا فتخصص عددا او جزءا من عدد لهذه الناحية تستكتب رجال المغرب حول رسالة المغرب الحضارية من يعمل لها ؟ وكيف نعمل لها ؟!

— 9 —

لقد تحدثت فى الناحية الخارجية .. اما فى الناحية الداخلية فالحديث متشعب وانا ما اريد ان اخوض فى الجانب الداخلي .. لا لشيء .. ولكن لاني لست قادرا على ان اتعرف على كل شيء فى الحياة المغربية .. ومع ذلك فان الذين يخوضون فى الموضوع يملكون ان ينظروا فيه من وجهتيه كلتيهما .

الدكتور شكري فيصل
عضو المجمع العلمي العربي بدمشق
واستاذ الادب العربي بجامعة محمد الخامس

في الحضارة المغربية

للأستاذ : عبد المجيد بن جلون

من التوافل ان نقول ان للمغرب حضارة عريقة ــ نسبيا ــ تقادم عليها العهد وان هذه الحضارة مستمدة من الحضارة الاسلامية ، وكانت وثيقة الصلة بالاندلس كما كانت على اتصال بحضارة البحر الابيض المتوسط ، وعلى اتصال بكثير من الدول البعيدة التي كان يهاجر اليها التجار المغاربة ، ويحملون مع البضائع التي يجلبونها عادات تلك البلاد وبعض مظاهر حضارتها ليضيفوها الى الحضارة المغربية المزدهرة ، كان هؤلاء التجار يصلون الى الهند والصين واندونيسيا وكانوا يقيمون في بعض الدول الاوروبية في القرن التاسع عشر ، وظل الشعب المغربي محافظا على حضارته الخاصة ، كما ظلت الحياة المغربية محتفظة بكثير من طابعها الخاص حتى في قلب القرن العشرين .

وما ابثت الوسائل الحديثة ان تغلغلت في المغرب ، ولكن بالرغم من الاثر الكبير الذي ادخلته الى الحياة في هذه البلاد ، وبالرغم من التأثير الكبير الذي تركته في التفكير المغربي ظلت الحضارة المغربية واضحة المعالم، صامدة في وجه الحضارة الغربية ، بل سخرت الوسائل الاوربية كلها لارادتها واستفادت منها ، واذن فنحن نعيش في عصر تلتقي فيه حضارتان ، حضارة مغربية صرف بتقاليدها الجميلة ، وعراقتها وفنونها وموسيقاها ورقصها وادابها ومعمارها ونظرتها الى الحياة ، مع الحضارة الغربية بوسائلها السريعة وتقاليدها وفنونها وموسيقاها ورقصها وآدابها ومعمارها ونظرتها الى الحياة هي ايضا .

فكيف يجب ان تلتقي الحضارتان ؟ او بسؤال آخر : كيف يجب تطعيم حضارتنا بالحضارة الغربية ؟ هناك من يرى الارتماء في احضان الحضارة الغربية بكل ما فيها من خير وشر ، لانها اصبحت حضارة العصر ، وشرها تخلف ، وهناك من يرى ضرورة المحافظة على الحضارة المغربية بطابعها القديم مع الاكتفاء بالاستفادة من وسائل الحضارة الغربية ما نفعنا ذلك . والرايان معا مبالغ فيهما .

ويحسن أن نشير هنا الى ان الحضارة المغربية حضارة مترابطة ذات عقلية وذوق ، فالطراز المعماري والزي والطبخ والاثاث ــ مثلا ــ مترابط بعضه ببعض، وطريقة تناول الطعام منسجم مع اللباس ، فاذا ارتدى المرء الزي الاوروبي بدا غريبا وغير مستريح وهو جالس على الحشية الى المائدة الصغيرة ذات الارجل القصيرة .

ومثال آخر : كانت البادية مسرحا للرقص الشعبي ، حينما كان ــ ولا يزال ــ يصطف عشرات ومئات من النساء والفتيات على سفوح الجبال والهضاب والتلال وفوق قممها ، في لباسهن زاهي الالوان، يرقصن على نغمات الموسيقى التي يعزفها الرجال على الطريقة التقليدية ؛ وبين الجبال والهضاب والتلال تترامى السهول ، يزحف فيها الخيالة وهم يتصايحون ويطلقون نيران بنادقهم ، كل ذلك في صخب ما بعده من صخب ، ولكنه ضروري لان الاصوات تضيع في الهواء الطلق ، وفي الابعاد المترامية ، اما الآن فقد اصبحت لنا مسارح تتطلب اسلوبا جديدا لان عنصر الابعاد المترامية في المسارح قد اختفى ؛ وحل ضبط الصوت الذي يكتفي بالهمس بدل الضرورة الى التحدث بصوت جهوري .

وقد دعيت منذ فترة الى احدى الحفلات التي اقامها بعض الاصدقاء ممن يقيمون في شقة حديثة ، ولم يمض سوى وقت قصير حتى شعرت بالانزعاج

مؤلم ، فقد انطلقت فرقة موسيقية اندلسية كاملة في غرفة مجاورة صغيرة تعزف بنفس العنف الذي تلجأ اليه في دار مغربية كبيرة ، ذات « الحلقة » الكبيرة التي يمكن ان « تستوعب » هذا الصخب ، لان عنصر السماء جزء من الدار ، ولا ادري كيف كان شعور الجيران ... اما شعوري الخاص فقد ضقت ذرعا بكل شيء ، بل خيل الي في بعض الاحيان ان الجدران ليست فقط مهددة بان تميل السقوط ، بل خيل الي ايضا ان الجدران والابواب والنوافذ مهددة بالانفجار ، لان حشر كل هذا الصخب في شقة صغيرة امر يدعو الى الجنون ...

ونحن نعيش في عصر السرعة احببنا ام كرهنا، والسرعة توفر الوقت كما يبدو ، ولكنها في الواقع تخلق الاعمال ، وتمكن الانسان من ان يقوم في يوم واحد باعمال اسبوع كامل ، ولذلك فان السرعة اصبحت تتطلب الوقت في الواقع ، وكان في استطاعة المغاربة في الماضي ان يختلفوا راجلين الى هذه الحفلة او تلك ، ويقضوا فيها الساعات الطويلة وهم يتبادلون الاحاديث المختلفة ، والموسيقى الاندلسية ماضية في انغامها خلال معظم هذه الساعات ، وكان قدماء المغاربة لاينصتون في احاديثهم الى هذه الموسيقى وانما يستأنسون بها في احاديثهم ، ولذلك لم يكونوا يملون رتابتها ولا طولها ، اما اليوم فان طابع السرعة قد افقد هذه الموسيقى جمالها ، فباتت في حاجة بذلك الى اعادة النظر فيها ، لانه لم يعد في استطاعة المغاربة ان يستأنسوا في احاديثهم ساعات طويلة بها ، لان الحياة لم تعد تمنحهم هذه الساعات الطويلة من الفراغ .

ويتسم كل ما في الحضارة المغربية بطابع الراحة بالنسبة للحواس الخمس والجسم كله ، والاستمتاع بالحياة ، وتكفي الاشارة هنا الى ان المغاربة — او جل المغاربة — لايعرفون الجلوس في منازلهم الى الآن — وكانوا لا يعرفونه بالامس حتى في دور اعمالهم ودكاكينهم ومكاتبهم — فالمغربي انسان يقضي يومه مستلقيا ومتكئا على مخدة وهي ظاهرة لاحظها سائح انجليزي زار المغرب منذ اكثر من قرن مضى ، ومما لاحظه على بائع رآه مستلقيا ومتكئا في دكانه ، انه لم يكن يتحرك حتى بعد ان يتم الاتفاق مع زبون على ثمن شراء بضاعة مما كان يعرضه للبيع ، وانما اقتصر على ان يطلب من المشتري ان يضع النقود امامه وان يمد يده الى الرف ويأخذ ما اشتراه بنفسه دون ان يتحرك . فالميل الى الراحة شنشنة مغربية قديمة ما يزال اسلوب هذه الحضارة يعبر عنها الى الآن ،

ولكن التقاء الحضارة الغربية بالحضارة في بلادنا سلبت — وسوف تزيد في سلب — كثير من اسباب هذه الراحة .

واذا لم يعد في استطاعتنا ان نظل سجناء الحضارة المغربية بعد ان تأثرت بوسائل الحضارة الغربية ، واذا لم يكن في استطاعتنا ان نتخلص من حضارتنا لانها جزء لايتجزأ منا ولها تأثير على عقليتنا لا جدال فيه ، فما ذا يجب ان نعمل ؟ ان اجزاء من هذه الحضارة مهددة بالزوال ، فكثير من اصناف الاكل لايمكن ان تبقى ، وخصوصا تلك الاصناف التي يتطلب تجهيزها وقتا طويلا ، لان المرأة المغربية الحديثة شقت طريقها الى العمل الى جانب الرجل ، ولم يعد لها مجال لقضاء الساعات الطويلة في المطبخ ، والطباخات والخادمات سائرات الى الزوال بسبب انتشار التعليم ، وستحل الاصناف التي لاتتطلب وقتا طويلا محل هذه الاصناف المغربية الشهية .

وهذا مجرد مثال ، والنتيجة التي اريد ان اصل اليها هي ان طبيعة الاشياء تأبى علينا ان لانساير الزمن والاوضاع الجديدة ، والا فان الزمن سوف يجرف كثيرا من مظاهر هذه الحضارة ان لم يجرفها جميعا ، وقد استطاع الفن المعماري ان يشق طريقه في هذا السبيل ، فاصبحنا نرى دورا حديثة على الطراز المغربي الرائع ، وبذلك حقق هذا الفن اللحاق بالزمن

وهذا ما يجب ان يحدث في سائر مظاهر هذه الحضارة وخصوصا فيما يتعلق بفن الرقص والغناء ، وقد تطور فن الاغنية الخفيفة ما في ذلك شك ، ولكن الذي ننتظره هو خلق موسيقى اندلسية جديدة على اسس من الموسيقى الاندلسية القديمة ، فليس من المعقول ان نطرب الى الابد باغاني رددها اجدادنا ، وان يطرب احفادنا الى الابد بنفس هذه الاغاني ، وانما يجب خلق هذه الموسيقىالاندلسيةالجديدة في صورة تتناسب مع اوضاعنا الراهنة خالية من الرتابة والطول ، ومشتملة على المعاني الجديدة التي تسربت الى حياتنا منذ ان وضعت الموسيقى الاندلسية القديمة ، وما اكثرها ، وتبقى هذه القديمة تراثا فنيا تاريخيا نحافظ عليه كما نحافظ على سائر اوجه تراثنا التاريخي .

ويقال في الرقص التقليدي ايضا ما يقال في الغناء ، اذ يجب تهذيبه وترقيته حتى يصبح في مستوى المسرح ، واستخدام آلات موسيقية حديثة يتابعها الراقصون والراقصات ، على نحو ما حدث في

الجمهورية العربية المتحدة ، فقد هذب فيها الخبراء الرقص الشعبي تهذيبا لطيفا من غير ان يسلبوه طابعه الشعبي ، كما حدث نفس الشيء في الجمهورية التونسية الشقيقة ، حيث تحول الرقص الشعبي الى فن لطيف ، اما البارود والصياح وضرب الارض بالاقدام ، وحشر ما تسعه الجبال والسهول في مسرح صغير او مكان محدود بنفس العنف والصخب ، فجناية على هذا الفن نفسه ، وجناية على المسرح ايضا

ثم ان الرقص الشعبي المغربي يتسم ايضا بطابع الرتابة التي تبعث على الملل، والرتابة قدتكون مستساغة حينما يتوفر المرء على وقت طويل من الفراغ، وحبذا لو استقصينا كل انواع الرقص الشعبي ، وطعمنا بعضه ببعض ، واضفنا اليها حركات جديدة ، وخلقنا رقصا شعبيا متنوعا لطيفا ، ليكون في استطاعته ان يرقى الى مستوى المسرح .

وقد غرست فينا « العقلية السياحية » تقديسا لكلمة «تقليدي» ونحن لا نقلل من اهمية السياحة وضرورة تنميتها والتمكين لها ، ولكن يجب ان لايثبطنا هذا عن البحث عن آفاق جديدة في فنوننا المغربية الشعبية الصميمة ، واذا كانت الفنون التقليدية تجلب السواح فان الابداع يجلبهم ايضا ، ذلك ان ملايين السواح الذين يزورون باريس أو روما او مدريد لاينصرف اهتمامهم فقط الى المتاحف والآثار ، كما لا احتاج ان اقول .

باي مبرر يكون اهتمامنا بالقدم اكثر من اهتمامنا بالتطور والاستمرار .

الرباط ــ عبد المجيد بن جلون

كانت لهم اخلاقهم دينا

رسم وقفنا على رسم الوفاء له
نجيش بالدمع ، والاجلال يثنينا !
لفتية لا تنال الارض ادمعهم
ولا مفارقهم الا مصلينا
لو لم يسودوا بدين فيه منبهة
للناس ، كانت لهم اخلاقهم دينا !

اضواء على التاريخ العربي المعاصر

للأستاذ : أنور الجندي

ما زال « التاريخ العربي الاسلامي » يمثل قطاعا خطيرا من مقومات فكرنا واسسه التي طالما واجهت عواصف التغريب وحملات الغزو التي عملت على تحويلها عن قيمها ولبابها ، ولقد كان تاريخنا ولا يزال عاملا هاما في بناء ثقافتنا وخلق وحدة الفكر وتعميقها ، وهو في هذه المرحلة التي تمر بها اليوم — مرحلة ما بعد انتهاء الاحتلال العربي ، وبناء نهضته التي تزعج النفوذ الاجنبي على النحو الذي يتمثل فيه القضاء عليه مما دعاه الى تعميق الغزو الفكري وتوسيع نطاق التغريب والشعوبية — ولا شك كان التاريخ عاملا هاما في بناء الفكر العربي الاسلامي واداة من ادوات دفع هذه الامة الى الحياة والقوة والتطور .

ولقد كانت حملة التشكيك الضخمة التي وجهت للتاريخ العربي الاسلامي . خلال مائة عام مضت عاملا بعيد المدى في هبوط روح الايمان بقدرتنا على احراز مكانتنا الحق في الحياة الانسانية . فقد وجهت الى تاريخنا سهام النقد وفرضت نظريات مريبة تحاول هدمه واثارة الشبهات في بعض مواقفه من اجل صرف الانظار عنه ، او خلق نظرة من الريبة والكراهية والتنفير منه . بينما غلت الدعوة الى الاهتمام بالتاريخ الغربي والتوسع فيه وتقديمه في صور رائعة مغرية ، وقد اتاحت دعوة التغريب للعالم الاسلامي ان تقدم له عشرات الابحاث والدراسات في تاريخ فرنسا وانجلترا وهولندا وعمت الصحف العربية والاسلامية في حملة متصلة لا تتوقف في دراسات متصلة لاعلام الوطنية والسياسة والفكر والاجتماع في الغرب ، تحمل في تضاعيفها التقدير والاعجاب والتحليل لحياة هؤلاء وءارائهم واعمالهم على نحو يدعو الى الاكبار والاجلال ؛ بينما لم يجد اعلامنا وابطالنا ولا مواقفنا الخالدة ولا بطولاتنا مثل ذلك ، ولا امكن ان يتفرغ لها كتابنا الذين اهمهم نابليون وبسمارك وتشرشل ووشنطون وماركس وفرويد .

بل ان الثورة الفرنسية لو احصي ما كتب عنها في الصحف المصرية في خلال نصف قرن لزاد عما كتب عن الثورة العرابية وثورة 1919 ولو احصي ما كتب عن نابليون لزاد عما كتب عن مصطفى كامل ومحمد فريد .

اما في الجزائر والمغرب وتونس فان الموقف يكون اشد عنفا ، فقد حيل بين هذه الاجزاء من الوطن العربي ان تتصل بالتاريخ العربي الاسلامي ولقد اتصلت دعوات التاريخ وتعمقت لدراسة العصور الاولى ، فحرص النفوذ الاجنبي في العالم العربي على دراسة الفرعونية والبابلية والاشورية وحضارة الرومان واليونان وتاريخهما ثم حضارة الغرب منذ اول عهد النهضة وثورات انجلترا وفرنسا وامريكا . ولسنا نعارض في دراسة حضارات العالم او تاريخ البشرية فذلك مصدر من مصادر الثقافة لا حد له ، ولكننا ننظر الى الهدف منه ؛ حين يصادر تاريخ الامة العربية والدولة الاسلامية ويحدد او يحرف او ينظر اليه الا من خلال تاريخ الملوك والصراع بين الامراء والحكام، وفق مخطط يستهدف المقارنة التي تفضي الى احتقار تاريخنا والاعجاب بتاريخ الامم الغالبة المسيطرة الحاكمة ، ومن هنا تنشأ روح الموالاة للغاصب والسير في ركابه ، والاغضاء والنفرة من تاريخنا وامجادنا التي لا تبدو في نظر الاجيال الا صورة من الصراع والخصومة والمواقف المشتبهة او الغامضة .

وليس شك ان فى تاريخ كل لغة ودولة مواقف نقص وقصور ولكنها فى مجملها لا تستطيع ان تقضي على عظمة هذا التاريخ ومكانته ودوره واثره فى المدنية الانسانية والحضارة البشرية .

* * *

وقد واجه « التاريخ » العربي الاسلامي محاولة ضخمة ذات شقين للقضاء عليه اما التشكيك فيه « الاولى » وجهت الى منهجه . و « الثانية » وجهت الى مضمونه .

فقد هاجمت الحملة اسلوب كتابته وعمدت الثانية الى التشكيك فى بطولاته ومقوماته . وذلك بابراز الروايات الضعيفة واذاعتها ، او اختيار مواقف معينة او شخصيات ذات طابع خاص لدراسة التاريخ العربي الاسلامي من خلالها او اتخاذها نموذجا له .

وقد اعتمد الغربيون من المستشرقين فى هذا على كتابات قديمة ومؤلفات كتبها من قبل قدماء الشعوبيين فى حملتهم الضارية على العربية والاسلام وكانت قد قوبلت بردود علمية ومسنده من كتاب ومفكرين لهم خطرهم ومكانهم شارك فيها الجاحظ وابو حيان التوحيدي وغيرهم .

ومن مقدمة ما اعتمد عليه دعاة التغريب فى محاولة تصوير تاريخنا العربي الاسلامي تلك الكتب التي لم تؤلف للتاريخ والتي تناولت الشعراء والقصاصين ومجالس الشراب واللهو ، وفى مقدمتها « الاغاني » لابي الفرج الفرج الاصفهاني والف ليلة ورباعيات الخيام وتراجم السهروردي وابن عربي وابن الراوندي وما نسب الى المعري وابي نواس وبشار ابن برد والضحاك ، ومن خلال هذه النصوص حاول بعضهم تصوير العصور بصورة الشك والمجون على النحو الذي نقله طه حسين فى كتابه حديث الاربعاء .

وفى الجانب الاخر وجه الهجوم العنيف الى كل من كان ذا فضل او عبقرية فى التاريخ العربي الاسلامي كالمتنبي الذي وصف بأنه من غير اب ، وابن الرومي الذي وصفت عقليته بانها فارسية والمعري الذي نسبت رسالته الغفران الى الرهبان وابن خلدون الذى وصف بانه تلميذ اليونان .

هذا فضلا عما اضيف الى تاريخنا العربي الاسلامي من اسرائيليات واقاصيص واكاذيب فقد كتب اغلبه فى ظل الدولة العباسية التي كانت فارسية النزعة ذات سيطرة على فكرها وكتابها ، وكانت تحمل البغض للامويين وللعرب ، وقد غلب الشعوبيون على كتاباتها ولفقوا الاحداث والاقاصيص ، وكثير من الكتاب والمؤرخين قد اتصلوا بالامراء والملوك والولاة والخلفاء ، وكان بعضهم فى ظل هذا المذهب او ذاك من مذاهب الفكر التي كانت فى حقيقتها احزاب سياسية كالمانوية والبابكية والخرمية وغلاة الشيعة واتباع الشعوبية وقد كان ابو الفرج الاصفهاني صاحب الاغاني من اقذع الناس لسانا يخشاه الامراء ويرد موائدهم بملابسه القذرة ورائحته النتنة، فلا يستطيعون رده او مخاصمته خوفا من لسانه وقلمه ، وكان الى ذلك شعوبيا ومتهما فى عرضه وخلته وعقله ، ومع ذلك يصبح كتابه الاغاني مرجعا يحرص المستشرقون واتباعهم على ان يكون مصدرا تاريخيا من مصادر الحكم على القرن الثاني والثالث فيوصف بانه عصر فسق ومجون، ويتخذ من ثلاثة او اربعة من الشعراء الزنادقة المنحلين رمزا للعصر كله ، دون ان تضاف الى ذلك حلقات العلم او دراسات اهل الفضل وحفظة القرءان والحديث والشريعة وهم الذين يمثلون القطاع الاكبر من المجتمع .

وقد قدم كتاب الاغاني للملوك متعة ، وكتب اساسا ليكون عامل ترف للامراء ، ولا شك ان بروز الدعوة فى فكرنا العربي الحديث الى اعادة ما سطره الشعوبيون من اتهامات ومغالطات للتاريخ الاسلامي انما برز فى ظل هدف كبير من اهداف التغريب والغزو الثقافي وحمل لواء دعاة وجهوا لهذا العمل .

واتخذت لهم حركة التغريب مذاهب فى الفكر الغربي تهاجم التاريخ عموما ولا تعترف به ، وتستمد مفاهيمها لمهاجمته من مذهبها فى النظرة المادية الداروتية والتفسير المادي للتاريخ وهي ليست الا نظرية من نظريات عدة يضطرم بها الفكر العربي فى عداء التاريخ وخصومته او الايمان به وتقدير مكانته ولكن دعوة التغريب تطمس دائما هذا الجانب وتفرض ان هذا هو الرأي ، وكذلك فعلت حين هاجم فكرنا العربي الاسلامي بعض كتاب الغرب ، تم اولاه التقدير عدد ءاخر من كتاب الغرب ، ومع ذلك فقد اذيعت نظريات خصوم فكرنا ووسع نطاقها واحتفل باحد دعاتها « رينان » فى الجامعة المصرية فى القاهرة، بينما نظر فى اغضاء الى الذين انصفوا فكرنا وتاريخنا .

* * *

ونظرية التغريب الى التاريخ العربي الاسلامي تحاول ان تشكك فى التاريخ وتحوطه بعوامل التهوين

ونحن لا ندعو الى تقديس التاريخ او وضعه فوق النقد وانما ندعو الى النظر المنصف الذي لا يحمل في اعماقه الحقد او الخصومة .

ولذلك فاننا نقبل نقد التاريخ العربي الاسلامي واعادة كتابته وتصفيته من كل ما علق به من زيوف ولكن ليس بايدي دعاة التغريب وانما بايدي المنصفين، وهنا يبرز علم الجرح والتعديل في معرفة الرجال الذين يتصلون بهذه الاعمال الخطيرة البعيدة المدى في ارساء مقومات فكرنا العربي الاسلامي ، فاننا في اساس النظرة المنهجية نؤمن بالتحقيق العلمي الذي يجعل من اول مفاهيمه واكبر مقوماته « الرجل » الباحث ومدى ايمانه بامته وفكرها فاذا كان من دعاة التغريب او في تاريخه ما يشوب فان كل ما يقوله في تاريخنا يحمل على محمل الاتهام والجري في ظل حركات الشعوبية والتغريب .

ومن هنا كانت دعوة بعض دعاة التغريب الى النقد التاريخي تتصل اول ما تتصل بالكتاب الذين يحملون لواءها ، واذا كان امامي كاتبين احدهما مؤمن بالفكر العربي الاسلامي صادق في نظرته ، لم يتأثر دعوى التغريب والشعوبية وءاخر عرف بماضيه في متابعة مفكري الغرب والدعوة الى القضاء على مقومات فكرنا في الدين او اللغة او التاريخ فعلينا ان نقبل من الاول ونرد الثاني .

ويقرر دعاة مذهب التغريب في النظر الى التاريخ العربي الاسلامي ان مذهب تقديس السلف وتنزيهه عن الصغائر ، ومذهب اسباغ الدين على طور من اطوار التاريخ خطأ ويرون ان الامم في بعض ظروف ضعفها تحاول وهي بسبيل استرداد مجدها القديم ان تكبر من تاريخها وماضيها وتجل اصحابه وتتخذهم مثلا عليا . وعندنا ان هذا ليس عيبا وان مراحل الضرورة تحتاج فعلا الى استغلال التاريخ كقوة دافعة دون ان يكون ذلك على حساب حقائق التاريخ نفسها او تحريفها .

ولكن دعاة التغريب الذين يعرفون ذلك لا يتوقفون عن الاسراع في ضرب هذا الهدف من اهداف الامم التي تحاول ان تتخذ من تاريخها وامجادها قوة لليقظة والحركة ومقاومة الغاصب . واذا هم يسرعون فيوجهون الضربات لهؤلاء الكتاب من ناحية ، ويقدمون صورا لها قوة الذيوع والانتشار تحمل صورة التدمير للعصور الزاهرة والبطولات والمواقف الحاسمة .

وهذا ما حدث بالفعل ، فاننا في الثلاثينات حاولنا ان نجعل من تاريخنا العربي الاسلامي وسيلة لدفع الامة العربية والعالم الاسلامي الى اتخاذ بطولات تاريخه سبيلا لمقاومة الغزو ولاستعادة الثقة في امتنا وقيمنا ومقدراتنا ، بعد ان حاول النفوذ الفكري الغربي المجسد في التغريب اتهامنا باننا لم نكن الا امما تجتاحها الدول من فرس وروم وعرب – اي والله والعرب اعتبرهم التغريب غزاة – .

هنا قام امثال الدكتور طه حسين فحاول ان يصور العصر الثاني والثالث للهجرة على انه عصر شك ومجون : فاذا قام من يعارضه كالمؤرخ الاسلامي رفيق العظم هاجمه في عنف ، وقال له ان التاريخ منفصل عن الوطنية ومنفصل عن الدين . وان محاولة تقديسه محاولة مضللة وانه لابد من النظر الى التاريخ نظرة مجردة ، تشيع فيها الشكوك والاتهامات .

والواقع أن الامم في علاقتها بالتاريخ تمر بمرحلتين «1» الضرورة والبناء وفيها يصبح التاريخ وسيلة فعالة وسلاحا هاما ، وهذه هي مرحلة الضرورة التي تقاوم بها الامة الغزو الفكري والتغريب والشعوبية ونحن في العالم الاسلامي والعربي نمر الان بهذه المرحلة .

2» مرحلة الاستقرار : وهذه يعاد خلالها النظر في التاريخ فيصفى من كل عوامل الخطأ والتزييف على النحو الذي يخلق منه تاريخا علميا .

ولذلك فان دعوة الامم الى طعن تاريخها وتمزيقه وتعريته واثارة الشبهات حوله في ظل معركة البناء ومرحلةالضرورة ، لاشك انه عمل من اعمال الشعوبية، ونحن في هذا ايضا لا ناخذ نظرية من عشرات النظريات في الفكر الغربي لتكون قاعدة نحكم على اساسها او تفرض علينا ، دون تقدير لعدة عوامل ، اهمها : ان مقومات الفكر العربي الاسلامي تقوم على اساس امتزاج عناصر اللغة والدين والتاريخ والتراث ولا يمكن فصل عنصر منها ، فالدين مرتبط باللغة ، والتاريخ مرتبط بالدين وكذلك شان الثقافة والتراث وهذا الفصل عمل وهمي اذ لا يمكن فعلا فصل القيم المتشابكة الممتزجة اساسا .

1» مقدمة كتابه منزل الوحي

ومن هنا حمل طه حسين على احمد زكي «باشا» في دعوته الى احياء امجاد العرب ، وحمل لواء تاكيد فرية حرق العرب لمكتبة الاسكندرية ، وعندما تحول الدكتور هيكل عن هذه المفاهيم ودعا الى احياء الفكر العربي الاسلامي كوسيلة من وسائل النهضة واعترف بانه حاول ان يوقظ مصر والعالم العربي عن طريق الفكر الغربي ثم عن طريق الدعوة الفرعونية ففشل في كليهما ولم يجد سبيلا لليقظة الا عن طريق الفكر العربي الاسلامي ، عندما فعل هيكل هذا هاجمه طه حسين بعنف واتهمه بقصر النظر «1» .

* * *

ولقد كانت حملة دعاة التغريب على « تقديس التاريخ » لا تهدف الى تنقية التاريخ وانما التشكيك فيه ، وعلى اساس قانون الجرح والتعديل لا يدخل هؤلاء الدعاة في نطاق الموثوق بهم ، فقد كانت مؤلفاتهم كلها وكتاباتهم تنصب على اتهام الفكر العربي الاسلامي وانتقاصه . ففي « الشعر الجاهلي » سخر من القرءان والتوراة ، واعلن شكوكه في كثير من حقائق الاسلام والكتب المقدسة . وفي «حديث الاربعاء» حاول ان يصور العصر الثاني الهجري بانه عصر شك ومجون ، وفي « هامش السيرة » حاول تغليب الاساطير على اصول السيرة ، وفي « مستقبل الثقافة » دعا الى الارتماء في احضان الغرب والاخذ بمذاهبه في الحياة والفكر « ما يحب منها وما يكره وما يحمد منها وما يعاب » فالكاتب الذي يحطم ايدي امته حين تتمسك بتاريخها لتقاوم به الغزو الفكري الغربي والنفوذ الاستعماري فيتهم تاريخها ويعلن ان التاريخ يجب ان ينظر فيه على اساس الشك والنقد واعتبار ابطاله اناس عاديون يجري عليهم ما يجرى على الناس ، لا يستطيع ان ينال ثقة امته ولا ياخذ في فكرها مكانا عليا .

وقد هاجم رفيق العظم فكرة اعتماد الدكتور طه حسين على اخبار القصاص في تصوير العصر الثاني والثالث للهجرة بانه عصر شك ومجون ، حين اشار الى ان مثل هذه من كتب القصاص وضعت في ظرف اراد به الخلفاء صرف الناس عن اخبار الخلافة والسياسة . ومثل الف ليلة وليلة وقصة عنترة العبسي وواضعها مجهول واخبار الفتوحات . وقد تنافس الرواة والقصاصون في تدوين الاخبار ووضعها تارة مجموعة وتارة متفرقة في كتب الادب كاخبار العشاق والشعراء والبخلاء والكرام وغير ذلك فكان منها الغث والسمين ومنها الملفق والقريب من الصحة ـ وقد غالى بعض الاخباريين في ايراد اخبار المجون والتهتك والانغماس في الشهوات مغالاة تكاد تشهد على نفسها بالغلو والتلفيق لما فيها من العبث بالاخلاق والتجرد من كل معنى الادب، ولا اظنني مخطئا اذا قلت ان ما نقل من هذا القبيل عن ابي نواس واضرابه من شعراء ذلك العصر ـ وهو ما اعتمد عليه طه حسين ـ انما هو تلفيق قصصي يراد به احد امرين : اما تشويه سمعة بعض الخلفاء العباسيين كالرشيد والمامون، واما ستدهم العامة الى تلك القصص المخزية والروايات الملفقة . والذي جوز الشك في قصة ابن عبدوس يجوز الشك في صحة اكثر القصص والروايات التي نقلت عن ابي نواس وغيره من شعراء المجون وثبت انها قصص موضوعة ليس لها قيمة تاريخية فلا يصح ان تتخذ مثالا صادقا لذلك العصر «2» .

ولقد حفلت الابحاث التي كتبها المستشرقون والمبشرون ومن لف لفهم من كتاب الغرب باتهامات واثارات للتاريخ الاسلامي والعربي تتعلق بشخصية النبي ومعاركه وحياته الاجتماعية وتتصل بمختلف اعلام التاريخ العربي الاسلامي ، وقد قامت هذه الكتابات المتعصبة على اساس من اتجاه كتابها ومفاهيمهم ، وقد اصبح هؤلاء معروفون في مجال الفكر العربي الاسلامي .

ولا يخفف من غلوائهم الا اننا نجد هناك من كتبوا عن التاريخ العربي بانصاف وتقدير .

ومقطع الراي في هذا هو ان الدول الاستعمارية ذات النفوذ السياسي او الديني تحاول ان تجد من كبار الكتاب في الغرب دعاة لها وادوات لغزوها الفكري فتتيح لهؤلاء رحلات قصيرة الى الشرق ، وتكون وسيلة لكتابات مضطربة غامضة فيها حملات تتسم بالقصور عن الفهم والدرس ، لانها لم تمكن كتابها من تحقيق فكري او بحث علمي . وفي هذا يقول مستر جب في كتابه « المحمدية » ان مؤلفات المبشرين عن الاسلام والعرب تصدر عن اولئك الذين يحكم تفكيرهم الاعتقاد بان الاسلام دين منحط وان بعضهم جرى بقدم في تفهم الاسلام ، ومع ذلك فلا تزال الاحكام السابقة والاراء المغرضة تلازم موقفهم من الاسلام .

«1» مقدمة كتابه « منزل الوحي » .

«2» اقرا المعركة في كتابنا « المعارك الادبية »

وفي الناحية الاخرى يبرز كتاب منصفون لا يتصلون بالنفوذ الاستعماري وادواته ، فيكتبون بناء على دراسة او بحث عميق ومن هؤلاء جوستاف لوبون واميل درمنجم وتوينبي وغيرهم « 1 ».

ولسنا هنا في سبيل احصاء الاتهامات والاخطاء او الشبهات والشكوك التي واجه بها كتاب غربيون – واتباعهم من رعاة التغريب والشعوبية – التاريخ العربي الاسلامي وذلك له مكانه في دراسة متخصصة ، غير انه يمكن رد هذه الاتهامات والشبهات الى عدة عوامل :

1 – القصور في الدراسةاو الاعتماد على مراجع شعوبية او تغريبية .

2 – التحيز لوزارات المستعمرات والخارجية في الدول الاستعمارية .

3 – الموالاة لدعوات الغزو الفكري المنطوية خلف اليهودية العالمية او الشيوعية او الشعوبية والتغريب .

4 – محاولة خدمة نفوذ الاديان او الكنائس الغربية .

والمعروف ان هذه الجهات جميعها ترصد مبالغ ضخمة في ميزانياتها كل عام لعمليات التبشير في مختلف انحاء العالم الاسلامي وخاصة « اواسط افريقيا وجنوب شرق ءاسيا » وانها قد خدعت كثيرا من الكتاب في العالم العربي لكتابة ابحاث لها طابع معين هذا فضلا عن دعاتها واتباعها المنبثين في كل مكان ، وما يصدر باسمهم من صحف زاهرة ، او مؤلفات انيقة .

«القاهرة» انور الجندي

1» انظر كتابنا « الاسلام في غزوة جديدة للفكر الانساني » .

دفاعا عن الكتب الصفراء

للأستاذ محمد الحمداوي

حدثنا ديورنت في مقدمة كتابه (قصة الحضارة) عن فتاح حوتب انه منذ خمسة آلاف عام قال : « انظر كيف يمكن ان تتعرض لمناواة الخبراء في المجلس ، انه لمن الحمق أن تتحدث في كل ضروب المعرفة) واحسن ديورنت نفسه القول حين قال « ومثل هذه المغامرة لاتستند على شيء من العقل » .

ومثل هذه الحكمة مذكورة عندنا في (الكتب الصفراء) ولكن الاستاذ عبد الكريم غلاب حين دعا للتخلص من ثقافة هذه الكتب الصفراء فهو لاشك قد اعرض عنها ، ومن اعرض عن اخذ الحكمة من الكتب الصفراء التمست له الحكمة من الكتب البيضاء فمن قبل قال ابن تيمية « ومن ادمن على اخذ الحكمة والآداب من كلام حكماء فارس والروم لايبقى لحكمة الاسلام وآدابه في قلبه ذلك الموقع » . قال ذلك في كتابه « اقتضاء الصراط المستقيم » وهو والله مطبوع على ورق اصفر : ولو تخلص علماء شرقيون ـ وعلماء غربيون كذلك ـ من تاثير ثقافة الكتب الصفراء لما كتبوا ما كتبوا عن علم ابن تيمية وآرائه في السياسة والاجتماع المجلدات ، وعلى كل حال فاننا نفهم من هذه الحكمة التي نقلها ديورنت وهو عالم غربي جديد عن حكيم مصري تغلغل في الاقدمية حتى الصميم ، نفهم منها ان الاستاذ عبد المجيد بن جلون كان على جانب كبير من الفهم و تقدير الاشياء والنفوس حين استهول النقد (واستهول ما يتطلبه من معرفة استقرائية) بموازين النقد وأدواته ، وبالناس وتاريخ الناس ، ودوافع الناس للكتابة ، وبنفسية الناقد نفسه ، وما قد تكون تحمله هذه النفسية من (ذكريات راسبة او عائمة) تجعله يبطر الحق ويغمط الناس ، ونفهم منها ايضا ان الدكتور زكي المحاسني كان على شيء كبير من فقه الادب ، وفقه الاخلاق ، حين أثنى على آداب ابن جلون وثقافته ، ونفهم منها ثالثا أن الاستاذ عبد الكريم غلاب كان على شيء غير قليل من عدم تقدير الاشياء والنفوس حق قدرها حين نصب ميزانه يزن الناس واشياء الناس بغير موازين من اصول العلم وقواعد النقد ، وانا لا ادعي اني بمقالات الاخوان التي تعرض الاستاذ عبد الكريم غلاب لنقدها، بالاطراء او الاخفاء خبير ، ولكني بمقالي الذي كتبته نقضا ـ لا نقدا ـ لدعوى ان (ثقافة القرآن ثقافة عالمية) ان شاء الله خبير ، لذلك سأتعرض له بتلك المناواة التي حذر منها حوتب كل من يتحدث في كل ضروب المعرفة في كلمات معدودات .

لقد كانت بضاعتي غير راجحة في ميزان الاستاذ غلاب حين تحدث عنها فقال : « وفي قسم الدراسات الاسلامية من العدد مناقشة عن ثقافة القرآن والثقافات العالمية في جزئها الثاني وما يزال (1) الاستاذ الحمداوي فيها يناقش الاستاذ الوزاني عن معنى عنوان مقاله : هل يراد به كذا ... او يراد به كذا ... وسياق الحديث يقتضي كذا .. الخ متى .. متى يهدف الباحثون والكاتبون منا الى الهدف راسا دون مقدمات ؟ ومتى نتخلص من ثقافة الكتب الصفراء، التي ننفق معها عمرا من عمرنا ونحن نحاول أن نفهم معنى عنوان يتركب من مضاف ومضاف اليه ، هل الاضافة فيه معنوية ، او ليست محضة معنوية ....؟ » واحسب ان الاستاذ عبد الكريم غلاب حين زعم ان مقالي في جزءيه عبارة عن مناقشة لاتزال لم تتمم لعنوان مركب من مضاف ومضاف اليه ، أحسبه انه وقع فيما وقع فيه ذلك الرحالة (2) المصري الذي زار المغرب منذ سنوات قبل الاستقلال فلما نزل الدار

---

1) الصواب لايزال
2) محمد ثابت

البيضاء ركب الحافلة الى (درب السلطان) وكانت الحافلة اذ ذاك تنزل الركاب امام وكر للبغايا ، ولما نزل المسكين دخل ولم يخرج الا بعد ان لقي منهن ما لقي كما قال ، فظن انه قد غرر به وان الحافلة خاصة بحمل الركاب الى هذا المكان ، ولو انه اطال التجوال واكثر السؤال ، لعلم ان هذه الحافلة التي اقلته اقلت جميع ركاب درب السلطان ، وان فيه من غير هذا المكان المساجد والمآذن ، والمستشفيات والمدارس ، والحدائق والمتاجر ، كذلك كان رحالتنا الناقد حين نظر الى الجزء فغاب عنه ادراك الكل وحين قصر النظر ، فاخطأ في الادراك ، وحين ضيق الحكم فما اصاب الصواب ، ومن يدري أن ذلك كان (الذكريات عائمة او راسبة) كما يقول الاستاذ عبد المجيد بن جلون ، ولو انه سمح لنفسه ببعض التأمل ، لو انه اعطى لفكره ــ وهو صاحب (نبضات فكر) ــ بعض الوقت لينبض في النقد كما نبض في الانشاء ، لو انه فعل ذلك أو بعضا منه لعلم ان مقالي في جزءيه لم يكن مناقشة لفظية لاتزال لم تتمم لعنوان مركب من مضاف ومضاف اليه ؛ حبا في التوسع في شرح الالفاظ ، وتمطيط الكلام ، فانا الذي قلت في المقال نفسه « لا مشاحة في الالفاظ اذا صحت المعاني » ولكنه كان نقضا لدعوى ؛ ابتدأ في جزءيه بمقدمة وانتهى بنتائج، ابتدأ بشرح الالفاظ وانتهى باثبات معان ، ابتدأ بابطال احكام وانتهى باثبات احكام ، وبحجج من بينات الآي ، وصحيح الاحاديث ، وثابت الانقال ، ومقارنة النصوص، ومقابلة التعاريف ، ولو انه انصف لعلم ان في الانصاف الحسنى وزيادة ؛ لعلم انه في جزءيه حين استهدف لم يستهدف سوى (ابراز حقيقة الاسلام في عقيدته الاصلية ودفع الشبهات عنها) وذلك بعض ما دعا اليه هو نفسه في مقال له ، ولعلم ان فيه النهي عن بعض ما نهى عنه هو وبالتصريح لا بالتلويح ، فليرجع اليه والى مقاله في مجلة (الايمان) ان شاء . واذا ما قلب فيه اللفظ على جميع وجوهه ، وصرف الى جميع احتمالاته ؛ والتمس في دلالته على معناه بالمطابقة وبالتضمن والالتزام ، فانما كان ذلك لقطع معاذير في ادعاء دعوى والتماس معاذير في نقض دعوى ، وفي المقال قلت « وانما الالفاظ بمعانيها ، وانما المعاني بما تؤيدها من حجج العقل ودلائل الشرع » ؛ ودعوى الخطأ او الصواب في انتاج الناس ليس بالامر الهين يا اخي عبد الكريم ، فاذا ما رايتني اطلت الشرح والتبيان ، فانما ذلك لادرأ عن نفسي حدود الاتهام في دعوى الخطأ فيما ادعيت انه خطأ ، ودعوى الصواب فيما رايت انه صواب ، والالفاظ يا اديب العرب بدايات ، لابد من تناولها في دلالتها على معانيها حسب قواعد تركيبها في الالسن واللغات ؛ ومن ثم كان ناقدا بصيرا ذلك الذي قال : « ان معنى كلمة من الكلمات ليس بالامر السهل » وقال « ان لكل جملة معناها حسب تركيبها المنطبق على قواعد النحو والصرف » واطمئنك يا اخي عبد الكريم على ان قائل هاتين الجملتين ليس من اصحاب المضاف والمضاف اليه ؛ وليس من اصحاب ثقافة الكتب الصفراء ، انه ناقد انجليزي بقواعد النقد خبير ، انه لاسيل ابركرومبي، قال ذلك في كتابه (قواعد النقد الادبي) الذي ترجم الى لغة الضاد منذ عشرين سنة خلت او توشك ، انك في كتابة النقد غيرك في كتابة الانشاء ؛ انك في الانشاء انت ونفسك ؛ اما في النقد فانك مع غيرك ؛ فلئن كان من الشجاعة الادبية المرغوب فيها ان تقول للمصيب اصبت ، وللمخطىء اخطأت ، فان من الجرأة غير المرغوب فيها ان تقول ذلك بدون حجة ولا برهان، قل لي ايضا انني حملت كلامك في نقد مقالي فوق ما يتحمله كما قلت لي ذلك منذ اربع عشرة سنة خلت حين كتبت الي ، وبالضبط في اليوم الثاني عشر من شهر ابريل 1950 رسالة تعتذر فيها عن نشر مقال لي مع وصفك اياه بانه (مقال قيم) ، اتذكر ؟

ثم اذا ما بدا لك ان دعوى (ثقافة القرآن ثقافة عالمية) جملة لفظية مركبة من حروف وكلمات ، فقد بدت لمن ناقشها في اللفظ وفي المعنى انها قضية كبرى تحتوي على اصدار حكم قد تكون له من التبعات والعواقب الوخيمة على الفكر وعلى العقيدة ما اوجب دحضه قبل أن تكون ، واذا رايت انت ان اطالة البحث والتقصي في معرفة الالفاظ الدالة ، والاحكام الصادرة والاحكام الناقضة ، من الاساليب البالية التي تركتها الكتب الصفراء تقليدا لمن قال ذلك قبلك ممن كانوا قد (دفنوا الماضي) من بعض الكتاب الشرقيين ، فاني اخالفك وارى ان ذلك اصبح من الاساليب الجديدة في الغرب الجديد ، كما كان من الاساليب القديمة في الشرق القديم وفي الفكر الصحيح من الشرق الجديد ، فلقد اثبت «الدوس هكسلي» في كتابه (الغايات والوسائل) (Ends and means) وهو يشرح ماهية التفسير The Nature of explanation اثبت ان العقل غير المنظم هو الذي يختصر ليسرع ، ويبسط ليرتاح ، ويجمع ليقرب ، وان العقل المنظم ، هو الذي يستشكل ليحل ، ويستصعب ليسهل ؛ ويعقد ليبسط ، ويشرح ليعلم الضار من النافع ، وطلب ان يكون ذلك في الانسانيات

كما هو في الطبيعيات ، قال « ان اولئك الذين يصوغون تفكيرهم في تعليل واحد للاشياء ، لن يكونوا لهم اي نصيب في ان يكونوا من رجال العلم المتضلعين ، واذن فقد اضاعوا كل شيء » ثم قال « اننا لا نستطيع ان نعالج مشاكلنا الانسانية بفعالية حتى نحذو حذو العلماء الطبيعيين ، ونخفف من استمرارنا في تبسيط تعليل الاشياء » (1) انتهى منه بنصه وفي اصله (2) .

اخي غلاب ، اذا تساءلت قائلا « متى .... متى يهدف الباحثون والكاتبون منا الى الهدف راسا بدون مقدمات » فاني اسالك وعلى شاكلة اسلوبك ، متى .... متى كانت الاهداف بدون اطراف ؟ متى كانت المسببات بدون اسباب ؟ متى كانت النتائج بدون مقدمات ؟ بل ان حتى بعض النتائج قد تكون مقدمات لنتائج اعلى منها كما قرر ذلك من زعموا انه (المعلم الاول) ان المقدمات يا اخي مفروضة بسنة التطور ، ان ربك لم يخلق الارض قبل ان يخلق السماوات ، ولم يخلق الانسان قبل ان يخلق الارض ، ولم يخلق النطفة قبل ان يخلق التراب ، الخ .. الخ .. ولكن هل خلق ربك الميزان قبل ان يخلق عياراته ؟ ذلك ما اسالك عنه ياصاحب الميزان .

اخي غلاب ، لاتشفق على اخيك اذا (انفق عمرا من عمره مع الكتب الصفراء) ، فان عالما اوربيا بذل دمه في احدى قبائل صحراء شنقيط من اجل الحصول على كتاب واحد من هذه الكتب الصفراء ، ان هذه الكتب الصفراء التي ازدريتها واحتقرتها ، ودعوت التخلص من ثقافتها ، هي تلك الكتب التي تحدث عنها عالم بحاثة كبير ، ومؤلف منهجي شهير هو الدكتور « صبحي محمصاني » حين قال «ومعلوم ان معظم هذه المناقب ان لم اقل جميعها مطبوعة طبعا قديما متلاصقا على ورق اصفر رخيص هذا الى ما فيها من الحواشي والهوامش ، قال : فكان من نتيجة ذلك ان صعبت مطالعتها ، واورثت في بعض الناس ضجرا فتركوها ، او هجروها ، متأثرين بالشكل الخارجي دون الجوهر قال : فانا خالفت هؤلاء وعشقت الكتب الصفراء لانها تخزن من الكنوز الفكرية ما يفوق التقدير ، ولانها تحوي ثمرة الجهود الجبارة التي قام بها الاسلاف في هذا الميدان ، وزبدة الافكار القيمة التي تركوها «3» هـ.

ولو شئت الزيادة لزدت ومن النقل اطلت ، ولكني رايت الاطالة هنا في غير طائل .

واذا رحم الله اقواما للتخلص من ثقافة هذه الكتب الصفراء بالاصالة فان اقواما ءاخرين لا يسعهم التخلص منها وهم من البانها قد رضعوا وفي احضانها قد نشاوا وفي بيئتها قد ترعرعوا ، اليس من قواعد الوراثة وعلم النفس المدونة في الكتب البيضاء ، أن من شب على شيء شاب عليه؟ وكيف يطلب التخلص من « تاثير ثقافة الكتب الصفراء » وفيها ، فوق ما فيها من كريم المصاحف ، وشريف الاحاديث ، فيها من قواصم ابن العربي ما يقصم الظهور ، ومن علم الشاطبي ما يعصم من الحشو ، ومن ردود ابن تيمية ما يدحض الشبهات ، ومن ادب ابن القيم ما يقوم الاسلوب ، « وعلى هذا «4» النحو فانح » .

وبعد ، فقد روي عن علمائنا الاولين انهم فيما الفوه في قواعد البحث العلمي قالوا « اذا كنت ناقلا فالصحة ، او مدعيا فالدليل » والاستاذ عبد الكريم حينما قال ما قال عن مقالي لم يات بنقل صحيح ، ولا دليل قاطع ، ولذلك رددت عليه بما شاء الله ان ارد ، ورحم الله من علمائنا الاولين من قال « وما منا الا راد ومردود عليه الا صاحب هذا القبر » .

وخاتمة ، وهي ان الاستاذ عبد الكريم غلاب على كثرة ما دعا الى اتباع اسلوب البحث العلمي في « الدراسات الاسلامية » لم يكتب في يوم من الايام ، وحتى يوم كان ينتقد « الرمضانيات » بحثا علميا اسلاميا يكون به قدوة لمن دعاهم الى اجتناب اسلوب الوعظ ، واسلوب ثقافة الكتب الصفراء في كتابة الدراسات الاسلامية ، ولو انه فعل لنال الجزاء من الله والناس ، ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات .

الدار البيضاء — محمد الحمداوي

---

1) ذكر الدكتور فرانتزروزنتال في كتابه (مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي) ان لفظة (انتهى) كانت من علامات الاقتباس عندهم ، وذكر ان ابن حجر قال انه كان دائما يستعمل لفظة انتهى للدلالة على انتهاء الكلام الذي نقله او اقتبسه ص 108

2) الترجمة العربية Huxley. Ends and means. 1951. Chatto and Windus. London

3) من مقدمة كتابه « فلسفة التشريع في الاسلام »

4) عنوان مقال لي كتبته في العدد الثاني من السنة الاولى من « دعوة الحق » استخلصت فيه اسس الادب من علم الكتاب .

شرق وغرب

للأستاذ: أحمد الجندي
سكرتير المجمع العلمي العربي بدمشق

خلف هذا العنوان راي اعتقدته منذ زمن بعيد ، اي منذ اليوم الذي اخذت اطلع فيه على كتب الادب فى اللغات الاخرى سواء ما ترجم منها الى اللغة العربية ، او ما قرأته بلغتها الاصيلة ، اما هذا الراي فيتلخص فى ان الشرق شطر من العالم اوجدته الطبيعة ، وحباه الله بخصائص خاصة يمتاز بها عن سواه، وينحاز فيها لا يشاركه بها الشطر الاخر، وان الغرب ايضا شطر ثان تختلف الوانه واخلاقه وخطوط تكوينه عن الشرق ، وهذا الاختلاف ظاهر الاثار بين المعالم بحيث انك لو اردت طمسها لما استطعت او حاولت اخفاءها لما قدرت ولا خفقت .

ولا يضير هذا الاختلاف الظاهر احد الشطرين ولسنا هنا بمعرض المفاضلة او المقارنة ، ولكننا نريد ان نقرر هذا الامر لمحاولة بعض الناس انكاره بدافع الانسانية المتسعة الجوانب وبتأثير النظرة العالمية التي لا تعترف بالحدود والمعالم ، ولقد سبق الى هذا الراي وقرره علماء كثيرون وادباء معروفون فراى المعتدلون الانسانيون فى ءاراء مخالفيهم مخالفة فاضحة للنظرة الشاملة فدب الخلاف بين الرايين وكنا دائما الى جانب اصحاب التفريق ولو كره الكارهون .

ولكن بعضا من المفرقين هؤلاء قد املى عليهم رأيهم التعصب الذميم بصوره المختلفة واشد انواع هذا التعصب هو اللون الاستعماري الذي يبرا الانصاف منه ولا يتناوله الوجدان العلمي الذي لا يعرف غير الاخلاص سبيلا ، فرديار كيلنج الكاتب البريطاني المعروف قد قال كلمته المشهورة : الشرق شرق والغرب غرب ولن يلتقيا » معتمدا فى ذلك على ان الغرب خير من الشرق ، وبالتالي فان هذا الغرب بما له من ميزات وتفوق ينبغي له ان يحكم الشرق وان يسيطر عليه للاخذ بيده ورفع مستواه على حد تعبير الفئة المستعمرة الباغية خدمة للانسانية وشفقة على الشرق المتاخر المتقهقر .

فالكلام فى مثل هذا النهج غير خالص لوجه الحقيقة والواقع ، وانما هو راي يدفعه دافع من طمع وجشع وهو دافع يجعل كل راي غير صحيح ، وكل قول غير حق ، وهذا الاستطراد قد لفتنا اليه ما قد يعتور الراي الذي نقول به من اساءة الفهم او الظن ، فنحن لا نقصد الى هدف سياسي او تعصبي غير مبني على المنطق الصائب وانما نقصد الى الحق وحده لاننا نرى ونؤكد ان الشرق يختلف اختلافا بينا عن الغرب فى ميزاته كلها ، واللون الشرقي بعيد عن الغربي فى كثير من الامور وخاصة فى الفنون ، وقد يقرب منه فى احيان قليلة ولكن الفرق لا يزول بين الجانبين على كل حال .

هذه هي الحقيقة التي نريد تقريرها فى حديثنا هذا .

والذي يهمنا فى الموضوع قبل كل شيء الاداب والفنون ، فالشعر وهو الادب الذي نقصد اليه لون من الوان الحديث معروف فى كل لغات العالم تقريبا لانه مزيج من اللغة والموسيقى ، او هو الكلام المنغوم اذا اردت التحديد ، وهذا التنغيم هو الفرق الاساسي الهام بينه وبين النثر ، وربما وجدت بعض الجمل المتساوقة المنغومة فى النثر ، الا ان هذه الموسيقى النثرية قصيرة الامد ، مختصرة الجرس ، غير ظاهرة النبرة ، ولا واضحة النغمة ، والشعر ، هذا التعبير الموسيقي الجميل مبثوث فى العالم كله ، ولكنه منقسم الى شرقي وغربي ولقد قرانا الشعر

الفرنسي والانكليزي والالماني والاسباني والايطالي قراناه مترجما في اكثره فاعجبتنا منه بعض المعاني السامية والاخيلة الرقيقة ولكننا كنا نفس بهذا الاعجاب فلا نسيغه كله بسبب بعض الغرابة التي تبدو لنا في هذا هذا الشعر الذي يتصل بالاداب اليونانية القديمة او الاداب اللاتينية المنسوخة عنها على بعض التحريف كنا نانس بهذه المعاني التي تتشابه مع المعاني الشرقية بصورة عامة ، والعربية بشكل خاص اعني بهذا الخيال المعتدل والتفكير المعقول ، اما هذه الاساطير المخترعة ، وهذه التجسيدات الدينية فلم نكن نعرف لها جمالا اللهم اذا اردنا ان نتظاهر بذلك ليقال عنا باننا مثقفون واننا قارئون مطلعون ، او لان من ينكر تمثل مثل هذا الادب الغريب عنا البعيد منا كان يعد في التافهين الجاهلين كانما الفهم وقف على هذا الادب المطعم الذي خصه الله بقول دون قول ، كما وزع الاشكال والالوان واللغات بين البشر.

ولو قرات للامرتين الفرنسي او لغوته الالماني او لبيرون الانكليزي لرايت عند هؤلاء المعاني القريبة المآخذ من ابناء العروبة ، في اشعارهم التي يعبرون بها عن هواجسهم الشخصية وافكارهم الداخلية ويناجون الطبيعة والحبيب ، ويشكون من الحياة والاقدار ، وهذه الموضوعات كما ترى لا يختلفون فيها عما تحدث عنه شعراء العرب من العذريين والعباسيين وقبلهم الجاهليون ، ولكن العرب لم يتكلموا على طريقة القصص ، ولم ينظموا على النمط التمثيلي وهم في هذا متباينون مع الغرب ، وهو ما يؤيد نظرتنا من حيث التفريق بين الشعر الغربي والشرقي يضاف الى هذا ان الاوزان الشعرية الغربية هي غيرها عند الشرقية ، وخاصة في الشعر العربي والفارسي والتركي ، لان الوزن الشرقي قوي النبرات واضح النغمة لو قراتها بصوت مرتفع لاعطاك ما يشبه المشي المتزن الرتيب ، في حين ان الوزن في الشعر الغربي اميل الى الليونة والانسياب والتخلع بحيث لا تكاد تحس بانتهاء المقطع او بابتداء المفصل ، وهذا ما يجعل الشرقيين ضعيفي الالتفات الى الوزن الغربي الا بعد مران طويل والفة مديدة ، وكثيرا ما يضطر ابناء الغرب انفسهم في وزن الابيات الشعرية الى تعداد الاوتاد التي تتالف من الاوزان وهي التي تقوم مقام البحور في الشعر العربي .

ولو زدنا على ما تقدم ان طبيعة الارض في الشرق تختلف عنها في اوربا مثلا لكان لنا فارق آخر يؤثر في الشعر وبقية الفنون والاداب تاثيرا لا ينكر ، فالشرق بلاد شاسعة واسعة تقل نسبة عدد السكان فيها وتصهر اجواءها الحرارة المتقدة ، ويخيم عليها جو من الجو والحرمان احيانا ، وجو آخر من صفاء الذهن والقريحة والسريرة فالعربي بصورة خاصة والشرقي بشكل عام ، اذا تحدث اليك كان حديثه واضحا وضوح هذه الصحراء الممتدة حواليه المحيطة به من كل جانب ، اما الغرب فجبال تختلط بها حراج وتشتبك فيها انهر وتشتجر بساتين ينحسر دونها النظر ويقصر عن مداها الطرف ، والمدن فيها كثيرة والقرى متعددة والمياه مختلفة ملونة متنوعة بين كل بلد وآخر وبين كل قطر وقطر من هذه القارة القديمة الاوروبية ، لذلك فالفكر معقد والذهن غائم اشبه بهذا الجو المكفهر الذي احدق به واحاطه ، فاذا تحدث اليك فانما يتحدث متأنيا متباطئا متعمقا متتبعا للامور من اولها حتى آخرها بما يكد ذهنك ويرهق استماعك .

كل هذه الفروق التي عددتها لك تتناول التفكير الادبي والفني والفلسفي مما له علاقة بالتجريد العقلي وهذا لا يمنع من القول ان هنالك فكرا وآراء عامة انسانية ، وهي وان كانت معدودة الى انها مشتركة بين الامم قاطبة قاصيها والداني ، شرقيها وغربيها ، ولكن الفني ليس فكرا فحسب ، وانما هو فكرة ولفظة تنسجمان وتتساوقان في تيار واحد ، بل انا لا ابالغ اذا اعتقدت ان الاداب ترتكز في مادتها الاصلية على انها لفظ والاسلوب هو الرجل كما قيل ، اي ان الاديب يعرف بطريقته في استعمال الالفاظ التي يعبر بها عن رايه ، وهذه الطريقة هي التي تفرق بينه وبين غيره من الكتاب في حين ترى المعاني عند الادباء او عند اكثر الادباء مشاعا مشتركا، يتناوله كل من اراد به ولا تخرج المعاني النادرة او الافكار الجديدة التي لا مثال لها الا على الافواه القليلة النادرة من العباقرة الملهمين .

ولو اخذت اللغات الاوروبية الى جانب لوجدتها متشابهة في النبرة ، والنغمة ، ومخارج الحروف ، ثم لو التفت الى اللغات الشرقية لوجدتها متقاربة من الجانب الاخر ولكنك ترى الفرق بعيدا جدا بين مجموعة اللغات الغربية ومجموعة اللغات الشرقية .

لذلك فان فهم الادب الغربي لابد له من مراس ومران واعتياد حتى يمتزج بالقرائح ويخالط الاذهان وفهم روح اللغة يحتاج الى ادمان سماعها والعيش في جوها وادامة التحدث بها لتجري مع الدم ويعيشها الانسان كانه احد ابنائها ، الى ان يستشعر الالفة معها وينسى انه غريب عنها .

اما الموسيقى فامرها اعظم وقضيها اكثر تعقيدا وابهاما ، لان لغة الاداب والفكر اسهل على الفهم واشد وضوحا فى حين ان لغة الموسيقى مهما تكن واضحة موسيقيا لابد ان تبقى مستغلقة ولا يتأتى فهمها الا على وجه التخمين والتقدير والتقريب ، والتعبير الموسيقي كما لا يخفى يستند الى الاصوات الصادرة عن الانسان او الالة ، ويختلف التغيير بسبب الازمان الفاصلة بين كل صوت وءاخر ، وقد تضيق هذه الفواصل احيانا كما انها تتباعد احيانا اخرى وقد امتازت الموسيقى الشرقية بتضايق هذه الفواصل لدرجة دقيقة جدا فى حين ان الموسيقى الغربية ليس فيها الا الفواصل المتباعدة ، وهذا ما يجعل الاصوات الصادرة عن الموسيقى الشرقية متوازنة تنتقل بترتيب وبشكل منسجم متناسب فى حين ان الحوار فى الموسيقى الغربية تنتقل بما يشبه الوثوب من درجة الى اخرى بشكل يتبو على الاذن الشرقية المعودة على الرتابة والانتقال الهادىء الرزين.

فالموسيقى الغربية اذن لا تعتني بالانتقال المرتب المتوازن وانما هي ترمز الى افكار معينة يهمها التعبير عنها فى حين ان الموسيقى الشرقية لا تهمها الفكرة كثيرا بل يهمها ان تتاثر الاعصاب بالاصوات الرتيبة ــ المتساوقة ، ومن هنا اعتمدت الموسيقى الغربية على الانسجام الموسيقي « الهارموني » كما اعتمدت الشرقية على « الميلودي » .

بقيت هناك فكرة هي خلاصة هذا الموضوع وتتلخص فى ان تطعيم الشعر الشرقي بالغربي غير جائز ، وكذلك فى الموسيقى ، ولهذا فان بعض المتاثرين بالادب الغربي لم يتوفقوا الى الفن فى حشرهم « الرمزية الفرنسية » فى الشعر العربي كما لم يتوفق عبد الوهاب فى اقحام الموسيقى الغربية على الشرقية ، لانك لا تستطيع ان تجمع بين النقيضين فى حين واحد ، ولان خصائص الفن لا يمكن نقلها من فن لاخر فى حين يمكنك نقل الشىء العام المشترك . ولان هناك فنا يسمى بالفن الشرقي ، وفنا ءاخر هو الفن الغربي ، ولا سبيل الى صهر الفنيين فى بوتقة واحدة لاختلاف مادتيهما .

اما الذي يكابر فى هذ الموضوع فهو حتما غير واقف على الجهتين ولا متعمق او عارف بهما وانما يقول ما يقول عن سطحية بالغة ، وعن احساس مبهم غير واضح ، او يكون ممن يتحدثون بالشىء على سبيل التظاهر بالمعرفة ، وهو تظاهر لا يؤدي بالنتيجة الا الى الراي الفائل والتفكير الفقير .

دمشق ــ احمد الجندي

سكرتير المجمع العلمي العربي بدمشق

الغزو العسكري ... والغزو الفكري

وجه الخطر فى الغزو الفكري ، انه يستهدف روح الامة ، وجذورها ، فلا يلقيها الا وهي اشبه بثمرة امتص رحيقها،فلم يبق منها غير القشور والنوى ، وما ذاك الا لانه يمسخ شخصية الامة ، اي نبع الاصالة والابداع فيها فيشلها عن النمو والحياة ، بينما لا ينجح الغزوالعسكري فى اكثر من تخريب مظاهر السكن والعمران وهي امور يمكن تعويضها ، لانها لا تمس جوهر الحضارة ولا روح الامة .

لغة الفرس

بين الماضي والحاضر

للدكتور: عبد اللطيف السعدالي

رغم ان الامة التي احتضنت اللغة الفارسية في قلبها والموطن الذي رباها في مهد ترابه يسمى ايـران يعني موطن الاريائيين النازحين من الهند (1)، فاننـا نجد ان هذه اللغة تعرف بالفارسية ، كما نجد العرب يطلقون على هذه البلاد : فارس . ولكن الحقيقة هـي ان هذا الاسم الذي سميت به ايران كلها لم يطلق اولا من طرف اليونانيين الا على القوم الذين كانوا يسكنون منطقة بـارس Parsa جنوب ايران . اما اللغـة الفارسية فانهالم تتسم بهذا الاسم الا بعد الفتح الاسلامي لهذه البلاد . فاللغة الفارسية اذن تنحدر من اللغات الهند الاوبارئية ، وهي لذلك لغة آرية . لقـد تخطت هذه اللغة مراحل في ميدان الزمن الى ان وصلت الى ما نعرفه عنها اليوم ، ويمكن تتبع خطواتها في وثائق مكتوبة خلال مدة تقرب من ثلاثة الاف سنـة .

1) الفارسيـة القـديمـة :

نسبت الى بارس موطـن قـوم بـارت PART : خرسان القديمة) وهي مـن اقـدم ما نعرف مـن النصوص الايرانية تتمثل في نقوش دولة الاكمينيين (2) وهذه اللغة محدودة للغاية اذ انها ليست مسجلـة الا على الصخور والاحجار البنائية والمزهريات وبعـض الصفائح الفضية والذهبية ، وفعـلا لم يكتشـف مـن كلمات هذه اللغة حتى الآن سوى 600 مفردة ، كتبت هذه اللغة بالخط المسماري وعدد حروفها 36 حرفا ، رغم التعقيد الموجود في هذه اللغة حيث ان للاسم ثمان حالات تتميز عن بعضها بحروف تلحق آخـره ، كما ان تصريف الفعل صعب للغاية ، الا انها غنية جدا بمدلول الكلمة الواحدة ، وبامكان التعبير عن مـراتب عديدة من تموجات الخواطر الفكرية والنفسية ــ زيادة على التعبير عن الازمنة الثلاثة : الماضي ، والحـال ، والمستقبل ــ مثل الارادة والقصد والرغبة والامكان وذلك بالحاق تغيير بسيط بنهايتها ، وهـذا مثـال للكلمة من هـذه اللغـة بالخـط المسمـاري :



«أوْرمـزدا» الاله الاعظم لدى الزردشتيين .

وقد ورد هذا الاسم في الكتب العربية القديمة بشكـل (هر ميس) .

2) الافستـا . Avèsta

او الابستـاق نسبـة الى الكتـاب المقـدس للزردشتيين لانه المصدر الوحيد في الحقيقة لهـذه اللغة ، تعتبر هذه اللغة من اقدم لغات العالم حيث انها ترجع الى زمن نبي الزردشتيين زردشت يعني حوالي 1100 الف ومائة عام قبل ميلاد المسيح ، واذا اضفنا

---

1) كلمـة ايران في اللغة الفهلوية ê Rân وفي لغـة الافستـا ai Rya وفي الفارسيةالقديمة a Riya وفي السانسكريتيـة â Rya وهـي في الاصـل اسم لطائفة من الهند الاوربائية كانت تعيش في زمن قديم جدا ، ثم انقسمت الى قسمين كبيرين سكن احدهما الهند واستوطن الثاني ايـران .

2) دولة ايرانية ارست دعائم الحكم والحضارة في هذه البلاد من 550ق م الى سنة 331ق م وكانت نهايتها على يد اسكندر المقـدوني .

الى هـذه الميزة غـزارة مادة نصوصها حيث اكتشف منها حتى اليوم 6.000 ستة الاف مفردة يمكن القول انها هي التي حفظت لغة الفرس ، وقد تيسرت قراءة نصوصها بفضل خطها الكامل الذي سجل فى حروفـه الاربع والاربعون كل الاصوات (3) وبفضل اعـــراب الكلمات الذي يكتب معها ، وهذا مثال لكلمة مكتوبـة بهذه اللغـة :



« أهـــوره » أؤرمزدا : الالاه الاعظم .

3) **البهلويـة** Pahlani او الفهلـويـة او الفارسية الوسطى ، يقول عبد الله الخوارزمي فى كتابه مفاتيح العلوم : (الفهلوية منسوبة الى فهلة اسم يقع على خمسة بلـدان هـي : اصفهان والرى وهمـدان وماه نهاوند وآذربايجان) واصل الكلمة منسوب الى فهلو وهي معرفة بهلو باللغة الفهلوية التي اصلهـا في الفارسية القديمة برتهيا Parthava يعني بات موطن قوم بارت ، واطلقت اصطلاحا على اللغـة التي كانت مستعملة ايام دولة الساسانيين ، وسميت بالفارسية الوسطى لانها تتوسط لغة دولة الاكمينيين (الفارسية القديمة) ولغة ايران بعد الاسلام (الفارسية الجديدة) تنقسم الفهلوية الى قسمين :

1) الفهلويـة الشمالية او الفهلويـة الاشكانيـة (نسبـة الى الدولـة الاشكـانيـة) وتعـرف ب . بـارتـي Parti

2) الفهلوية الجنـوبية او الفهلوية الساسانيـة (نسبـة الـى الدولـة الساسانيـة) وتعـرف ب : بارسيـك Parsik بقيت هذه اللغة متداولة مـدة تسع مائة سنة تقريبا اي مـن سنـة 250 ق.م الى سنة 651 ميلادية (31 هجـرية) يعنـي الى وفـاة يزدجرد الثالث Yazdequerd III آخـــر ملـــوك الساسانيين ، ويضاف الـى ذلك القـرون الهجريـة الاولى حيث الفت بعد الفتـح الاسلامـي لايـران فى القرنين الثالث والرابع للهجرة كتب مهمة بالفهلويـة ، تعتبر هذه اللغة مـن اهـم مصادر اللغـة الفارسية الجديدة لانها ترتبط بها مباشرة ، ولان غزارة نصوصها انارت سبيل الاصل المفقود من كلمات وتعبيرات اللغة الفارسية فلا يقل ما اكتشـف من هذه اللغة عن عشرة الاف مفردة ، ولولا صعوبة قراءة خطها الذي لا تتجاوز حروفه 14 حرفا لامكن ان يصل هذا العدد الى اكثـر مـن ذلك . وهذا مثال لكلمـة مكتوبة بهـذه اللغـة :



(اهرمز) « أؤرمـزنـا » الالـه الاعظـم .

ونشير هنا الى ان اللغة العربية نقلت مباشـرة عن هذه اللغة كثيرا من معارف الايرانيين ، كما نقلت بواسطتها ثقافة امم اخرى ، ونذكر على سبيـل المثال كتـــاب : Pantcha-Tantra (4) الكتب الخمس او الحيل الخمس الذي نقل من اللغة السانسكريتية الى اللغة الفهلوية زمـان انوشيروان العادل مسمـى باسـم الثعلبين Damanaka, Karataka واطلـق عليه فى الفهلوية كليلك ودمنك التي التي اصبحت فى الفارسية كليلة ودمنة ثم نقله الى العربية بهذا الاسـم الكاتب الايراني عبد الله بن المقفع فى القـرن الثانـي الهجري . بالاضافة الى هذه اللغات التي كانت متداولة بايران قبل الاسلام توجد لغات اخـرى ذات اصالـة واستقلال وقد كان لها اثرها فى الفارسية الجديـدة ، غير ان ضآلة ما اكتشف منها افقدها الاهمية اللائقة بها ونشير هنا الى بعضهـا .

1) الصغدية كانت هذه اللغة متداولة فى بـــلاد الصغد ، وهي منطقة فى آسيا الوسطى تمتد فى نهـــر جيحون الى نهر سيحون كانت سمرقنـد عاصمتها ، كتبت هذه اللغة بخطين متباينين يشبه احدهما خط اللغة الفهلوية (5) كان نفوذ هذه اللغـة فى الفارسيـة

---

3) نجد مثالا لهذه الدقة في التعبير فيما حكاه ابن النديم عن احدى اللغات الفارسية القديمة حيث قال (وللفرس كتابة اخرى يقال لها ويش ابيريه وهي ثلاثمائـة وخمسـة وستون حـرفا يكتبـون بها الفراسـة والزجر وخرير الماء وطنين الاذان واشارات العيـون والايماء والغمز وما شاكل ذلك ولم يقع لاحد قلمهـا ولا فى ابناء الفرس من يكتب بها اليوم ...) الفهرست ص 26 طبـع مصـر .

4) Pantcha-Tantra سانسكريتية مركبـة مـــن Pantcha وهـــي بالافيستـــا Pancha وبالفهلويـة Panj وبالفارسية الحديثـة Pandj يعنـي خمسة Tantra ولها معان كثيرة منها : فصل كتاب قوانين العلم والتربية الدينية ؛ او الموضوعـات الخمسـة التي تتعلق بقوانين الحيـاة . « بنجاتنترا » تحقيق وترجمة الدكتور Iduchikhar ص 5 طبـع طهـــران 1961 .

5) انظر نموذجا لخط اللغة الصغديـة . الفهرست لابن النديم صفحـة 33 طبعـة مصـر .

الجديدة واضحا لذلك فقد ساعدت كلماتها على توضيح اصل الكلمات الفارسية .

2) الختنية نسبة الى ختن وهي واحة باحدى ايالات الصين تسمى « سين كيانك » تقع بها مدينة ختن ، تنتسب لغتها الى اللغات القديمة ، فللاسم فيها سبع حالات كما في الفارسية القديمة ، كتبت هذه اللغة بخط هندي .

3) الخوارزمية نسبة الى خوارزم وهي منطقة تقع في المجرى السفلي لنهر جيحون .

وشاعت كذلك لغات وخطوط كثيرة بايران في مختلف العهود اندثرت ولم يبق منها الا بعض اشارات في كتب المتقدمين ، فالفهرست مثلا يذكر بعضها ويعطي نماذج مختلفة منها .

4) **الفارسية الدرية** : او الفارسية الجديدة ، هي الحلقة الاخيرة من اللغات الفارسية وهي اليوم لغة ايران الرسمية ، سميت بالدرية كما ينقل ابن النديم عن عبد الله بن المقفع انه قال : (... واما الدرية فلغة مدن المدائن وبها يتكلم من بباب الملك وهي منسوبة الى حاضرة الباب (6) والغالب عليها من لغة اهل خراسان والمشرق ؛ لغة اهل بلخ) (7) نشأت هذه اللغة قبل ظهور الاسلام في عهد الساسانيين غير انها فيما يظهر لم تكن انذاك كاملة النمو ، ثم اخذت من اللهجة العمومية لمشرق ايران وفروعها ومن بقايا اللهجات الاخرى مثل الفهلوية الاشكانية ؛ وبالفتح الاسلامي اضيفت الى ذلك مادة غزيرة كستها الاهمية العظمى واحلت ادبها وثقافتها المكان الاسمى : تلك هي اللغة العربية ، وقد تم الامتزاج كاملا بهذا العنصر الجديد ابتداء من القرن الربع الهجري اذ يلاحظ ان الشعر الفارسي قبل هذه الفترة يكاد يخلو من الكلمات العربية كما يلاحظ من جهة اخرى ان تاثير اللغة الفهلوية ظل مستمرا الى هذا القرن حيث الفت كتب جديدة بتلك اللغة ، ثم دخلت اللغة الفارسية الجديدة بالتدريج عناصر اخرى فمثلا بدأ استعمال كلمات تركية فيها منذ حكم السلاجقة لايران (431/577هـ) وتم ذلك في عهد المغول (616/756هـ) ومنذ زمان دولة القاجار (1209/1304هـ) دخلت الفارسية كلمات اجنبية مثل الفرنسية والانجليزية والروسية وغيرها .

ان عذوبة اللغة الفارسية ورشاقة تراكيبها ورقة اشعارها جعلتها تفتح طريقها الى قلوب سكان البلاد المجاورة لايران ، منذ ان استكملت هذه اللغة شخصيتها واستقام وجودها بعد ان اصبحت اللغة الرسمية للدولة السامانية في القرن الرابع الهجري، كما ان توسع سلطان الحكومة الايرانية ، وفتح الاقاليم المجاورة لايران نقل معه هذه اللغة الى ربوع تلك البلاد، ففي آسيا الصغرى كانت الفارسية هي لغة البلاط لدولة سلاجقة آسيا الصغرى شأنها في ذلك شأن سائر حكومات السلاجقة ، كما انتقلت هذه اللغة الى تركيا واثرت اثرا جليا في اللغة التركية وآدابها فكستها ــ بمساعدة اللغة العربية ــ مرونة ولطفا ، ولا زالت الالفاظ الفارسية مستعملة في التركية المعاصرة . وانتقلت الفارسية ايضا الى بلاد السند والهندعندفتح الدولة الغزنوية لها (367\598هـ) ثم بعد ذلك بواسطة المغول ، ونرى مفعول هذا النفوذ ماثلا الى اليوم فان عامة مسلمي الباكستان والهند يتكلمون بالفارسية ويتمثلون باشعارها بل نبغ منهم الشعراء والادباء والعلماء بهذه اللغة في مختلف العصور كان لهم فضل كبير على اللغة والادب الفارسي حتى انه يحق القول بان الهند تكون مركزا مهما للادب الفارسي . اضف الى ذلك ان انتقال اللغة الفارسية الى الهند تمخضت عنه لغة اسلامية جديدة تكونت من مزيج من اللهجة المحلية لدهلى (دلهي) ومن الفارسية والعربية هي اللغة الاردية (الاردو) كما ان لغة اخرى نشأت في بلاد افغانستان نتيجة مثل هذا التفاعل هي البشتو وهي اليوم اللغة الرسمية في افغانستان (8) ، وهناك لغة اخرى ترتبط باللغة الفارسية لايجب اغفالها في غرب ايران وهي اللغة الكردية ولهذه اللغة لهجات متنوعة في العراق وتركيا وسوريا (9) .

تعاصر اللغة الفارسية الجديدة اليوم كثير من اللهجات الايرانية في مختلف مناطق ايران ، وهي وان كانت تنضوي تحت وجود الفارسية الجديدة الا ان كل واحدة منها تحمل جزءا من خصائص لغات ايران القديمة .

* * *

---

6) در باللغة الفارسية هي الباب .
7) الفهرست لابن النديم صفحة 25 طبعة مصر .
8) لاتخرج هذه اللغة عن فصيلة اللغات الفارسيةالحديثة .
9) تعتبر الكردية من لهجات اللغة الفارسية الحديثة .

ـود وقد اتضحت لنا معالم اللغـة الفارسية وسمات وجودها ان نعرض لبعض خصائـص هـذه اللغـة فنلاحظ انهـا لغة زاخـرة بالاخيلـة والصور الشعرية ، تسع الفاظها وتعبيراتها كلما ترسمه العاطفة البشرية والاحساس الانساني ، فهي ترانيم الاحساس والانشودة العاطفة حتى ليخيل لمن يسمع حوارا عاديـا بها ان لوحات فنية تتبادل بين المتحاورين ولهذه اللغة علاوة على ذلك اسلوب خاص لادب الحديث والمحاورة ارق واعذب يتدفق في رفق من ينبوع قلوب الايرانيين المفعمة بالصفاء ويجري على السنتهم ليـروي لطـف ارواحهم ، فاللغة الفارسية برقتها هذه تجسم هيكل ارواح الايرانيين الشفافة ، وعناق مشاعرهم وذوقهم الفني في جميع انواع الفنـون من موسيقـى ورسم (ميناتور) وهندسة معمارية وفسيفساء وصناعـة الزرابي وآداب اجتماعية .

ثم ان اللغة الفارسية تتوفـر فـوق ذلك على رصيد كبير من المرادفات ، تستعمل كل واحدة منهـا في مكانها المناسب ، وهذا ما يجعلها تمتاز بالدقـة في التعبير ، ورغم مترادفاتها الكثيرة فانها تضاعـف من امكانية التعبير فتجنح دائما الى تركيب الاسمـاء والصفات مع بعضها او مـع الافعال لتصوغ المعانـي حية مشخصة تهتز لوصفها الكلمات ، فهي اذا لغـة تركيبية وليست اشتقاقية كاللغة العربية . ثم انهـا تمشيا مع طبيعتها في الدقة تستطيع افعالها ان تخبـر عن حالات وازمنة مختلفة متعددة مثل الصفة الفاعلية واسم الفاعل ، فقد لوحظ في الصيغة الاولى حالـة الفاعل ولوحظ في الصيغة الثانية عمل الفاعل ، ومثل المصدر واسم المصدر وحاصل المصدر ، فقد لوحـظ في الصيغة الاولى حدوث فعل منسوبا الى عمل مـا ، ولوحظ في الصيغة الثانية معنى الفعل من دون التفات الى الفاعل ولا افادة معنى التجدد والحدوث ، وجمعت صيغة حاصل المصدر جزءا من معنى المصدر وآخـر من معنى اسم المصدر فكانت شبيهة المصدر في كونها متوجهة الى الفاعل ومخالفة له في كونها لاتدل علـى التجدد والحدوث ، وشبيهة بهذا الاعتبار الاخيـر لاسم المصدر ، ومثل تقسيم المضارع (زمـن الحال) الى قسمين : 1) اخباري وهو الذي يخبر عن وقـوع الحدث في زمن الحال بطريق القطع ، 2) التزامي وهو الذي يخبر عن وقوع الحدث في زمـن الحال بطريـق الشك والتردد والترجي والحيرة وامثال ذلك .

وتقسيم الماضي الى ستة اقسـام : 1) الماضـي المطلق ، للدلالة على وقوع الحدث في الزمن الماضي من دون تقيد بوقت فيه ، سواء كان قريبا من زمن الحال ومتصلا به او بعيدا عنه . 2) الماضي الاستمـراري للدلالة على وقوع الحـدث في الزمـن الماضي بشكـل مستمر ومتكـرر . 3) الماضي النقلـي للدلالـة على الحدث الذي لم تنقض نهائيا من الزمن الماضي ان كان الفعل يفيد معنى الثبوت ، فان كان يفيد معنى الحدوث فانه للدلالة على الحدث الذي انقضى نهائيا في الزمـن الماضي . 4) الماضي البعيد للدلالة على وقوع الحدث في الزمن الماضي في وقت بعيد عن زمـن الحـال . 5) الماضي الابعد للدلالة على وقوع الحدث في الزمـن الماضـي مقيـدا بكونـه في وقت بعيد جـدا . 6) الماضي الالتزامي للدلالة على وقـوع الحـدث في الزمن الماضـي بطريـق الشك والتـردد والترجـي وامثـال ذلك .

كما ان افعال هذه اللغة واسماءها وصفاتهـا تؤدي معاني مختلفة باضافـة حـرف واحـد قبلهـا Préfixe سابقة او بعد Sufixe لاحقـة .

ولهذه اللغة خصوصية اخرى هي ان لغة الحديث لاتفرق شيئا عن لغة الكتاب لذلك فان الشعر الفارسي قد امتزج بعامة الناس فباذلوه عواطفهم وجـرى على السنتهم تراتيل عذبة الانشاد ، واذا اضفنا الى هـذا ان اللغة الفارسية لغة شعرية امكننا ان نفسر كيـف ان الشعر يكون الجزء المهم والاكبر من الادب الفارسي وقلة النثر – نسبيا – في هذا الادب .

اما الخصوصية الكبرى لهذه اللغة التي تظهـر بقوة ووضوح ، هي ذلك الاحتضان الدافـيء الـذي ضمت بواسطته المواد الدخيلة من اللغات الاخرى وعلى الخصوص اللغة العربية ، مع احتفاظها في نفس الوقت بجوهرها الفارسي ، فقد احكمت الجملـة الفارسية رابطتها بالكلمات والتركيبات العربيـة حتـى لتبـدو ملائمة لها كل الملاءمـة .

ان هـدف محاولتنا لمعرفـة اللغـة الفارسية وآدابها ما هو الا امل لايجاد نـوع من الترابط بيـن الامتين الاسلاميتين ، العربية والفارسية راجيـن ان نحي المواقف التي خلدها هذا الامتزاج في الحضـارة الاسلاميـة .

فـاس – الدكتور عبد اللطيف السعداني

معاملة الرسل والسفراء في الاسلام

للدكتور: محمد الرويفي

كان الرسول عليه الصلاة والسلام يحترم السفراء وكان يساويهم بنفسه ويبسط عليهم حمايته، ويمنع ان تصل اليهم يد بسوء . وهذه المعاملة التي كان يعامل بها السفراء الاجانب في عهد الرسول ليست الا بعض المظاهر والجوانب من روح التسامح التي اتسم بها الاسلام ، وانعكست من بعد الرسول في تصرف المسلمين في معاملتهم للرسل الاجانب في مختلف العهود للتاريخ الاسلامي .

ولقد سار المسلمون على خطى الرسول الكريم في سياسته واقتفوا نهجه في حسن معاملة السفير واكرامه واحترامه حتى انهم قد اعفوه من دفع الضرائب والمكوس عما يحمله من الامتعة على نحو ما يجري تقريبا في العصر الحاضر ، وكانوا يعرفون ما يسمى اليوم « بالحقيبة الديبلوماسية » فما كانوا يمسون اشياء السفير ولا وثائقه ، وعرفوا ايضا « الحصانة الدبلوماسية » للسفراء التي تجعلهم يؤدون مهمتهم في امن وحرية ويعيشون في ديار الاسلام وكأنهم في بلادهم ، ويبدو ذلك واضحا في ان قوانين الاسلام لا تطبق عليهم الا في حدود ضيقة ، فاذا اكل السفير حراما او شرب خمرا فسكر او ارتكب فاحشة فلا يقام عليه الحد ، وقد كان الخلفاء المسلمون يستقبلون السفراء ويجعلونهم موضع احترام المسلمين منذ ان تطأ اقدامهم ارض الديار الاسلامية حتى يغادروها . وقد وصف المستشرق الفرنسي الكبير غوستاف لوبون في كتابه حضارة العرب استقبال العباسيين للسفراء فقال : ان بغداد عندما بلغت ذروة الرخاء في عصر هارون الرشيد وابنه المأمون وصارت اهم مدن الشرق ذاع صيت الرشيد فطبق الافاق فارسلت بلاد التتر والهند والصين رسلا الى قصره وارسل الامبراطور شارلمان وفدا ليبلغ الرشيد اطيب تحياته ويلتمس منه الحماية لحجيج القدس وقد اجابه الرشيد الى سؤله ورد اليه وفده مع ثمين الهدايا .

ووصف المؤرخ العربي ابو الفداء استقبال احد العباسيين لسفير قيصر الروم عام 305هـ فقال : قدم رسل ملك الروم الى بغداد ، فلما استحضروا عبئت لهم العساكر المصفوفون حينئذ مائة وستين الف ما بين راكب وواقف ، ووقف الغلمان ذووا الزينة الحجرية والمناطق المحلاة ، ووقف الخدام الخصيان كذلك وهم حينئذ سبعمائة حاجب والقيت المراكب والزوارق في دجلة بأعظم زينة ، وزينت دار الخلافة ، فكانت الستور المعلقة عليها ثمانية وثلاثين الف ستر ، منها اثنا عشر الفا وخمسمائة ستر من اعظم الديباج المذهب ، وكانت البسط اثنين وعشرين الفا ، وكان في جملة الزينة ، شجرة من ذهب وفضة تشتمل على ثمانية عشر غصنا ، وعلى الاغصان والقضبان ، والطيور والعصافير من الذهب والفضة ، وكذلك اوراق الشجرة من الذهب والفضة ، والاغصان تتمايل بحركات موضوعة ، والطيور تصفر بحركات مرتبة ، وشاهد الرسل من العظمة ما يطول شرحه ، واحضروا بين يدي المقتدر ، وصار الوزير يبلغ كلامهم الى الخليفة ، ويرد الجواب عن الخليفة . .

وكان خلفاء الاندلس لا يقلون عن العباسيين روعة في استقبال السفراء واحترامهم ، فكانت قصورهم العظيمة مقصد الرسل من سائر بلاد العالم ، وخاصة من بلاد الفرنجة ، فلما تأزمت العلاقات الدولية بين عبد الرحمن الناصر خليفة قرطبة وبين ملوك اوربا على اثر احتلال المسلمين لمقاطعات « البروفانس » و « الدوفينية » وجزء كبير من جبال

الالب وقيام المسلمين فى هذه الربوع بالدعوة الى دينهم ، خشي امبراطور جرمانيا اوتون الاول الكبير على ملكه واخذ يتقرب من عبد الرحمان الناصر ويسعى لتوطيد علاقاته معه ثم اخذ يدعي الدفاع عن حقوق المسيحيين ويعمل على ان يصبح حامي المسيحيين فى البلاد الواقعة تحت النفوذ الاسلامي ، وكان قد تلقى من عبد الرحمن الناصر رسالة يبين له فضل الاسلام على سائر الاديان ويدعوه فيها لتسهيل انتشار الاسلام فى الربوع المسيحية ، فاختار اوتون عام 956 م سفيرا يدعى « جان » وكان راهبا وبعث به اليه فسافر الى ديار الاسلام وبصحبته راهب ءاخر واخذ معه الهدايا وبعض النفائس فلما وصل طرطوشة وكانت اول ثغر للمسلمين اذن له عاملها بالمسير الى قرطبة ، فكان كلما حل وصحبه فى مدينة او قرية استقبلهم العرب وانزلوهم فى ضيافتهم واسبغوا عليهم من كرمهم المعهود حتى وصلوا قرطبة دون ان ينفقوا شيئا فى الطريق ، فاستقبلوا فيها بالحفاوة والترحيب وانزلوا على مسافة ميلين من قصر الخليفة ، وفى اليوم المحدد لاستقبال السفير ، اصطفت العساكر على الجانبين ووقف العبيد الصقالبة قابضين على الحراب ، وءاخرون على القسي وكانت الفرسان تلعب فى الميدان ، وعلى هذه الحال دخل السفير قصر الخليفة وفرشت امام مدخل القصر البسط والديباج فما زال يتقدم حتى وصل الى البهو الذي فيه الخليفة فوجده جالسا على سرير الخلافة متربعا على عادة الشرقيين وعند وصوله اعطاه باطن يده « تمييزا له عن غيره من السفراء ، وتقديرا واحتراما لقدر موفده » فقبلها الراهب ثم امر له بالجلوس وبعد القيام بالمراسم المعتادة فى المجاملة اخذ الخليفة الناصر يطري بالثناء على اوتون ويبين للسفير ما بلغه من المقام السامي بين الملوك ويثني عليه مزيد الثناء ثم دار الكلام على موضوع الرسالة التي جاء بها الراهب والتي كان منها طلب الحد من غارات العرب على فرنسا وايطاليا وبلاد الجرمان فاجابه الخليفة بالنظر فى هذا الامر ، ثم ودع السفير بمثل ما استقبل فى حفاوة وتكريم .

وقد وصف ابن خلدون استقبال عبد الرحمن الناصر لرسول امبراطور القسطنطينية فقال « ركبت فى ذلك اليوم العساكر فى اكمل شكة ، وزين القصر بانواع الزينة، واصناف الستور، وجمل سرير الخلافة بين مقاعد الابناء والاخوة والاعمام والقرابة ، ورتب الوزراء والخدم فى مواقفهم ، ودخل الرسل فهالهم ما راوه ، وقربوا حتى ادوا رسالتهم ، وامر يومئذ الاعلام ان يخطبوا فى ذلك الحفل ، ويعظموا من امر الخلافة والاسلام ، ويشكروا نعمة الله على ظهور دينه واعزازه وذل عدوه فاستعدوا لذلك ، ثم بهرهم هول المجلس فوجموا وشرعوا فى القول فارتج عليهم ، وكان فيهم ابو علي القالي وافد العراق وكان فى جملة الحكم ولي العهد ، وندبه لذلك استئثارا فعجز فلما وجموا كلهم ، قام المنذر بن سعيد البلوطي ، من غير استعداد ولا روية ، ولا تقدم له احد بشيء من ذلك ، فخطب واستحضر ، وجلى فى ذلك القصد وانشد شعرا طويلا ارتجله فى الغرض ، ففاز بفخر ذلك المجلس وعجب الناس من شانه اكثر من كل ما وقع واعجب به الناصر وولاه القضاء بعدها واصبح من رجالات المعالم واخباره مشهورة ، وخطبته فى ذلك اليوم منقولة فى كتب ابن حيان وغيره ، ثم انصرف هؤلاء الرسل وبعث الناصر معهم هشام بن هذيل بهدية حافلة ليؤكد المودة ويحسن الاجابة ، ورجع بعد سنتين وقد احكم من ذلك ما شاء وجاءت معه رسل قسطنطين ثم جاء رسول من ملك الصقالبة ورسول ءاخر من ملك الالمان ورسول ءاخر من ملك الافرنجة من قاصية الشرق واحتفل الناصر بقدومهم وبعث مع رسول الصقالبة « ربيعا الاسقف » الى ملكهم ورجع بعد سنتين .

الرباط — الدكتور محمد الرويفي

حافظ ابراهيم شاعر النيل الأثيل

للدكتور جمال الدين الرمادي

في صباح يوم باسم صعدت زغرودة من عوامة ترسو على شاطىء النيل ، كان يسكنها ابراهيم افندي فهمي أحد المهندسين المشرفين على قناطر « ديروط » وزوجه الست هانم التركية الاصل ، وكانت هذه الزغرودة بشيرا بمولد محمد حافظ ابراهيم ، ورنا الاب الى ابنه فى شوق ولهفة وهو فرح بهذا المولود الجديد ، وظل يرقبه يوما بعد يوم حتى بلغ الطفل الصغير الرابعة من عمره ....

وعندئذ سلك القدر مسلكا آخر ، ولم يشأ ان ينعم الاب اكثر من ذلك بابنه ... ففاضت روحه الى بارئها ؛ وترك الابن اليتيم فى مفترق الطرق ... تتجاذبه ريح الزمن ذات اليمين وذات الشمال ...

وحملت الام ابنها الصغير الى القاهرة والامل يحدوها والرجاء يحركها، لتنسى آلامها وتغرق احزانها، وعند شقيقها محمد نيازي حطت الام عصا الترحال وتنفست الصعداء واعتقدت انه سيحمي فلذة كبدها من ارزاء الدهر ونوب الزمان ويسوق له تربية كريمة صالحة تبعده عن مواطن الزلل ، ومهاوي الشقاء ... ودخل الطفل المدرسة الخيرية بالقلعة ، وتعلم القراءة والكتابة ، وحفظ القرآن الكريم وتلقن مبادىء الحساب، وظل يتنقل من معهد الى معهد حتى استقر فى المدرسة الخديوية غير ان خاله لم يلبث ان نقل من القاهرة الى طنطا فاضطر حافظ ابراهيم ان ينتقل مع خاله الى هناك ليلتحق بأحد مدارسها .

وفى طنطا كان حافظ ابراهيم يبلغ السادسة عشرة من عمره ، وكان كثيرا ما يذهب الى مسجد السيد البدوي ليؤدي فريضة الصلاة فيروعه هذا العدد الغفير من الناس الذين حضروا من كل فج عميق لزيارة السيد البدوي والتبرك بنفحاته الطاهرة وأداء نذورهم فى صناديقه ! ... وكان كثيرا ما يبهج عينه بمنظر رجال الطرق الصوفية وهم يذرعون الطرقات جيئة وذهابا وهم يحملون أعلامهم ويرفعون بيارقهم ويصلون على الرسول الكريم وصحبه الابرار فى غدواتهم وروحاتهم ، والناس حولهم متجمهرون متجمعون كأنهم فى يوم الحشر العظيم

ملأت هذه المناظر اعين الفتى فلم يشأ ان يترفع عن الشعب انما اندس بين القوم وهو يحاول أن يحس بمثل احاسيسهم ويضطرب بمثل مشاعرهم .

*

أخذ الفتى يعكف على دواوين شعراء العرب فى شغف ونهم ، وطفق يحفظ أشعار الفحول منهم فى آناء الليل واطراف النهار ، وانطلق يروض قلمه الصغير فى قرض الشعر ، وكان اذا انتهى من نظم بيت من الابيات اخذ يردده على لسانه فى نغم عذب وترنيم طروب ، فاذا آنست نفسه الى ما نظم استأنس براي رفاقه فى نظمه فيعجب بعضهم بشعره بينما يقابله البعض الآخر بالاستهجان والنفور .

وأخذت شاعرية الفتى تزداد مع الايام قوة واشتعالا ، وتلتهب حسا ووجدانا ، وتتأثر بما قرأ فى كتاب « الوسيلة الادبية » للمرصفي من عيون القصائد، وبدائع النظم ، واصبحت نفسه لا تطيق سلطان أحد عليه ، ولا تحتمل اهانات خاله له ولومه وتقريعه كلما داعب قطة او لاعب كلبا ؛ وفى احدى الليالي تسلل الفتى حافظ ابراهيم تحت جنح الليل البهيم من بيت خاله ... وهو يعتزم أن يعمل لحساب نفسه ويرتزق من عرق جبينه ولا يكبد خاله مسؤولية الانفاق عليه .

وعن لحافظ ابراهيم ان يعمل فى المحاماة ويشترك مع احد كبار المحامين فى اعداد القضايا ، ورغم انه لم يكن يحمل من مؤهلات المحاماة شيئا الا انه لم يجد عائقا يحول بينه وبين بدء نشاطه فى هذا الميدان ،

فالتحق بمكتب المحامي محمد الشيمي بطنطا مرة وبمكتب المحامي محمد ابي‌شادي مرة اخرى، وبمكتب عبد الكريم فهيم تارة وبمكتب ابراهيم الهلباوي تارة اخرى .

وقد مكنته هذه الفترة من الاتصال بكبار المحامين وبايثار الاسلوب الخطابي في الشعر ، والاتيان بالحجج البيانية والبراهين البلاغية من اجل الوصول الى الحقائق وفي سبيل ايصال الفكرة الى ذهن القارىء أو السامع

وسئم حافظ ابراهيم دنيا القضايا والمرافعات ، ومل المحاكم وما يدور فيها من منازعات وخصومات وتاق الى أن يقتفي اثر استاذه العظيم محمد سامي البارودي فيصبح مثله رب السيف والقلم !! ولكن كيف السبيل الى ذلك من غير الالتحاق بالمدارس العسكرية .

عول حافظ ابراهيم على الالتحاق بالكلية الحربية المصرية ولم يكن حينئذ يبلغ من عمره سوى سبعة عشر عاما . كان فتى غض الاهاب مفتول العضلات ، شامخ البنية ، حاد الاسارير ، ولكن الامل كان يملأ اعطافه ان يغدو ضابطا كبيرا في الجيش عظيم المهابة قوي الشأن.

تخرج حافظ ابراهيم في الكلية الحربية وهو في العشرين من عمره ولم يلبث أن سافر الى السودان مع احدى الكتائب المصرية المسافرة الى هناك . غير ان الجيش لم يطب له في السودان واشتكى مر الشكوى مما يكابده من شظف العيش وشدة الحرارة ، وحدة القيظ، وكان يرسل الى الاستاذ الامام محمد عبده بعض الرسائل يشكو له فيها الامه هناك . ويظهر ان الحياة في السودان في هذه الفترة لم تكن من السعة والتقدم الى ما هي عليه الان ويظهر ان حافظ ابراهيم لم يكن راغبا في هذا السفر ومن ثم اشتد ضيقه هناك واثار في نفسه التبرم والسخط فقال يصف حاله :

جنيت عليك يا نفسي وقلبي
عليك جنى أبي فدعى عتابي

فلولا انهم وأدوا بياني
بلغت بك المنى وشفيت ما بي

سعيت وكم سعى قبلي اديب
فآب بخيبة بعد اغتراب

وما اعذرت حتى كان فعلي
فما ووسادتي وجه التراب

وحتى صيرتني الشمس عبدا
صبيا بعدما دمغت اهابي

*

وحدثت عام 1899 ثورة في السودان واتهم فيها ثمانية عشر ضابطا ، كان بينهم حافظ ابراهيم فحوكموا واحيلوا الى الاستيداع ، فسافر حافظ الى مصر، وترك السودان وفي ذهنه افكار شتى نحوه سجلها في كتابه « ليالي سطيح »

وصل حافظ ابراهيم الى مصر بعد ان اصطلحت عليه الاحداث فالتحق بدار الكتب المصرية وظل بها حتى احيل الى المعاش بعد أن قام بالدار نحوا من عشرين سنة ، ولم تكن تلك الفترة خصبة في قرض الشعر انما كان ينفق ايامه واعوامه في دار الكتب لا يعمل شيئا ولا يقول شيئا وانما يكتفي بان ينفق صباحه في الدار يعبث بالموظفين ويتندر عليهم أو تلقاه في قهوة دار الكتب يدخن الشيشة فاذا حان المساء وهبط الليل انطلق الى احد المنتديات أو المقاهي لينفق الصدر الاول من الليل في ضحك وفرح وانشراح مع رفاقه واصدقائه .

وكان حافظ يخرج من دار الكتب عند الظهيرة تعبا مكدودا يتصبب العرق من جبينه ويسيل على منداه ، والشمس شديدة الوقدة ، ويقف في شارع باب الخلق ينتظر عربة سوارس ولا تقبل العربة حتى يرى الخيل قد خلعت عنها ارسانها وابت السير ، وعندئذ تعاود حافظ روحه المرحة وينمي الفتر الذي الجاه الى هذا الذل رغم شيخوخته ، ويأخذ في السير مع بعض اصدقائه في شوارع القاهرة حتى اذا ما مروا على احد البنوك تخلف حافظ ابراهيم عن رفاقه وتركهم وتقدم الى جندي البوليس الذي يحرس البنك وسلمه سيجارة بكل احترام ولما سأله اصدقاؤه على السر في ذلك يجيب والمرح يملأ اعطافه : عشان ياخذ باله من القرشين بتوعي في البنك ؟ !

كان حافظ يحب الجمال ويكره القبح ، وتهتز نفسه من الطبيعة الساحرة والوجه الطلق الصبوح وكلما راى وجها وسيما تمتم في نفسه او تمتم لاصحابه: ليس الوزر عليه انما الوزر على ابيه ، واذا سأله اصحابه وما هذا الوزر ؟ اجاب والضحكة لا تفارق ثغره وتدوي في ارجاء المكان: لانه لم يؤد مهرا ... وفي هذا المعنى يتهكم عليه أحد رفاقه فيقول : ان والد حافظ ابراهيم تزوج على الطريقة الافرنجية فلم يدفع مهرا بل هو الذي أخذ الدوطة !!

وكان شاعرنا صديقا حميما للشاعر خليل مطران وكان يلازم احدهما الاخر ، وكانت لهما جلسات رائعة في حانة اللواء مع الشيخ عبد العزيز البشري والبابلي ، وكان الشاعران شريكين في البأساء والضراء ، وقد اشتركا سويا في ترجمة كتاب « تاريخ الاقتصاد السياسي » كما ساعده مطران في ترجمة كتاب البؤساء

لفيكتور هوجو . وكانت بينهما مزاحمة شديدة لمعرفة ايهما اجمل ، وكان كل منهما يدعي انه اجمل صورة من الاخر ، وتشتد الخصومة فى ذلك ، واخيرا يقول مطران لحافظ : اسمع يا حافظ ! لئن كنت انا اقبح انسان فانت ولا فخر اجمل خروف ! ، ومرة احضر حافظ صـــورة جميلة اعجب بها واراد ان يشاركه الخليل فى هـــذا الاعجاب فاحضرها اليه وسأله رأيه فيها فنظر اليـها الخليل مليا ثم قال : لا بأس بها على العموم ولكن الانف على ما يظهر مش ولابد ، ونظر اليه حافظ وقال : يا شيخ احنا قلنا لك بص للصورة مش للمراية ؟! ... ويرمي حافظ من هذا القول الى التهكم على انف خليل مطران التي كانت مثارا لانتقاد حافظ فى شتى المجالات .

وحدث ان كان حافظ والخليل فى لبنان يجلسان فى ظلال شجرة وارفة الاغصان ، فى احدى الحدائـق الفيحاء ، وحلا الجو للخليل فانطلق لسانه يشدو ويترنم، وحينئذ اخرج حافظ منديلا أحمر ورفعه على عمـود موجود هناك فلما سأله الخليل عن سبب ذلك قال : حتى يعلم الناس مصدر خطر الغناء .. فلا يصلون الى مكان الغناء !

وكان حافظ ابراهيم صديقا حميما كذلك لاميـر الشعراء احمد شوقي ، ولكن الغيرة كانت كثيرا مـا تتطرق الى صداقتهما ، وكان حافظ اذا جلس الـى شوقي لوح له فى ثنايا حديثه انه أمير الشعراء وانه من رعاياه ولكنه كان اذا خلا الى نفسه او الى نفر مـن رفاقه انكر هذا القول وقال : منه أمير ومني امير !

ودبت الجفوة بين الشاعرين فى فترة من الفترات ولا سيما عقب أن خصصت جريدة السياسة لصاحبها الدكتور محمد حسين هيكل خمسين جنيها لشوقي مكافأة له عن قصيدة نشرها بينما لم يربح حافظ من قصيدة له فى نفس الغرض شيئا ، غير ان هذه الجفوة لم تبرح ان زالت واقيم لشوقي مهرجان تكريم عام 1926 ساهم فيه شعراء لبنان وسوريا والعراق وغيرهم من شعراء العالم العربي والقى فيه حافظ قصيدة عصماء من درر قصائده بايع فيها شوقي بامارة الشعر واستهلها بقوله:

أمير القوافي قد أتيت مبايعـا
وهذي وفود الشرق قد اقبلت معي

*

ومات حافظ ابراهيم قبل شوقي بثلاثة اشهر فبكاه بدمع هتون ونفث من أعماقه قصيدة يرثيه ضمنهـا لوعته وأساه .

كان حافظ فى المجالس الكبرى يعتز بأدبه وبمـا يحفظه ويعيده من نوادر تاريخية يلقيها احسن القاء ، ويسر السامعين، ويتقرب بهذا الى قلوبهم ويرفع الكلفة بينه وبين اكبر من فيهم ، ولهذا يجد طريقا الى الصدر فى كل مقام ولا يتحرج من مجالسة علية القوم دون تردد أو احجام .

وكان حافظ فى مجالسه الخاصة ومواقفه العامة فصيحا متدفقا مترنما وكان يلقي رثاءه السنوي لمصطفى كامل عند قبره والحشد عظيم والجمع غفير ولكن صوته كان يجلجل فى ارجاء المكان جهوريا واضح النبرات قوي الرنين ليسمع القريب والبعيد على السواء ، وكانت له فى انشاده طريقة خاصة مطربة كما كانت لحافـظ مطارحات ومساجلات مع غيره من الشعراء وكان يبرز فيها محفوظة ومنظومة دون كلال ودون ملال فى بديهة حاضرة تخلب الالباب .

وكان حافظ فى بيته سخيا مضيافا، يحب الضيافات الواسعة التي تقدم فيها الالوان الفاخرة الكثيرة ويحب أن يرى عليها الذبائح من ضأن وديكة وغيرها ، ويحب ان يرى القصاع الكبرى متدفقة الجوانب بالفطائـر والحلوى والنفائس وكان اشد نهمه فى الطعام بنظره وكلامه لا بشدة بطشه .

روى خليل مطران ان حافظا كان شكورا بقلبه ، فقد كنا ايام رحلته فى لبنان نجتاز مركبة قرية قد اشتد الزحام فى ساحتها لانتخاب (العمدة) فيها وما كان لنا ان نفرق هذه الجموع لنستمر فى طريقنا الى المكان الذي نقصده اليه ، ولكن اتفق أن احد الفتيان كان قد عرفني شبها فلما ابلغته ان حافظ ابراهيم فى المركبة التفت الى شيخ بجانبه ابيض اللحية طويلها ليستعين به علـى اسماع صوته وتنحية المزدحمين واخبره عن الضيـف الموجود فى المركبة فلما سمع ذلك منه نظر نظرة المتفرس فى حافظ ابراهيم ثم قال لصاحبه « الحمد لله انني رأيته قبل مماتي » فوقعت هذه الكلمات فى اذن حافظ موقعا شهدت منه لاول مرة وجه حافظ وقد اخضل علـى سمرته بالدموع المتساقطة من عينيه ثم التفت الي وقال: اليوم قد كوفئت اجل مكافأة عن خدمة اديتها لقوم كرام وكان ذلك لان جميع الناس فى لبنان والشام يحفظون لحافظ مواقف شريفة له فى الدفاع عنهم ايام كانت تطرأ عليهم بعض المحن .. »

ويقول مطران يقصد بذلك ما كتبه حافظ ابراهيم دفاعا عن أهل الشام فى ليالي سطيح والى ما نظمه فيهم من شعر أخاذ :

ماذا جنيت وما جناه أبـوك
اظلمتهم يا مصر ام ظلمـوك
فبسمت للغرب الطموح وأهله
ومنحتهم فوق الذي منحـوك
وعبست في وجه الشام وانما
قطر الشام وان عبست اخوك

عاش حافظ ابراهيم طيلة حياته لا يأبه بالمال ولا يهتم بالمظهر ولم يكن راتبه عندما أحيل الى الاستيداع في فترة من الفترات يزيد عن اربعة جنيهات وقد شاع روح الالم والبؤس في شعره ، وشغلته الدنيا بنكباتها وحرمته مشهد اوقاتها فلم نسمع له مقطوعة تغنى ولا قصيدة تنشد ، ولا انشودة تلحق شأن البائسين المحرومين الذين طواهم البؤس بين اكنافه وعضهم الحرمان بانيابه ! وقد قال في صدر ترجمة كتابه « البؤساء » وهو يهديه الى الامام محمد عبده « انك موئل البائس ومرجع اليائس ، وهذا الكتاب ايدك الله قد الم بعيش البائسين وحياة اليائسين ، وقد عنيت بتعريبه لما بين عيشي وعيش أولئك البؤساء من صلة النسب « كما قال في المقدمة » وضعه صاحبه وهو بائس وعربه معربه وهو بائس وما عربته لولا اتحادنا في الالم وتشابهنا في الشقاء .

ويقول في كتابه « ليالي سطيح » اديب بائس وشاعر يائس وهمته الكوارث ودهته الحوادث فلم تجد له عزما ولم تصب منه حزما .

ولذلك كان حافظ جياش العاطفة ، يحسن تصوير الالام والاحزان ، لون الحرمان نفسه بالوان من الاخلاق لا تكاد تفارقه فهو لا يعرف المداهنة ولا المصانعة ، وهو يعجب بالبساطة والسذاجة ، وينفر من الارستقراطية الكاذبة ، غير انه لم يكن يغرق وانما في بحر من الاشجان انما كان يبدو مشرق الوجه ، منبسط النفس ، منشرح الصدر ، لا تفارق الابتسامة شفتيه ولا تبرح الدعابة ثغره ، لاحظ عليه صديق ايام كان يترجم رواية البؤساء انه يتشبث بارتداء بذلة قديمة طالت صحبتها له فغار لونها وبلى قماشها فسأله عن سر تمسكه بارتدائها فأجابه لان فيها صفتين من صفات الله عز وجل ، فلما سأله عن هاتين الصفتين أجاب : القدم والوحدانية .. !!

وكان حافظ سريع الحفظ ، حاضر البديهة يقول راشد رستم « سمعته مراهنا فائزا في ضيعة للاسرة الاباظية الصديقة المتفقة فيأتي بالاحاكي متتالية دون تكرار طول الليل حتى مطلع النهار ، وسمعته يتلو علينا من ذاكرته القوية النادرة فقرات مما كان يترجم للقسم الثاني من البؤساء يقرا الصفحة الفرنسية مرة أو مرتين ولا يزيد ثم يدعها جانبا وقد رسخت في ذاكرته ثم يأخذ في الترجمة بادراكه وكأنه يكتبها على صفحات ذهنه فلا قرطاس ولا قلم ، ولا يقعد لها وانما يقوم بها وهو يؤدي شؤون يومه اذ هي في الرأس وليست في الكـراس ... » .

وكان حافظ يقرا المقالة الضافية او القصيدة الطويلة أو الكتاب الضخم فاذا به عقب الانتهاء من قراءته قد استظهر اكثر جمله او كأنه يقرأ في بديهته من كتاب او يستوحي الغيب فليس بينه وبين الغيب حجاب!

وكان المرحوم محمد امام العبد شاعرا خفيف الظل يتحدث عن صديقه حافظ ابراهيم ويقول لكل من يقابله من الناس : انا اللي خلقت حافظ وعلمته الشعر ثم حدث ان تقابلا وبكى امام العبد الى حافظ كيف تحدرت به الايام حتى أوشك أن يبيت على الطوى ولا يجد لقمة من الخبز ليسد بها رمقه ، ولا يستطيع سداد ايجار منزله ، ويطلب منه بعد ذلك في رقة ودعابة ان يستدين بعض المال منه فيضحك حافظ ملء اشداقه ويضع يديه في جيبيه ثم يقول : يا امام انا آسف ... انا يا مولاي كما خلقتني ! ...

كان حافظ شاعرا ممتازا وقد نهض بالشعر العربي مع رفيقه شوقي الى عهود جزالته الاولى في العصور الذهبية ولوناه بالوان جديدة من الافكار والمعاني ، واستخدما الشعر في مسايرة روح العصر فخاضا في ميدان السياسة والاجتماعيات والوطنيات حتى يغنيا مشاعر الجماهير ، ويشتمل ديوان حافظ على مجموعة من القصائد السياسية مثل قصيدته في وداع اللورد كرومر وقصيدته في استقبال السيد عورست المعتمد الانجليزي بعد كرومر ، وقصيدته في تصريح 28 فبراير، وفي رفع العلمين المصري والانجليزي على الخرطوم ، كما يشتمل على مجموعة من القصائد الاجتماعية بقصائده في جمعية الطفل وجمعية اعانة العميان ، وتعضيد مشروع الجامعة المصرية ، والجمعية الخيرية الاسلامية ، وهو في هذه الضروب من الشعر يحاول ان يرضي الجماعات الكثيرة من الناس التي تقرا ديوانه او تتلو شعره على صفحات الجرائد والمجلات ، ولذلك كان شاعرا ممتازا من شعراء الشعب ، يغني آلامه ويترنم بآماله ... ويصبو الى ما يصبو اليه الشعب من عزة ومجد ورفاهية .

وهكذا اخذ حافظ يتغنى بمشاعر المصريين ويحاول أن يكون شاعر الشعب الذي يتغنى بما يجيش في

نفسه من عواطف ، وما يضطرب بين ضلوعه من مشاعر وما يختلج به وجدانه من احاسيس وطنية وغير وطنية وقد زخر ديوانه بالضرب الرائع من شعره في هذا الباب .

*

ويقول خليل مطران عن صديقه حافظ انه يتعب في قرض شعره تعب النحات الماهر في استخراج مثال جميل من حجره، وهو يؤثر الجزالة على الرقة وله فيها آيات، حاضر المحفوظ من اساليب العرب ، ينسج على منوالها ويتخير نفائس مفرداتها ، له غرام باللفظ لا يقل عن غرامه بالمعنى ، واذا فاته الابتكار حينا في التصوير لم يفته الابتكار حينا في التصور ، اولع بالاجتماعيات ، فقال فيها واجاد ، وشعره شعر البيان وان من البيان لسحرا .

وقد وضعه الدكتور طه حسين مع شوقي في اشعر العرب بعد ابي الطيب المتنبي وابي العلاء المعري فقال : هما اشعر أهل الشرق العربي منذ مات المتنبي وابو العلاء من غير شك ...

وعندي ان حافظ كان يمتاز بحلاوة الموسيقى وعذوبة الاسلوب اكثر من اي شاعر آخر ، فموسيقاه، عذبة رخيمة لا تصل الى الاذان حتى تصل الى شغاف القلوب ، ولا تصل الى شغاف القلوب حتى تشيع في النفس انشراحا ، وفي القلب انبساطا ، وفي الروح انبعاثا ... فاذا القارىء أو السامع ينتشي من الطرب ويهتز من رخامة المبنى ، وحلاوة المعنى !

وكان حافظ يقرض الشعر في كل مكان . يقرضه في البيت ويقرضه في المقهى ، ويقرضه في القطار ، واذا طاف به وحي الشعر وجدت جبينه يتفصد عرقا ، ووجدته يهيم ببصره ، وقد ثبتت عيناه في محجريهما تتحدثه وهو حاضر امامك فلا يجيب عليك انما يظل سابحا في عوالم الخيال ، فاذا استقام له البيت اخذ يدندن به كما يدندن الموسيقى بلحنه فاذا اعجبه نظم القصيدة على غراره بعد ان كساها بثياب رائعة من الاسلوب .

وهو اشبه في شعره بجامع الياقوت الابيض والازرق واللالي والدراري من اعماق المحيط يكابد المشقة والالام غير انه اذا ما بلغ بغيته شعر بالسعادة والانشراح ، واخذ يهذبه ويشذبه وينظمه في عقد نظيم يبهر العين ويخلب الالباب .

وليس معنى هذا ان حافظا كان شاعر لفظ ، لا شاعر معنى ، فكم من معان عذبة اخترعها حافظ كالعذارى الابكار . وتهادت في ديوانه كالعرائس في ليلة الزفاف تختال بجمالها بثيابها ! وليس اكتشاف ذلك على دارس الديوان ببعيد !

كان حافظ حلو النكتة في أشد الاوقات حرجا ، عذب المعشر ، حلو الحديث ، وكان يتبرم بالحياة الغربية التي تقيد الشخص باغلال « البروتوكول » .

ويروي صديقه الاستاذ راشد رستم ان حافظا ، عندما صحبه الى باريس كان يجيئهم يوما يجد في مشيته ويدندن بصوت خافت عادته اذا ما نال راحته ، يقول انه عمل بنصيحة امير الظرفاء صديقه الحميم محمد البابلي فقد كان يطلب طعامه في غرفته بالفندق ثم يحكم اغلاق بابها ويخلع سترته ويلبس الجلباب ثم يجلس ارضا هو والمائدة ويأخذ راحته ويأكل على طريقته !!!

كما كان يجلس على احد المقاعد في شارع الشانزلزيه بباريس لا يفعل شيئا سوى أن يحصي السيارات وهي تجري متتابعة ، ومتعارضة ، يقارن بين عددها في الاوقات المختلفة من الزمان ، وكان كلما مرت غادة حسناء ترنم بابيات من الشعر محفوظة ، أما هو فلم ينظم في الحب والغزل الا ابيات قليلة ، ولعل ذلك يرجع الى انه لم يذق حلاوة الحب ولم يمتحن بما يمتحن بها المحبون العاشقون من تباريح الهوى ، ولواعج الجوى ، وحلاوة اللقاء ، ومرارة الفراق ، زد على ذلك انه لم يوفق في حياته الزوجية مثلما وفق رفيقه شوقي ، فقد تزوج شوقي وانجب ابناء وفرح بهم فرحا بالغا ، ونظم فيهم بعض بدائع شعره ، أما حافظ فانه في عام 1906 بعد ان عاد من السودان تزوج من اسرة بحي عابدين ولكن لم يدم زواجه اكثر من اربعة اشهر فافترق الزوجان ولم يعقب منها ثم لم يعد بعد ذلك الى الزواج .

وربما كان هذا هو السر في خلو ديوان حافظ بجرائه من شعر الحب والغزل ، اللهم الا أبيات تعد على اصابع اليد الواحدة . لا تروي غلة ولا تنقع صدى ولا تعطينا صورة واضحة عما يختلج به قلبه ، أو يخفق به احساسه !

وقد حاول حافظ ان يستهل بعض قصائده بالغزل مثل مطلع قصيدته الى الخديو عباس عام 1911 ومطلع داليته في البارودي ، وبائيته في حرب اليابان ولكنه غزل تقليدي كلاسكي لا يصور عاطفة ، ولا يوضح

شعورا غير ان عاطفته الوطنية والاجتماعية كانت تسد الفراغ الذي شعره في هذا الباب .

وذات يوم دعا حافظ ابراهيم لفيفا من اصدقائه لتناول العشاء ، وحضر الاصدقاء ، وكان كل شيء معدا الاطباق مرصوصة والطعام يسيل له اللعاب ، الا ان حافظا لم يستطع ان يشارك اصدقاءه الطعام ... بل ظل يجالسهم وهم يأكلون ... ويضع يده فوق صدره بين الحين والحين اذ كان يشعر بحمل ثقيل يجثم على صدره، الا انه تحامل على نفسه ، واخذ يتحدث الى صحبه كأن شيئا لم يحدث .

وانفض عقد القوم ، ورفعت المائدة ، وآب حافظ ابراهيم الى غرفة نومه الا انه شعر بهذا الحمل يثقل عليه شيئا فشيئا ، والضيق يملأ جوانحه رويدا رويدا.. فأسرع الخدم باستدعاء الطبيب .. ولم تمض دقائق حتى كان حافظ قد لفظ انفاسه الاخيرة وصعدت روحه الى بارئها ، وانطوت حياة شاعر النيل الاثيل ... !!

جمال الدين الرمادي

قضية الشعر

للأستاذ: عباس الجراري

الحديث عن قضية الشعر ـ واعني قضيته بين القديم والجديد ـ حديث طويل يحتاج الى دراسة متسعة الجوانب والحلقات ، لا يفي بموضوعها ما تتيحه المقالة الادبية من مجال ضيق محدود ، وهو بالاضافة الى طوله دقيق وصعب ، يقتضي من الباحث غير قليل من المهارة والاحتراس في تتبع مراحل القضية ومحاولة الكشف عن خطوطها البارزة ومعالمها المميزة . ولعل مصدر هذه الدقة والصعوبة يرجع فيما اعتقد الى ان ملامحها لم تكتمل بعد حتى تتضح ، شأنها في هذا شأن كل قضية تسير وظاهرة التطور في جميع احوالها سواء الى صعود او هبوط . وعلى الرغم من ذلك، فهي لحيويتها لا تلبث ان تستهوي الباحثين والنقاد وتستدرجهم لدراستها ودراسة كثير من الموضوعات الجانبية التي ربما لا تمت بصلة للشعر .

ومع ان الحافز قوي ، فما كنت لاجرؤ على الموضوع في هذا المقال القصير لولا ملاحظات سمعتها من افواه بعض جمهور الامسية الادبية التي اقامتها كلية آداب الرباط للشاعر السوري نزار القباني في قاعة كلية العلوم الكبرى ، والتي القى فيها الشاعر حديثا موجزا عن قضية الشعر اردفه بقراءة بعض قصائده . فقد كانت هذه الملاحظات تشير الى ان الشاعر « لم يشرح القضية في وضوح ، وان ما القاه لم يكن محاضرة وانما مجرد كلام جميل يكاد لكثرة ما فيه من الزخرف والتزويق والتنميق ان يكون شعرا ينفذ الى القلب ويؤثر على العاطفة بعيدا عن روح البحث وجو الفكر » . ولست اقصد في هذا المقال الى نقد محاضرة القباني ـ وبالود لو تنشرها الكلية حتى يتسنى نقدها لمن اراد ـ وانما اقصد الى القاء بعض الضوء على حقيقة المشكل الذي يعانيه الشعر العربي المعاصر ، في غير تحيز لقديم او جديد ، وبأكثر ما يمكن من بساطة ووضوح ، متجنبا كل النقاط الفرعية التي لا تمس المعركة في الصميم .

وما من شك في ان هذه المعركة ليست غير لون من الوان المعارك والخصومات التي تقوم بين القديم والجديد في كل المجتمعات وفي مختلف مظاهر الحضارة وقيمها ، طالما ان في هذه المجتمعات حيوية وتحفزا للتطور والنهوض والحركة ، وما من شك كذلك في انها ليست غير امتداد لمعارك سابقة عرفها الشعر العربي في مراحل مختلفة من حياته . والمتصفح لتاريخ الشعر لا يلبث ان يلاحظ مثل هذه الهزات تزعزع كيانه كلما مر المجتمع العربي بمرحلة حضارية جديدة ، وكلما كان هذا المجتمع حيا ناهضا قابلا للتطور والتغير .

ففي العصر العباسي ، ظهر شعراء مجددون امثال بشار وابي نواس وابي العتاهية ، جددوا في المضمون فبعثوا القديم في صور مستحدثة تلائم العصر والحضارة والعقل المتفلسف الجديد ، وجددوا في الشكل فنظموا المسمطات والمخمسات وحاولوا النظم على اوزان جديدة ، وبرزت المحاولة على ضعفها التجديدي في رفض الوقوف على الاطلال واستبداله بذكر الخمر، على حد قول ابي نواس وهو من زعماء هذه الدعوة :

صفة الطلول بلاغة القدم
فامنح صفاتك لابنة الكرم
تصف الطلول على السماع بها
أفذ والعيان كأنت في الحكم

فلم يكن من انصار الاطلال الا ان رموه بالشعوبية .

وجاء بعد ذلك البحتري وابو تمام مختلفين حول عمود الشعر ، وقامت حولهما خصومة عنيفة اخذ فيها على ابي تمام مخالفته لهذا العمود ، فقد كان يولد الافكار ، ويأتي بنوافر الاضداد ، وبالاقيسة المنطقية يحولها الى اقيسة فنية ، ويسرف في تطبيق البديع ، ويشعب معانيه ويعمقها تأثرا بثقافته الفلسفية

الوانعة ، ويخرج بذلك صورا يصفها الآمدي بالقبح لمجرد انها غير مألوفة ، كقوله :

رفيــق حواشــي الحلــم لو ان حلمــه
بكفيــك مــا ماريـــت في انـــه برد

وكانت الصورة القديمة :

احلامنـــا تـــزن اجبـــال رزانـــة
وتخالنـــا جنـــا اذا مـــا نجهـــل

وفي الاندلس ، يوم كان المجتمع الاسلامي يكيف نفسه مع معطيات الارض الجديدة ، ثار الشعراء على تقاليد القصيدة العربية واخترعوا الموشحات والازجـال ، حيث نظمـوا على اوزان جديدة (لا يحتاج الى وزنها بميزان العروض) كمـا يقول ابن سناء الملـك . وما نظمـوه على الاوزان المألوفـة عمدوا الى كسره لدرجة جمع الاعمى التطيلي مائة وستة واربعين وزنا دون ان يستقصـي جميـع الاوزان . وغيروا في هيكـل القصيدة فجعلوا الموشحة تتكون من اقفال وابيات (1) كل منها تتركب من اجزاء تتفق في الاقفال وزنا وقافية وعددا ، ولا تتفق في الابيات الا في غير القافية ، ووضعوا للموشح خرجة هـــي القفل الاخير ، واشترطوا في الفاظها ان تكون ملحونة غيـــر معربة ، بل استحسنوا ان تكون باللفظ العامي او العجمي كما في بعض الخرجات الاندلسية التي وردت بالرومانية . اما الازجال فما تتمتع به من حرية في تشكيل قوالبها اوسع من ان نحصيها في هذا المجال .

واذن فليس بدعا ، والامة العربية تطور اليوم نفسها في مختلف المجالات الانسانية وتنفض عنها غبار الخمول الـــذي تراكم على ظهرها طوال قرون الانحطاط ، ان تنظر في تراثها الشعري بمنظار جديد ، ربما فيه من الحدة والقسوة ما لا يليق بهذا التراث ، ولكنه مع ذلك قابل للدراسة والفحص ، ولعلـه ناقع مفيد . فما هو هذا المنظار ؟ وما هي الرؤية التي تبدو من خلاله ؟ وما ذا عسى ان يكون في ذلك من نفع وفائدة ؟ .

في البدء عند الشعراء المجدديـن ، ان الاطـار الشكلـي للقصيدة العربية في قالبها التقليدي غدا اضيق من ان يستوعـب صور الواقع الحقيقي لحياة العصر وما يتركه هذا الواقع من اثر كبير في نفس الشاعر . ولعلنا ابتداء من هذه النقطة نستطيـع ان نرجع بفكرة التجديد التي برزت منذ حوالي ربـع قرن الى اصولها الاولى ، وخاصة الى الحركة الرومانسية وما حاولت من تغيير في القصيدة العربية سواء في الشكل او المضمون . ولعلنـا ابتداء من هذه النقطة كذلك نستطيع ان نفسر اتجـاه بعـض الشعراء المندفع امثال ناجي وطـه الى الثنائيـات والرباعيـات والخماسيات .

ولكن يبدو ان هذا المنطلق نفسـه لم يعد يقنـع بعـض الشعراء الذين اصبحوا يبحثون عن مجال اكثر حرية لاداء وظيفة الشعر الجديدة ، فظهرت محاولات للشعر المرسل عند شكـري والزهاوي وابو شادي لم تلبث ان تبلورت في حركة تجديدية عند بدر شاكر السياب ونازك الملائكة وعبد الوهاب البياتــي وصلاح عبد الصبور ، محورها ان للشاعر كامل الحق في تجديد شكل القصيدة وان من الضروري اعادة النظر في التراث لتقييمه على ضوء مستحدثات العصر وقيمه وعقليته .

وذهب بعض الغلاة من انصـار التجديـد الى ان الشعـر العربي عامة يدور في فلك الجمود والتكرار والانعزال ، يلوك نفس المعاني ، ويعبر عن نفـس العواطـف ، ويتخـذ نفـس المواقف من تجارب الحيـاة ، والى انه لجـأ في اخفاء هـذه العيوب الى التمسك بنغمه الرتيب وقرعه الرنان . وعند هؤلاء ان هذه الموسيقى المطردة اشبه بقرع الطبول القبلية ، وانهـــا تزعج الاذن الحساسة وتؤذي السمع المرهـف وتقلق الذهـن الناضج ، وانها بدائية لا تتلاءم مع الحس المثقف المرهـف الذي لا يرتاح لغير النغم الخفي المتنوع الذي يتجاوب وجيشان العاطفة معبرا عن كل ما فيها من ظلال والوان ، تساعده اصباغ وصور جميلة لا تقل عن الايقاع في اثارة الاحساس . فالشعـر العربي لم يعد كما كان في عصوره الاولى وقبل اختراع الطباعة يصل الى الجمهور في المجالس والاســواق جهـارا وبطريـق الخطابة حتى يحتاج الشاعر الى تنبيه المستمعين بايقـاع معين ونغمة متكررة ، وانما اصبح الشعر الحديث يصل الى الفرد في صحيفة او مجلة او كتاب ، يقرؤه وحيدا في خلوة هو اكثر ما يكون حاجة فيها الى الهمس الخافت والتأمل الهادىء .

وبعد ان كان البيت هو الوحدة التي تبنى عليها القصيدة العربية ، اصبحت التفعيلة هي الاساس دون التقيد بتفاعيل معينة ودون الخضوع في تنويعها لغير ما يمليه المضمون ، ومن هنـا سمي هذا الشعر بالتفعيلي .

وقد تقسم التفعيلة الاخيرة في البيت جزءين ، احدهمـا يختم به البيت والثاني يبدأ به البيت التالي ، وهذا يدل على ان القصيدة اصبحت كلها وحدة متكاملة الاجزاء لا استقـلال فيهـا للبيت الواحد ، كما يدل على ان التفعيلة نفسها على الرغم من انها الاساس لا تعتبر فيها غير النقرات او ما يمكن ان تتوسع فيه وتجعله يطابق ما يسمى عروضيا بالاسباب والاوتاد والفواصل: (السبب الخفيف حركة وسكون ، والسبـب الثقيـل حركتان ، والوتد المجمـوع حركتان بعدهمـا سكـون ، والوتد المفروق حركتان بينهما سكون ، والفاصلة الصغرى ثلاث حركات بعدها سكون ، والفاصلة الكبرى اربع حركات بعدها سكون) وقـــد اجملها الخليل في هذه الجملة : « لم ار على ظهر جبل سمكة » .

1) انظر بحث الكاتب عن الموشحات ـ مجلة دعوة الحق ـ السنة الخامسة (1961 ـ 1962) ـ الاعداد 2 ـ 3 ـ 4 .

وكما خرج الشعر الجديد على تناسق التفعيلة ، فقد خرج على تناسق القافية فنوع في تشكيلات اواخر الابيات دون التقيـــد بنهاية معينة .

وليس هذا التعبير الشكلي هو كل ما في الشعر التفعيلي من جديد ، وانما الجديد فيه كذلك رؤية الشاعر المتجددة للحياة ، ووعيه الناضج لمشكلات عصره ، وعمق احساسه بمجتمعه ، وصدق تعبيره عن كل ذلك في تجاوب تلقائي مع الواقع المادي الذي يعيشه كل يوم . وليس معنى هذا ان يصف الشاعر ما يستحدث من مخترعات ، فليس ذلك من التجديد في شيء ، كما انه ليس من التقليد وصف الاماكن القديمة ، وانما التجديد ان تنعكس هذه الاشياء في نفس الشاعر كمظهر من مظاهر التغير الحضاري ويتأثر بها ويتخذ موقفا واعيا لا تزييف فيه ولا خداع .

ومن هنا نستطيع ان نستنتج شيئا ربما لن يرضى عنـــه الغلاة من انصار التجديد ، وهو انه لا يشترط في الشعـــر الذي يعبر عن هذا المضمون ان يكون حرا تفعيليا ، فهو على طريقته التقليدية او العمودية قادر على مثل هذا التعبير اذ ما توفـــرت للشاعر نفس الرؤية ونفس الاحساس ، فليس كل شعر عمودي تقليدا وليـس كل شعر حر تجديدا وبالتالي فليس كل شعـــر عمودي رديئا ولا كل شعر منطلق جيـــدا ، بل ان كثيــرا من النماذج الشعرية التي نقرأها في الصحف والمجلات والدواوين، سواء منها ما هو موزون مقفى، وما هو متحرر من الوزن والقافية، لا يمت بصلة للشعر . ثم ان هناك حقيقة اخرى لا ينبغي اغفالها، لعلها ان تنصف انصار القصيدة التقليدية او بالاحرى ان توفق بينهم وبين انصار الشعر الجديد ، وهي ان هذه القصيدة لم تعد اليوم كما كانت بالامس ، فلو وزعت في قراءتها او كتابتها حسب المعاني وحسب الطاقة النفسية (بفتح الفاء) لبدت وكأنها من شعر التفعيلة . ولا غرابة فكثير من الشعر الذي يظن حرا عند رؤيته مكتوبا او عند سماعه نقروءا هو في واقعه شعر مـــوزون مقفى ، وزعت تفاعيله توزيعا جديدا .

واذن فليست المسـألة مسألة قديم وجديد ، وانما هـــي مسـألة اصالة شعرية يلـــزم اعتبارهـــا حين ندرس نمـــاذج من الشعرين ، وما احوج المعركة الى مثل هذه الدراسة الموضوعية لتبين مواطن الجودة والرداءة في كل منهما ، ففي القديم كما في الجديد جيد ورديء ، ومن طبيعـــة الجديـــد ، لحداثة ممارستـــه للتجربة ، ان يكثر فيه الرديء . ومع ذلك فدعوته على ما فيها من تعثرات واخطاء تفتح باب الامل واسعا امام الشعر العربـــي لينمو ويحيا وينفض عنه غبار العقم والتحجر والتزييف . ولعلي هنا ان انصف انصار الجديد كما انصفت من قبل انصار القديم ، فالبداية في كل تجديد تملأها الاخطاء والانفعالات والتأثرات الشخصية، والخصومة في هذه المرحلة تكون دائما مفيدة للجديد، فهي تحد من غلوائه وتزيل عنه الشوائب وتصفيه وتهيء النفوس وترغمها لتقبله . ولن يؤثر في دعوته ان تكثر له التحيزات او يقل انصاره ما دام الذوق العام هو وحده الحكم الفصل في المعركـــــة .

ومن الخير لقضية الشعر ، بدلا من التحمـس المطلق لهذا اللون او ذاك ، ان ينظر لها النقاد من زاوية جديدة لا يبدو من خلالها في قيام التجديد غير استمرار العناصر الحيـــة النافعة من تراثنا الشعري والمحافظة عليها من الجمود والموت . فالادباء الاحياء ، كما يقول الشاعر الانجليزي اليوت : هم الذين يبقون الموتى احياء . ومن الخير لها كذلك ان يبارك النقاد مبدأ قيام هذا التجديد ــ واي تجديد ــ وان يأخذوا في تشجيـــع وسعـــة صدر بيد الذين صدقـــت شاعريتهـــم وان ينيروا لهـــم السبيـــل ويرشدوهم لما يساعدهم على تصفية محاولتهم من عناصر الزلـــل والضعف ، وهم يتلمســون الطريق لاسلوب شخصي جديد . وكما نريد من حركة التجديد ان تستوحي عناصر القديم الحي في تنمية نفسها ، فاننا نريد لها ان تفتح عينيها على التراث العالمـــي وتسترشد به . ومرة اخرى ، على النقاد ان يوجهوها على ضوء الثقافات الجديدة وما تزخر به من مذاهب وفلسفات في التصورات الجمالية والفنيـــة .

ولن اغالي بعد هذا اذا قلت انه يكفي ان يكون في الشعر الجديد نموذج واحد جيد ليثبت وجوده ويصبح مقبولا له كامل الحق في ان يقف على قدميه . ومن يدري فقد لا يكون الشكل الحالي لهذا الشعر هو وضعه النهائي ، وقد يتطور الى قالب آخر تكون التجربة قد تبلورت فيه اكثر . ومع ذلك ، فيوم تتـــم الجودة للشعر الجديد في تفاهم نفسي واستعداد ذهني يجعـلان الجمهور ينفعل به ويتأثر له ، ويوم يتهيأ له من شعرائـــه من يتقن فنه ويبدع فيه ، ويـــوم يدرس النقـــاد نماذجـــه الجيدة ويفلسفون اتجاهه ، يومئذ ستبدأ اجيال من الشعراء في تقليده ، ويومئذ كذلك سيصبح هذا الجديد بدوره قديمـــا يثور الشعـــراء عليه ، وتلك طبيعة الآداب والفنـــون ، بل تلك طبيعـــة كـــل المظاهر الحضارية والقيم الانسانية في كل زمان ومكان .

الرباط ــ عباس الجراري

منابع الشعر وحقيقة الشاعر

للأستاذ محمد رضيمي

- 2 -

هنالك ، اذن ، تمزق سطحي يأتي عن طريق التقليد والمحاكاة التمثيلية والانسياق وراء تيار فكري او اكتشاف جمالي انعطفت نحوه الافكار طفرة وتحدثت عنه الالسنة في كل مكان وتهافتت عليه مجتمعات الصالونات الانيقة حتى اصبح احدوثة الوقت وموضة العصر ومادة جديدة تستهلك في احاديث الاسمار والسهرات . وبهذا المعنى كان كثير من الناس رومانسيين وقت الحركة الرومانسية ورمزيين وقت التيار الرمزي، وسرياليين وقت بروز المدرسة السريالية ، ووجوديين مع الوجودية . بل لربما كان لذلك اثر في هيئتهم ولباسهم ومشيتهم وتقصيص شعرهم ونوع حياتهم واسلوب كلامهم . ومثل هذه المواقف التي تقتصر على المحاكاة من خارج لا يمكنها ان تفتح اي افق جديد امام الشاعر ، بل لربما عطلت فطرته السليمة ، وعزلته عن منبع الحياة الغزيرة وتيارها الطامي، لتضعه في قفص من ذهب ، وانحرفت بحدسه نحو الابواب الضيقة ، والتوت بتعبيره نحو الغموض العقيم الذي لا يرى من ورائه الا الفراغ .

وهنالك ، تمزق حقيقي يعلن عن نفسه بصدقه واصالته ، اذ له اصله الثابت في حياة الشاعر ذاتها ، في حواره المستمر مع نفسه ومع المجتمع ، في تقلبه بين اليأس والامل ، وبين الاستئناس بالغير والانعزال ، في مواجهته لهذا العالم الذي لم يختره اختيارا والذي يفرض عليه نفسه ويكتنفه من كل جانب . فهو خلاصة تجربة واسعة عميقة لا تقف عند اي حد . الا انها تجربة تتطلب نوعا من الاقدام والصدق . فالشاعر لا يحاول ان يسمو على الغير ليفوز باللقب ، بل هو يريد الحقيقة لنفسه ويريد ان يقنع نفسه قبل اي احد .

وهذا ما يفسر شعوره بالشك ، احيانا ، وبعدم الارتياح الى ما يكتشفه . فهو دائما بصدد البحث عن شيء ما يكاد يطمئن انه امسكه حتى ينفلت منه وحتى يجد نفسه عاد الى نقطة الابتداء، الى الفراغ الاول . ومن هذا البحث الدائب المخلص ، ومن هذا « الارتعاش » كما يقول (اندري جيد) ، ومن هذا التمزق يتفجر ينبوع الشعر كالزلال من الصخر ، رقراقا صافيا متلألئا . والواقع ان اجدادنا لم يبتعدوا عن هذه الحقائق حينما ادركوا بفطرتهم السليمة ما بين الفن الشعري وصدق الشاعر من علاقة متينة وطيدة .

وتعجبني هنا كلمة للناقد المصري الدكتور عز الدين اسماعيل ، يقول فيها :

« الكلام عن الحزن ليس هو الحزن ، تماما كما ان حديثي هنا عن ظاهرة الحزن لا يعني انني حزين . فالقصائد التي تتحدث عن الحزن نفسه لا تقدم الينا الموقف الحزين . ولكننا نحس بهذا الموقف في قصائد اخرى هي في ظاهرها ابعد ما تكون عن موضوع الحزن . صحيح ان الصور التي يعرف بها الشعراء الحزن نفسه ، كالقول « انه نظرة بلا اهداب » او انه « كاللص في جوف السكينة » او انه « يعرفه الباكون في صمت عميق » هذه الصور واشباهها قد يفيد تحليلها في معرفة مدلول الحزن بالنسبة للشعراء انفسهم ، لكن هذا آخر شيء يهمنا منهم ، لأن ما يهمنا في الحقيقة هو الحزن كما عاشوه ، لا الحزن كما عاينوه » .

الصورة التي انجلت لنا الآن عن الشاعر في حقيقته نستخلص منها ان الشعر ليس بالامر السهل ، كما يتصور البعض ، فما اكثر الذين نظموا الشعر وما اقل الذين كانوا شعراء ! وما اعلى المستوى الذي يجب ان يرتقي اليه الانسان ، وما اعز الصفات التي يجب ان تتوفر فيه ليستطيع النطق بالكلمة الشعرية !

ولست اقول هذا لأثبط عزائم الشعراء الناشئين عندنا او لأصرف ذوي الطموح الادبي عن هذا الميدان ، بل انني ارى من الواجب علينا في هاته المرحلة الاولى من انبعاثنا ان نرحب بكل المحاولات الجديدة ، لأنها مهما قصرت ، ومهما بلغت من

الاسفاف ، فانها تخلق الجو الذي قد تقدح فيه الشرارة الشعرية، وتثير من المسابقة والمنافسة ما يخرج بنا في النهاية الى رحاب القريض الجيد المبدع .

الا انني ارى من الواجب كذلك ان لا ندع انفسنا تنساق في طريق السهولة والتساهل ، فنحسب الشحم فيمن شحمه ورم ، كما يقول المتنبي ، ونقنع بالقوالب والصياغات الشعرية ، وان كانت خلوا من الشعر ، فكثير من الناظمين يعتقدون مخلصين انهم شعراء لمجرد كونهم استطاعوا ان يرصفوا كلمات مصقولة يصفون فيها زرقة عين الحبيبة او شقرة شعرها او يستحضرون صورة القمر على شاطىء او جمال الربيع في روض مونق . وآخرون بعد ان قرأوا نماذج من الشعر المعاصر راحوا يجمعون بين كلمات متنافرة ومعان متباعدة ظانين باخلاص انهم اهتدوا الى الطريق ودخلوا الى جنة عبقر .

ولكن هيهات ان ينحصر جوهر الشعر في هذه الشكليات والعمليات التركيبية والقوالب الجاهزة والمفاجئات التعبيرية . تقول شاعرة العراق ، « نازك الملائكة » :

« الابهام ليس مقصودا لذاته ، وانما هو صورة من صور الحياة ، ولذلك يندر ان تجد شاعرا كل شعره معقد ملتو . اما الذين يتعمدون تعقيد شعرهم فقد يكون « الدوس هكسلي » التمس لهم بعض العذر حين قال : « ان المعاصرين يهربون الى الابهام خوفا من الوضوح الذي هو الصفة الاساسية في الادب الشعبي » .

نعم ، ان الشعر امر صعب لأنه لا يقف عند الكلام المركب المفيد ، كما يقول ابن آجروم ، بل هو تعبير عن حياة زاخرة العباب ، مكتنزة بالاحاسيس والمعاني ، متدفقة بالمشاعر والاهتزازات وهذه التجربة الواسعة العميقة التي يجب ان يتوفر عليها الشاعر لا يقتصر دورها على خلق الاستعداد لدى الانسان ليصبح شاعرا حقيقيا ، بل انها تتجاوز نطاق ذاتيته ليكون لها اثرها البين في التعبير الشعري نفسه .

فكل الناس متفقون على ان للشعر لغة خاصة ، وعلى ان الكلمات التي نستعملها في النثر عند ما تنتقل الى القصيدة يتجدد ثوبها وتتسع قوة ايحائها . فكأن الالفاظ المتداولة منذ القديم تسترجع لنفسها شبابا وطراوة ، وكأن التعابير تبدت لاول مرة في صورة لم تكن معروفة ؛ ومن السهل علينا ان نعزو تلك الطراوة للايقاع الشعري ولموسيقى الابيات ، ولا شك ان لهما في ذلك نصيبا ملحوظا . ولكن النصيب الاوفر يرجع الى ذلك الفيض الشعري الذي يأتي به الشاعر من اعماق نفسه اي الى ما يحمله الشاعر بين جنبيه من رؤى مختلفة، وما يحتضنه في الذاكرة والخيال من مشاهد وتأثرات واهتياجات احتفظت بنفسها وقوتها . فالتعبير الشعري ، ان صح هذا القول ، هو تركيب مزجي تجمعت خلاصة خطرات كثيرة مرت بالنفس . انه لحن تلتقي فيه آلاف الاصداء من الماضي والحاضر او هو رسم تتماوج فيه شتى الاشكال والالوان والانوار والظلال .

وهذا لا يعني انه تركيب مصطنع يقصد فيه الخلط قصدا او تلتقط عناصره من كل ناحية لترتب في شكل هندسي رائق . فعمل الشاعر يقع تماما في طرف نقيض لعمل صانع الزليج، مثلا، او اصحاب التزويق والتوريق . لأن الامر يتعلق هنا بتركيب طبيعي عضوي يوازي التركيب الذي نشاهده في واقع الحياة ويحاول ان يقوم بتشخيصه . فالحياة لا تقدم لنا الا الاشياء المركبة والمعقدة ، ولا نشاهد فيها شيئا بسيطا خالص العنصر . والعالم او الفيلسوف لا ينى في بذل مجهوده لتحليل هذا المركب او الخليط او الركام الذي نسميه الواقع ، تارة ، والحياة ، طورا ، والوجود تارة . وينتهي به الامر الى تمييز العناصر المفردة عن بعضها . الا ان العملية التجريدية التي يقوم بها للوصول الى هاته الغاية تقدم لنا في الاخير اشياء ميتة ، هامدة ، لأنها حينما فقدت عضويتها في المجموع التركيبي ، فقدت حيويتها ومعناها مثل العضو المفصول عن الجسد .

ولكن شتان بين اتجاه العالم والفيلسوف واتجاه الشاعر؛ فهذا الاخير يريد ان يقدم لنا الاشياء حية في غليانها وفوران ها وفي ايماءاتها الحقيقية . ولذا ، فهو يتشبث بالتركيب الطبيعي الموجود في الحياة المباشرة ، وبهذا المعنى ، فان التعبير الشعري يزداد قوة وكثافة بقدر ما يتغذى من تجربة الشاعر الحقيقية . وكلما كانت هذه التجربة كبيرة ، وكلما اكتملت الرجولة في الشاعر ، كان التعبير اعمق واوفى . وهذا ما يفسر لنا ان الشعر لا يمكن ان يقرأ كغيره من انواع الكلام وانه يتطلب قدرا كبيرا من التأمل والتروي . بل ان كل كلمة في القصيدة تستوقف القاريء ، فيمعن فيها النظر وينصت اليها ويزنها كما يزن الذهب ، ويعود اليها الفينة بعد الاخرى ، وفي كل مرة تتكشف له عن معنى جديد ، وتسير به نحو افق آخر . فهو من وراء الالفاظ يحاول ان ينفذ الى سر الشاعر ، الى كوامنه ، الى تجربته الذاتية .

ولست استطيع ان اعبر عن هاته الافكار بأحسن مما عبر به الشاعر النمساوي الكبير « راينر ماريا ريلك » حينما قال : « ان الابيات ليست كما يعتقد البعض عواطف (فالعواطف يعرفها الانسان في سن مبكرة) ، بل هي تجارب . ولكي يكتب المرء بيتا واحدا ، فلا بد له من ان يكون شاهد كثيرا من المدن والناس والاشياء ، ولا بد له من ان يكون قادرا على ان يستحضر في ذهنه طرقا في بلاد مجهولة ، ورحلات طالما ظل ينتظر قرب موعدها ، واياما صبا لم يتكشف له بعد سرها وليالي سفر ...

وليس يكفيه ان تكون لديه ذكريات ، بل عليه ان يعرف كيف ينساها حينما تتكاثر لديه وان يصطبر كثيرا في انتظار

عودتها ، لأن الذكريات نفسها لا زالت لم تصر شيئا ناضجا ، وحينما تتحول فينا الى دم ، ونظرة واشارة ، وحينما لم يعد لها اسم ولم تبق تتمايز عنا ، حينذاك فقط ، وفي ساعة نادرة قد تنبعث من بينها الكلمة الاولى في بيت شعري » .

كل هذه الصفات والمزايا التي يتفرد بها الشعر في شكله ومضمونه تبين لنا في النهاية ضرورة التعبير الشعري في الحياة ، في ادراك الاشياء ولمسها . فالشعر اذا نظرنا اليه من احد جوانبه المتعددة هو ايضا يمثل نوعا من المعرفة ، نوعا يصعب تكييفه وتحديده ، ولكنه يتصل مباشرة بالوجدان حيث نشعر بحضوره الحي . وهذا يخالف بعض الآراء التي تعتبر الشعر لونا ترفيا وكماليا في الحياة الفكرية والثقافية . ولكن الذين عالجوا الكتابة في شتى الفنون والاغراض يدركون جيدا ان له دورا حيويا في الميدان الثقافي ، بصفة عامة ، وفي تطور اللغة والتعبير ، بصورة خاصة . ولن اجد عنا ما يكفي من الوقت لاعرج على مشكلة اللغة التي الفت فيها عشرات الكتب ولا زالت تشغل بال الفلاسفة الى اليوم .

ويكفي ان اقول ان اللغة ما هي الا آلة في يد الانسان لم يصنعها بنفسه ، وانما وجدها في المجتمع وصار يستعملها في حاجياته . وهي ككل آلة ليست لها اية قيمة مطلقة في حد ذاتها. يدل على ذلك كونها تتطور وتتكيف وتعجز احيانا عن اداء المعاني المنبثقة في الضمير . ومهمتها الحقيقية هي ان تعبر عن هذا الواقع ، عن هذا الكائن الذي له هو ، بالعكس ، قيمة مطلقة . هنالك ، اذن تفاوت كبير في الدرجة والنوع بين الوسيلة وغايتها . حقا ، ان الانسان لا زال لم يتوصل الى معرفة الكائن ، كما يقول الفيلسوف « هايدجير » . ومن السخافة ان تطالب اللغة بأن تسبق الفكر الى ميدان لا زال لم يكتشف . ولكن الانسان يستطيع ان يدرك وجوده في نطاق عالمه المتكون من اهتماماته ومشاغله وانعكاساته الذاتية على الاشياء . وهنا تستقر في عقله وشعوره مدركات وصور ومعان مختلفة . وهذا هو الميدان الطبيعي الذي يمكن ان تغزوه اللغة ، اذا سلمنا بأنها تسير موازية للادراك الانساني في جميع حركاته والتفاتاته . فالمطلوب من اللغة هو ان تعبر ، في حدود المعرفة الممكنة ، عن الكائن كما يتمثله الانسان في فكره وكما يستقر في ذاتيته . وهنا توضع امامنا المشكلة . فنحن نشعر دائما وبصورة بدهية عند الكلام بأن تعابيرنا غير قادرة على استيعاب مدركاتنا في حجمها وفي كثافاتها وفي اتجاهاتها الافقية والعمودية . وانها لتجربة نقوم بها في كل وقت تجربة قصور اللغة

ومع ذلك ، فاللغة تظل هي افضل مكسب توصل اليه الانسان واحسن وسائله في الحياة . وبفضل قوتها الايحائية ، فانها تستطيع عند نضوب الادراك وبرودة الاحساس ان تخصب ما في النفوس من مشاعر كامنة وانطلاقات راكدة وان تزيح عن البصائر والأبصار كل الحجب المصطنعة او المفروضة فتفتح لها نوافذ نحو الآفاق الرحبة ، الآفاق التي تستطيع فيها الروح ان تستمتع بحريتها الكاملة .

(يتبع)

سلا : محمد زنيبر

شعر في ثقيل

قل للبغيض أخي البغيض ابن البغيض ابن البغيضة

ضاقت على الثقلين من بغضائك الارض العريضة

ودعت ملائكة السماء عليك دعوى مستفيضة

في ميدان القصة :

المذاهب الفلسفية والادبية

وأثرها في الرواية الأوربية

للأستاذ : محمد الأمري

- 2 -

يذكر بعض علماء الغرب بأن الفيلسوف الاندلسي ابن رشد كان أكثر اهمية في الفلسفة المسيحية منه في الفلسفة الاسلامية ، فهو بالنسبة لهذه نهاية طريق مغلق بينما هو بالنسبة للأولى بداية الطريق (1) ، وذلك منذ ان ترجم الى اللاتينية من لدن «ميخائيل سكوت» في مستهل القرن الثالث عشر ، فكان له تأثير قوي لا على الفلسفة « الاسكولائية » اي المدرسية وحدها ، بل وعلى احرار الفكر من غير المحترفين الذين اطلقوا على انفسهم اسم « اتباع ابن رشد » ، في الوقت الذي كانت جامعة باريس تضم اكثر المعجبين به من الفلاسفة المحترفين . « فتوما الاكويني» الذي يعد من اعظم الفلاسفة الاسكولائيين لم يسلم من التأثر بالفيلسوف المغربي على الرغم من اعلانه القيام بدور تصحيح فلسفة ارسطو مما الم بها من الخطا في انتقاده عن طريق ابن رشد واتباعه من المسيحيين ، معتمدا في هذا التصحيح على الترجمة من اليونانية بفضل صديقه « وليم الموربيكي » وهناك ايضا الاسكولائي الانجليزي « روجير بيكون » الذي انتقد المترجمين من معاصريه عن اليونانية والعربية معا ، مثلما كان ينتقد بناء الحجة على ما اعتقده الاسلاف بينما نراه بالرغم من ذلك لا يتورع عن اقتباس آراء بعض الفلاسفة ، من بينهم ابن رشد وابن سينا كذلك (2) .

اذا ، فقد كان ابن رشد بداية الطريق في الفلسفة الاوربية التي سنراها تغتني بالعديد من المذاهب الفلسفية والادبية والعلمية يتداخل بعضها في بعض ، ويناقض بعضها الآخر ولم يكد يحل القرن السابع عشر حتى رأينا عناية فائقة بالمنهج ، فظهرت عدة كتب في هذا الموضوع لفلاسفة مشهورين مثل « فرنسيس بيكون » صاحب كتاب « الأرجانون الكبير » و « ديكارت » صاحب « المقال في المنهج » و « اصلاح الذهن » لسبينوزا ، وقد كان بيكون في مقدمة فلاسفة المذهب التجريبي المناهض للمذاهب العقلية الصرفة . في حين نرى « ديكارت » من اعلام المذهب العقلي . فاذا انتقلنا الى منتصف القرن الثامن عشر الفينا المدرسة التصورية او المثالية في اوجها على يد « عمانويل كانت » واتباعه من مثل « فخته » « وشلينغ » « وهيجل » فيما بعد ، جاعلين نصب اعينهم معارضة المذهب التجريبي ثم التشككي الذي تزعمه « دافيد هيوم » .

اما في منتصف القرن التاسع عشر فان نظرية « داروين» في النشوء ، ولم تكن في الحقيقة سوى نظرية بيولوجية لم تلبث ان تحولت الى مذهب فلسفي تام على يد البيولوجي الالماني هيكل (1834 ــ 1919) يطلق عليه المذهب « المادي » او «مذهب الطاقة» ، كما نرى حملة جديدة ضد المذهب «التجريبي» ونظرية التطور يتزعمها في انكلترا « ت. ه. جرين » تحت اسم المذهب المثالي المطلق او كما سماه البعض « بالكانتية » او « الهيجلية الجديدة » ، وتزعم هذه الحملة في فرنسا « لاشلييه » و « رويس » في امريكا .

فاذا اشرف القرن على نهايته ، رأينا في فرنسا رد فعل قوي للنظرية الآلية العلمية بلغ دورته في مذهب التطور الابداعي الذي يمثله الفيلسوف الفرنسي الشهير « هنري برجسون » يقابله في المانيا « هانس دريش » و « ليم جيمس» في امريكا تحت اسم « البراجماتزم » وعليه بنى « جون ديوي» فلسفة الذرائع ، لنخلص فيما بعد الى المذهب الواقعي المتفق مع الروح العلمية الحديثة، والنتائج العامة التي وصل اليها العلماء، وقد ظهر على يد الفيلسوف البريطاني « صموئيل الكسندر »

1) تاريخ الفلسفة الغربية « لبرتراند رسل » ترجمة الدكتور نجيب محمود ص 196 ج 2 .

2) نفس المصدر ص 253 من الكتاب الثاني .

الذي اعتمد على الزمان والمكان او الكون الزماني المكاني ذي الابعاد الاربعة ، والمعتمد على الحركة البحتة (اي الانتقال من نقطة زمانية مكانية الى نقطة اخرى) (3) .

واذا كنا لم يخطر ببالنا قط محاولة التعرض الى جميع المذاهب الفلسفية الغربية التي ظهرت خلال القرون الاخيرة ، بسبب ان ذلك قد ينحرف بنا عن القصد الذي نرمي اليه ، فاننا تحرينا الاشارة الى البعض منها مما قد تكون له مداخلة مع بعض المذاهب الادبية التي كان لها ابعد الاثر في الرواية الاوربية ، على اننا لا نغفل هذا الاتساع الى اثر بعض المذاهب السيكولوجية والاجتماعية ، والكشوف العلمية في الموضوع ، فنظرية « فرويد » سنرى ما لها من اثر في المذهب « السوريالي » مثلا « ووليم جيمس » وهو العالم النفساني كان له ابعد الاثر في نتاج اخيه الروائي « هنري جيمس » ، وكان لبعض الاختراعات اثر لا ينكر في الرواية كذلك ، فاختراع الكاميرا مثلا قد بدأ اثره على الرواية في العناية بالحركة الخارجية وتسجيلها بدلا من الاهتمام بالدوافع النفسية ، والاعتماد على العقل الباطني .

وقبل التعرض الى بعض المذاهب الادبية واثرها في الرواية الاوربية يجب الا نغفل الاشارة الى تدخل مختلف العوامل السياسية والدينية والاجتماعية والاقتصادية في نشوء تلك المذاهب بحكم النزوع الحي الى محاولة انشاء الهياكل المثلى للبنيات الاجتماعية والسياسية والثقافية والادبية .

واذا كان الشرق الاسلامي لم يستلفت نظره من التراث اليوناني الا الفلسفة والطب والهندسة وغيرها من العلوم دون الاهتمام بالجانب الادبي والفني من ذلك التراث ، فان الفكر الغربي الذي عرف كثيرا من تلك العلوم عن طريق الفكر الاسلامي اقبل يتعرف على التراث الادبي اليوناني بواسطة المترجمين الذين نشطوا خلال القرن الثاني عشر ، حيث كانت المراكز الرئيسية لنشاط الترجمة بصفة عامة هي القسطنطينية وبالرمو ، وطليطلة ، وهذه الاخيرة كانت اهمها حيث انشأ رئيس الاساقفة « ريموند » كلية للترجمة (4) ، وهذا ما جعل معظم الادباء ينحون نحو الادب اليوناني ويتأثرون به جد التأثر ، ومن ثم كان في معظمه كلاسيكيا الى ان ظهرت الرومانطيقية ، وكان من حظ الرواية ان تحتضن هذا الاتجاه الادبي قبل فني الشعر والمسرح ، اي منذ 1802 حيث اصدر الكاتب الفرنسي « شاتوبريان » روايته « رينه » التي تدخل في نطاق الرواية السيكولوجية ، وقد اصطبغت بها الرومانطيقية في بدء ظهورها ، شأنها في ذلك شأن روايتي « مدام دي ستايل » « ودلفين » « وكورين » ورواية « اعترافات في العصر » (لألفريد دي موسيه) وان كان التعبير هاهنا اكثر اتساما بميزات الرومانطيقية ، فهو ملتهب وفصيح وعاطفي يحمل التحليل بحركة مستعجلة لاهثة (5) ولا تكاد تظهر روايات « ستندال » حتى نرى الروح الرومانطيقية قد تبلورت بشكل يعاكس ما رأيناه في « رينه » (لشاتو بريان) ، «واعترافات فتى العصر » (لموسيه) ، وان كان هذا لا ينفي ان مشاغل ابطال « ستندال » كانت نفس مشاغله هو ، مع شيء من الاهتمام بالاشخاص الثانويين ، واتساع المجال امام المخيلة ، مع تعقيد الدراما . ولم تلبث الرومانطيقية ان اتخذت التاريخ مصدرا لها بحكم النزوع الى التخصيص الذي اضيف اليه فيما بعد ذوق التجريد والحقيقة الخارجية التي هي احد الخطوط الرئيسية في الرومانطيقية (6) وكان ذلك ايضا على يد « شاتوبريان » في ملحمته « الشهداء » LES MARTYRS التي ظهرت سنة 1809 على ان « الكسندر ديماس » استطاع ان يوفر للرواية التاريخية ما اتسمت به من شعبية بقطع النظر عما وجه اليه من انتقادات لا مجال لذكرها هنا ، وفي هذا الصدد ينبغي الا نغفل عن ذكر رواية « نوتردام دي باري » (لفيكتور هيجو) الذي ستتخذ الرواية الرومانطيقية على يده اطارها الاجتماعي في « البؤساء» LES MISERABLES دون ان نتجاهل تأثره بأوجين سو SUE ولا سيما في روايته « اسرار باريس » .

اما الرواية الواقعية، وهي من مواليد الرومانطيقية كذلك، فكان رائدها المبرز بدون جدال « بلزاك » في رواياته الخمس والعشرين التي جمعها تحت عنوان « الكوميديا الانسانية » LA COMEDIE HUMAINE وبالمقابل تمثل الرواية العاطفية عند « جورج صاند » ويمكن القول ان الرواية استفادت من الرومانطيقية عمقها واتساعها ، وكان اول الفنون الادبية احتضانا لهذا المذهب الادبي الذي قام على انقاض الكلاسيكية التي كانت الى القرن الثامن عشر واوائل القرن التاسع عشر مسيطرة على الجو الادبي ، وانعكس على الرواية ما تتسم به الرومانطيقية من احلام واوهام وتعلق بالامور البعيدة ، وميل الى الحزن ، والتفكير في الموت ، والاغراق في الخيال ، والايمان بالمغيبات ، والولع بالفروسية ، وهيام بالبطولات وهي جميعها خصائص الرومانطيقية .

هذا في فرنسا ، اما في انجلترا فقد ظهرت الرومانطيقية في قصص الغموض والخيال بظهور « قلعة اترانتو » (لهوراس والبول) ، وقد نشرت سنة 1764 ، اما روايات « السير والترسكوت » فيمكن ان تساق كمثال للرواية التاريخية

---

3) فلسفة المحدثين والمعاصرين لـ : « ا . وولف » ترجمة الدكتور ابو العلاء عفيفي ص 115 .
4) تاريخ الفلسفة الغربية « لبرتراندرسل » الكتاب الثاني ص 216 .
5) الرومانطيقية « لفان تيغم » ترجمة بهيج عثمان .
6) الرومانطيقية للمؤلف والمترجمين السابقين .

الروماتطيقية (7) ولم تخل آثار ادباء انجليز « كجورج اليوت، ونيومان ، وكارليل » وغيرهم من ثمار الروماتطيقية ، وان كانت « جورج اليوت » تمتاز بالتزامها الواقعية وتطبيقها تطبيقا علميا على عقول شخوصها (8) .

وظهرت « السريالية » لتهدف الى استعادة جميع الطاقات غير المعترف بها ، مرتكزة حسب رأي « اندريه بريتون » على « الايمان بالحقيقة العليا لبعض اشكال الجمعيات التي كانت مهملة قبلها ، وعلى قوة الحلم العظيمة ، والحركة النزيهة للفكرة» ومن المسلم به ان السريالية تخرج عن نطاق الادب ، بالنظر الى انها تهدف الى اعتاق الانسان من مدنية بالغة التعقيد والنفعية الا انها بالنظر الى ان افضل وسيلة للاعراب عن الحالات النفسية هي الفن ، فقد لجأت الى تقييم الانتاجات من الناحية الجمالية فقط (9) ، فالفن عند السرياليين اذن ليس سوى طريق موصل الى السريالية ، وصحيح ان السريالية افادت الشيء الكثير من كشوف « فرويد » النفسانية ، الا انها تخطت التحليل الى تحقيق ما اكتشف من الثروات الداخلية للانسان ، وهذا يعني انها تجمع النظرية والتطبيق ، وبالنظر الى ان السريالية كانت في الواقع ثورة على الروماتطيقية لأجل اكتشاف عالم آخر ، فانها من جهة تعارض ذاتية الروماتطيقية التي لا تعترف الا بحقيقة انسان مفكر عاقل ، كما ترفض من جهة اخرى ذاتية التأثرية (IMPRESSIONNISME) التي تقضي بابقاء التأثر على النحو الذي وقع الشعور به . والسريالية تعتبر الشعر اكثر جدارة لايحاء المهاوي السرية من فن التصوير بالنظر الى تميزه بسرعة الاعراب عن تتابع الافكار في الروح المودعة لنفسها ، ومن ثم ينصح ، « اندريه بريتون » بممارسة الشعر لبلوغ الالهام السامي ، ومن اجل ذلك نرى ان السريالية وجدت مجالها الفسيح في الشعر اكثر من اي فن ادبي آخر . الا انها مع ذلك لا تتجاهل ما للحوار من تناسب مع اشكال اللغة السريالية بالنظر الى انه يبتدع صورا عفوية شريطة عدم اللجوء الى استنباط متعة جدلية من احد الطرفين وفرضها على مخاطبه ، ومعنى هذا ان السريالية تتحرى مجانبة العالم الواقعي لتقتحم عالم الرؤى والاشباح ، وهذا الجو اللا واقعي هو الذي نعثر عليه في الروايات السوداء للقرن الثامن عشر بانكلترا والتي قوبلت بنجاح كبير ، فرواية « الراهب » للويس التي ترجمها « انطونان ارتو » بعد ان استهوته تلك المداخلة الثابتة للسحر والشعوذة في الحياة الواقعية يرى فيها بريتون « رغبة الخلود لأبطال متحققين من كل مضايقة وقتية ، ولا يطرى الا ما يوحي من الروح ترك الارض » ومثل ذلك يمكن ان يقال عن رواية « هويسمان » (على الطوف) ورواية « المسدس ذو الشعر الابيض » التي يصف فيها (بريتون) احد قصور الاحلام . ورواية « قصر اوترانت » التي استلهمها « هوراس والبول » من احد الاحلام .

ان السرياليين يعتقدون ان الانسان اسير احلامه ، في حين نرى ان الطبيعيين يعطون للتوافه اليومية اهمية في حياة الانسان الذي ينفعل لها دائما ، وثم كان يحدو هؤلاء الرأي القائل : « ان مصير الانسان هو وسطه » عكس الآخرين الذين يقولون : « ان مصير الانسان هو خاصته » .

واذا كان « اميل زولا » مؤسس الاتجاه الطبيعي في الرواية اعتمد بالدرجة الاولى على الجانب الفيزيولوجي ، فان تلاميذه اتجهوا الى الجانب الاجتماعي بالنظر الى ان الفرد يعكس الوسط الاجتماعي ، الا ان هؤلاء انقسموا فيما بعد الى تيارين اساسيين في المذهب الطبيعي (10) ، اولهما يهتم بوصف البيئة الاجتماعية بشكل وثائقي ان صح التعبير ، في حين يهتم التيار الثاني ببعض القضايا الاجتماعية وفضحها ، وكذلك القضايا الاقتصادية ، والرواية الامريكية تسعفنا بنماذج من التيارين معا، على ان ابرز من يمثل التيار الاول « جيمس فاريل » بينما يمثل التيار الثاني « دوس باسوس » ومع ذلك فان من الخطا الاعتقاد بأن الطبيعيين من كتاب الرواية تقيدوا دائما بأسس هذه المدرسة ، « فزولا » نفسه وهو مؤسسها يؤكد لنا في « جيرمينال » هذا الرأي حيث يحلق في اجواء الخيال الفسيحة بشكل يذكر بالملاحم ومثل ذلك يقال عن « فاجنر » .

اما الوجودية فبالرغم من انها فلسفة قوامها الفرد بنزعاته ورغباته وبذلك القلق الحاد الذي يستحوذ عليه حيال المصير ، بل وطلاسم الحياة نفسها ، فمن الصعب تأطيرها كمذهب فلسفي منظم ، ذلك لسبب وجيه هو انها مذهب حياة ، والحياة معقدة وغنية بالمفاجآت ، ومن ثم اختار الوجوديون لأنفسهم طريقة العرض الروائي والمسرحي والقصصي لنظريتهم الفلسفية ، وهي تعارض كل ما يندرج تحت العموميات والقوانين الكلية ، وبصفة عامة جميع المذاهب التي تقضي بذوبان الشخصية كمذهب «هيجل» الالماني مثلا .

واذا كان « كير كجورد » (1813 ـ 1855) يذكر دائما على انه ابو الوجودية ، فمن الخطا الاعتقاد بأنها لم تخطر ببال احد قبل ذلك ، « فتوما الاكويني الاسكولائي » ادرك هو

---

7) القصة في الادب الانجليزي للدكتور طه محمود طه مجلة « القصة » عدد 2 السنة الاولى .

8) نفس المصدر ص 168 .

9) السريالية « لأدولف دوبليش » ترجمة بهيج عثمان .

10) « خواطر حول جنوح المذهب الطبيعي الى الزوال » بقلم (فيليب راف) مقال نشر « بمجلة الآداب البيروتية العدد 11 السنة الاولى .

ايضا قبل « كير كجورد » ان المجرد غير موجود ، وان التجريد يرتكز على الفرد ، وان هذا الفرد هو نقطة الانطلاق » (11) .

ووجود الفرد سابق على ماهيته من وجهة النظر الوجودية، ويكمن هذا الوجود فيما يقوم به الفرد من اعمال، وما يتخذه من مواقف ، ومن ثم كان عليه ان يجعل لوجوده نكهة وجدة ، وهذا يعني الانتقاء ، وهذا بدوره يعني الحرية والمسؤولية في آن واحد ، على ان تتجاوز هذه المسؤولية الشعور بالحرية في اختيار المصير الى اتخاذ هذا الفرد موقفا مما يدور حوله في هذا الكون ، فهو مسؤول عن كل شيء « مسؤول عن الحرب كما لو كان هو الذي اعلنها » على حد تعبير « سارتر » في « الوجود والعدم » .

هناك فكرة تطبع ادب العصر حسب رأي « جورج برنانوس» هي ان « كل شيء ينبغي ان يعاد ويبدأ من جديد (12) » اذ ان الانسان يلقي نفسه وحيدا امام نظريات جاهزة يرفضها ويتحمل مسؤوليته في وحدته هذه ، ومن ثم يشتد قلقه وحيرته ، وتتضاعف مسؤوليته ، وهذا هو القاسم المشترك بين آثار كل من « برنانوس » و « مالرو » و « كراهام كرين » و « البير كامو » ، وصحيح اننا نلمس منذ بداية القرن العشرين ان « الحياة كفت عن ان تكون جاهزة » (13) نلمس ذلك عند « بيجي » و « اندري جيد » ، وصحيح ايضا ان « الحرية » و « الوعي » تأخذان مكان الصدارة في آثار «جيد» و «كوكتو» و « رال يغييه » بالقدر الذي جعل بطل الاول « لافكاديو » وبطل الثاني « توماس » المشعوذ ، ومن ابطال الثالث مكارى مراهقين لا يومنون بغير اهوائهم وحريتهم الثمينة ، ولكن المأساة الانسانية تبدو عند « مالرو » و « كامو » اكثر جسامة حين يواجه الانسان مصيره وقدره ، في حين تحول الوعي والحرية عند « روكانتان » بطل رواية « الغثيان(LA NAUSEE) « لسارتر » الى ضرورة قاسية وفاجعة (14) .

وفي قصة « ضباب » (لميجل اونامونو) الفيلسوف الوجودي تتجلى ظاهرة القلق الحاد من اجل المصير ، فلا يتورع « اونامونو » عن التدخل حينما قرر البطل الانتحار لينخرط معه في حوار عن الموت ، وحينما يموت البطل يحاول الفيلسوف الوجودي ان يبعثه مرة اخرى ، وفي الحلم يخاطبه البطل قائلا : « ان الذي يموت مرة لا يستطيع الخالق ان يبعثه ، لأن احدا لا يرى حلما واحدا مرتين » والحياة غير مبررة ، والشعور بهذا يتبدى لنا عند بطل « كامو » في قصة « الغريب »(L'ETRANGER)

ثم ان هناك نظرية تعني عدم الكفاية للقيمة الخارجية والاجتماعية لبناء حياة اخلاقية حقيقية ، وصدق انسان حقيقي وان لا قيمة للرضى الصادر عن الشهرة ، وصحيح ان هذه النظرية وردت على لسان « بوسويه » و « باسكال » الا انها اخذت مكانة اكثر فيما بعد عند « جيد » و « مالرو » و « بيراند للو » و « أنوى » واذا كان لهذا الاتجاه من معنى فهو تحد للقيم المندرجة تحت حضارة متجمدة يخيم عليها الرياء والطمأنينة وينعدم فيها عنصرا الاخلاص والقلق ، ومن ثم فان الاتجاه الفلسفي «لسارتر» يرتكز « على الصراحة والاخلاص ، والوعي ، والمسؤولية العارية دون اعتبار لقيم الجماعية والاخلاقية » (15)

والوعي بحاجة الى شيء يوعى او بعبارة « سارتر » نفسه « ان كل وعي هو وعي شيء ما » ، اما الاشياء بحد ذاتها فهي لا تحتاج في وجودها الى شيء ، فهي كثيفة ليس لها من هيئة ، وكذلك تبدو في « الغثيان » ، ولأنها موجودة بذاتها ، فقد اطلق عليها « سارتر » اسم الوجود ، ولكنها بالرغم من ذلك ليست بشيء دقيق واضح ، وانما الذي يضيئها ويكسبها معنى هو الوعي الذي يقتطع شيئا من اشياء ، وهذا يعني انكار جزء من العالم اي ان الوعي يتجه نحو العدم الذي هو في الطرف المقابل، وهو عدم في نظر « سارتر » لا يهتدي بالوعي وانما يرفعه ، ومن ثم فان الانسان ليس الا وعيا ينفصل عن الاشياء ويعطيها معنى .

وطبيعي اننا لن نستطيع في هذه العجالة الالمام بمختلف التأملات التي تطرحها الفلسفة الوجودية غالبا في صورة مواقف لأبطال روايات ومسرحيات ، وما اشرنا اليه منها ، وبالنسبة كذلك لما سبقها من المذاهب الفلسفية والادبية كان قصدنا منه بالدرجة الاولى تأكيد الحقيقتين التاليتين :

1) تدفق التجاري الثقافية المسفة بروافد مختلفة في اوربا وتجددها وحيويتها .

2) مسايرة الرواية لهذا التدفق والتجدد والحيوية ، واحتضانها لكل جديد ، هذا في العالم الاوربي ، اما في الشرق العربي فذلك ما سنحاول التعرض له في مقال قادم بحول الله .

الرباط ـ محمد الامري

---

(11) « الصراع في الوجود » (لبولس سلامة) ص 456 .

(12) « سارتر والوجودية » لـ : (ر . م . البيريس) ترجمة الدكتور سهيل ادريس ص 18 .

(13) نفس المصدر ص 17 .

(14) نفس المصدر ص 35 .

(15) نفس المصدر ص 66 .

لم يكن القرآن بلغة قريش فحسب ...

للأستاذ : الراجي التهامي الهاشمي

اطلعت صدفة اثناء قراءتي لمجلة « الاديب » البيروتية لشهر اكتوبر المنصرم فى ركن « بريد الاديب» على مراسلة الاستاذ عبد الخالق عبد الرحمن فى فى تعقيبه على مقال للاستاذ حسن الكرمي . الذي نشر فى عدد يوليو 1964 من نفس المجلة .

اشار الاستاذ حسن الكرمي فى مقاله الموما اليه اشارة خفيفة الى لغة القرءان حيث قال : « وعلى هذا جاء القرءان الكريم بلغة قريش التي اجمع عليها العرب وجاء قرءانا عربيا مبينا ، ولم يأت غريبا ولا فى لهجة من اللهجات » .

دفعت هذه الاشارة الخفيفة بالاستاذ عبد الخالق عبد الرحمن الى مراسلة المجلة المذكورة رادا على زميله الكرمي بقوله :

« والحقيقة والواقع يثبتان خلاف ذلك . فالقرءان لم يكن بلغة قريش فحسب بل فيه من غيرها ، فقد ورد بلغة هذيل وكنانة ، وطيء ، وجرهم ، ومذحج وقيس عيلان وغيرها » .

وانا لا ادري هل الاستاذ الكرمي يريد ان يقول انه لا يوجد فى القرءان الفاظ من اللهجات الاخرى غير لهجة قريش ام انه يقصد فقط ان القرءان عربي مبين نزل فى معظمه بلغة قريش ، ووجود الفاظ من اللهجات الاخرى لا يؤثر مطلقا فى بيانه الناصع ولا فى قرشيته ، لان عبارة الاستاذ الكرمي مختصرة اشد الاختصار ، لم تهيئها عبارات سابقة كما لم توضحها عبارات لاحقة . فالحكم على اعتقاد الاستاذ الكرمي فيما يخص لغة القرءان حكم سابق للاوان .

غير ان الاستاذ عبد الخالق عبد الرحمن رد عليه بما سمعتم . واحال قراء مجلة الاديب على كتاب له فصل فيه ذلك ، وعنوانه « «فضل القرءان على العربية » ولا شك انه كتاب مفيد سيسد ان شاء الله هذا النقص الذي نعانيه فى مثل هذه الدراسات .

الا ان الكتاب لم توضع له مقدمة بعد ، كما يخبرنا بذلك مؤلفه ، ولا زال لم يسلم للمطبعة حتى الان، وقد يطول انتظارنا له ، فمن يدري؟ ولهذا احببت – فى انتظار ظهور هذا الكتاب ان اطلع اخواني القراء فى المغرب – ولو بشكل مختصر جدا – على اللهجات التي وردت فى القرءان الكريم من غير لغة قريش . وانا لا ادعي انني ارد بهذا على الاستاذ الكرمي – فما احوجني الى علمه – اذ لا اعرف بالضبط هل يعتقد ما نسب اليه صديقه الاستاذ عبد الخالق . كما انني لا ادعي انني سأغني القارىء الكريم عن قراءة كتاب « فضل القرءان على اللغة العربية » الذي اتمنى ان يصلنا قريبا . ولكنني ءامل ان يعرف قراؤنا ان فى العزيز لهجات كثيرة وأنه لم يقتصر على لغة قريش وحدها .

وانا لا ادخل فى هذا العرض البسيط الى التفاصيل والخلافات والابتكارات التي وصل اليها بعض الباحثين المعاصرين فى هذا الباب ، وانما اقتصر هنا على ذكر ما اتفق عليه المفسرون القدماء .

ولقد عددت اثناء تلاوتي للقرءان الكريم ، معتمدا فى ذلك على شرح العلامة الورع الزمخشري المسمى بالكشاف وعلى ما ورد فى ذيل تفسير القرءان للامامين محمد بن احمد المحلي وابي بكر السيوطي من لغات قبائل العرب لابي قاسم بن سلام ، اقول عددت 45 لهجة . وقد اكون نسيت اخرى ، ولعل بعض الفضلاء يدركون ذلك بعدي ويطلعوننا عليه مشكورين .

واعتقد ان من المفيد جدا ان ارتب لك هـــذه القبائل حسب اهميــة عدد مفرداتها الواردة في كتـاب الله العزيـز .

واول قبيلةحظيتبقسط وافرمن المفرداتفي القرءان هي هذيل ، وقد احصيت لها 46 لفظة يقول المهتمـون بهذه الدراسات انها من لهجـة هذيـــل ، وزعت في القرءان على الشكـل الآتي :

1 ـ « بئسما اشتروا » : معناها باعوا بلغــة هذيل وتوجد في سورة البقرة الاية 90 .

2 ـ « لاعنتكم » الموجودة في سورة البقـــرة الايــة 200 ومعناها الاثم .

ويخيل الي ان اول من شرح هذا اللفظة بهـذا المعنى هو المنذري ، روى عنه هذا ابو الهيثم . حيـن قـــال :

« العنت في كلام العرب الجور ثم فقلت لـــه التعنت من هذا ؟ قال نعم .»

واعتقد ان هذا المعنى يوافق ما جاء في حديث الرسول عليه الصلاة والسلام : «الباغون البراء العنت»

ومعلوم ان جميع الكلمات المشتقـة من العنت هي كذلك من لهجة هذه القبيلة التي تتحدث عنهـا ، هكذا يوجد بآل عمران « وما عنتم » الاية 118 ، امـا بالنساء فنقرا بالايــة 25 « والعنت منكم » وبالتوبـة «وما عنتم» ونتلو بالحجرات « ولعنتم » وكلهـــــا بالمعنى الذي ذكرتـا .

3 ـ « عزموا الطلاق » ومعناه حققوه ـ سورة البقـرة الايــة 217 .

4 ـ لفظة « صلوا » الكائنة في سورة البقـرة الايــة 264 ومعناها نقيـا .

5 ـ قوله : «ءاناء» الليل ـ سورة ءال عمران الاية 113 ومعناها ساعات .

6 ـ كلمة « فورهم » بسورة ءال عمران الايـة 125 ، ومعناها حالا ، وعكسها التراخي كما قال الامام ابو حنيفة رحمه الله : « الامر على الفور لا علـــــى التراخي » ويرى الزمخشري «1» انها مشتقة مـــن « فارت القدر ، اذا غلت » .

ويرى فقهاء اللغـة ان هذه المفردة هي ايضـــا لهجة قيس عيلان وكنانـة .

7 ـ مراغما . سورة النساء الاية 100 ومعناها مهاجرا ، وطريقا يراغم بسلوكه قومه ولا شك ان كل مشتقاتها من لهجـة هذيل . كـ « على رغم انوفهم » والرغم الذي بمعنى الذل .

وراغمت الرجل اذا فارقته وهو يكره هـــذا الفـراق .

ويرى الزمخشري «2» : « واصله لصوق الانف بالرغام وهو التراب » .

8 ـ قوله عز وجل : « وجعلكم ملوكا » سورة المائدة الاية 20 . نلاحظ هنا ان المفسرين اختلفوا في معناها . اما الامامان محمد ابن احمد المحلي وابو بكر السيوطي فيريان انها بمعنى احرار . اما الزمخشري فبعد ان ياتي برايه في شرح الكلمة يقول : « ملكهم بعد فرعون ملكه » ثم يذكر ما ذهب اليه الشراح في هـذا الصدد فيقول «3» : « وقيل كانوا مملوكين في ايدي القبط فانقذهم الله ، فسمي انقاذهم ملكـا ، وقيل : الملك من له مسكـن واسـع فيه ماء جار . وقيل من له بيت وخدم وقيل من له مال لا يحتاج معه الـــــى تكلف الاعمال وتحمل المشاق .

9 ـ قوله عز وجل : « وما مسنـي السـوء » سورة الاعراف الاية 188 ومعناها الجنون .

ولقد جاءت بنفس هذا المعنى في سورة هـــود « بعض ءالهتنا بسوء » .

10 ـ لفظة « فرقانا » الموجودة في ســـورة الانفال الاية 29 : « يا ايها الذين ءامنوا ان تتقـــوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفــــر لكم والله ذو الفضل العظيم .

11 ـ قولـــه : « خرض » في الاية 64 مـــن سورة الانفال ، وقد جاءت في هذه اللغــة بمعنى حض.

«1» الكشـاف الجزء الاول صفحة 316 الطبعـــــةالثانيــة ـ القاهـرة 1953 .
«2» المصدر السابق صفحـة 431
«3» المصدر السـابق صفحـة 482 .

12 ـ « وليجة » فى سورة الانفال الاية 16 ومعناها بطانة واولياء .

13 ـ « عيلة »سورة التوبة الاية 28 ومعناها الفاقة ونطق بها بعض القراء بالهمز بمعنى المصدر كالعافية .

14 ـ انفروا « الكائنة فى سورة التوبة » الاية 38 وجميع الكلمات التي تشتق منها كـ «الاتنفروا» فى نفس السورة الاية 39 .

15 ـ « السائحون » التي بمعنى الصائمون الموجودة فى سورة التوبة الاية 112 .

16 ـ « غمة» فى سورة يونس الاية 71 ومعناها فى هذه اللهجة التي نتحدث عنها شبهة .

17 ـ قوله جلت قدرته فى سورة يونس الاية 92 التي يقول فيها لفرعون اللعين ، يوم غرقه فى البحر : « فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك ءاية وان كثيرا من الناس عن ءايتنا لغافلون » .

فلفظة بدنك الواردة فى هذه الاية الشريفة هي من هذيل ومعناها الدرع . ولقد قراها ابو حنيفة بابدانك يريد بدروعك . وعندنا شاهد ءاخر من الشعر العربي يظهر ان لفظة بدن بقيت تحمل معنى الدرع زمنا ليس بالقصير وكانت معروفة متداولة بين الناس

اعادل شكتي بدني وسيفي وكل مقلص سلس القياد

ويحكى لنا الرواة تعقيبا على هذا البيت ان هذا الشاعر كان يملك درعا من ذهب وهو هنا يفتخر به وبسيفه وبفرسه المكتنز اللحم .

18 ـ «حصيد» ولها معنيان ، اولاهما «منحدر من الارض » بلهجة العمالقة ، وثانيهما « ما سوى من الارض » بلهجة قبيلتنا هذه التي نتحدث عنها . وتوجد هذه اللفظة فى سورة هود الاية 100 .

19 ـ لفظة « ظل » الموجودة فى سورة النحل الاية 58 ومعناها صار ورغم ان فى الاية اشارة الى القبيلتين خزاعة وكنانة اللتان كانتا تقولان ان الملائكة بنات الله : « ويجعلون لله البنات سبحانه ، ولهم ما يشتهون واذا بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم . » فان هذه المفردة هذلية لا جدال فيها ، هذا من جهة ومن جهةاخرى فان المعنى الاجمالي للاية لا يستقيم اذا اعتبرنا ظل بالمعنى المعروف المتداول بيننا الان فى لغتنا .

ولقد خبط الذين تعرضوا لهذه الاية بالشرح خبط عشواء لم يخرجوا منها الا بالتاويلات البعيدة .

اما الزمخشري ، وهو اللغوي المحنك فقد غاص مع المفردة الى الاعماق وقال فى شرحها : « ظل بمعنى صار »

لكن العلامة احمد بن المنير رد عليه فى كتابه المسمى بالانتصاف بما لا يمكن ان يقوم حجة ضد ما ذهب اليه جار الله ، تلك المعنى التي اثبتناها اعلاه. قال : « جاز ان يراد الظلول نهارا لقصد المبالغة فى وصفهم بالعناد والاصرار وانهم لو عرجو نهارا فى الوقت الذي لا يتشابى على البصر فيه شيء الى السماء لتمادوا فى كفرهم وتكذيبهم والله اعلم » .

20 ـ المبذرون: ومعناهاالمسرفونوهي موجودة فى سورة الاسراء الاية 27 .

21 ـ شاكلته : وهي بمعنى ناحيته فى اللهجة الهذلية وتوجد فى سورة الاسراء الاية 84

22 ـ قوله عز وجل : « رجما بالغيب » اي ظنا فى الغيبة وتوجد هذه اللفظة فى سورة الكهف الاية 22

23 ـ قوله تبارك وتعالى : « ملتحدا » ومعناه ملجا ، وتوجد هذه المفردة بسورة الكهف ايضا الاية 27 .

وقد يظن ظان ان لفظة « الكلمات » الموجودة فى هذه الاية الشريفة معناها « اللفظ » . واعتقد ـ والله اعلم ـ ان المقصود ب «لكلمته » هي الايات القرءانية ، وحجتنا على ذلك قوله تعالى : « واذا بدلنا ءاية مكان ءاية» وقوله كذلك : «ايت بقرءان غير هذا او بدله » فقال له ربه : واتل ما اوحي اليك من كتاب ربك لا مبدل لكلمته ، ولن تجد من دونه ملتحدا » .

24 ـ « يرجو » الموجودة فى ءاخر ءاية من سورة الكهف ورقمها 100 ومعناها يخاف بلغة هذيل .

« يتبع »

الراجي التهامي الهاشمي

هل ساند الشعر الدعوة الاسلامية

للاستاذ : أبو طالب زيان

يخطىء من يظن ان الشعر ، لم يقف جنبا الى جنب فى الدفاع عن الرسول الكريم ، يوم جهاده الاكبر فى الدعوة الاسلامية .. فقد كان للشعر فى هذا الصراع العنيف مجال اي مجال ...

كان الشعر الجاهلي يتحدى الرسالة المحمدية بمختلف الاساليب ، واقذع الكلمات ، على حين كان القرآن العظيم يهون من امر الشعر ، ويخضد من شوكة الشعراء فى آيات كثيرة ...

ولكن هل كان الرسول الكريم ، يكتفي بتحدي القرآن لهؤلاء ، ووعيدهم الوعيد الاكبر ؟؟ ...

لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يطلب من شعراء المسلمين ان يردوا على شعراء المشركين بما يفحمهم ويقضي على قولهم حينما يرى شعر : عبد الله بن الزبعرى ، وعبيدة المخزومي ، وامية ابن ابي الصلت ، يذاع بين الناس ، ويفعل فعله فى النفوس !!

روى مسلم فى صحيحه عن ابي هريرة رضي الله عنه ، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لحسان بن ثابت : «اجب عني : اللهم ايده بروح القدس» وروي كذلك أن النبي عليه السلام ، قال لكعب بن مالك: « اهجهم : فوالذي نفسي بيده ، لهو اشد عليهم من النبل » ..

وليس ريب ، فى مدى تاثير الشعر على النفوس ، وما كان للشعراء الاسلاميين ولشعرهم من آثار ملموسة فى تأييد الدعوة الاسلامية فى مبدا امرها ... حاول هؤلاء الشعراء ... أن يوجدوا علاقة ما بينه وبين ما يدعونه بشياطين الشعراء ولاسيما عندما جاء سواد بن قارب ينشد شعرا امام الرسول الكريم ، يؤيد فيه دعوته ، ويعلن انه قد الهم هذا الشعر ، وفكر بعض الشعراء فى أمر هذا الوحي ، الذي احدث تلك الهزة الكبرى ، نتيجة للدعوة الجديدة :

أتاني نجي بعد هدء ورقدة
ولم يك — فيما قد بلوت — بكاذب
ثلاث ليال قوله كل ليلة :
اتاك نبي من لؤي بن غالب
فرفعت اذيال الازار وشمرت
بي العرمس الوجنا هجول السباسب
فأشهد أن الله لا شيء غيره
وانك مأمون على كل غائب
وانك ادنى المرسلين وسيلة
الى الله يا ابن الاكرمين الاطايب
فمرنا بما يأتيك من وحي ربنا
وان كان فيما جئت شيب الذوائب
وكن لي شفيعا يوم لا ذو شفاعة
بمغن فتيلا عن سواد بن قارب

على أن هذه الدعوة الدينية الجديدة ، قد احدثت حركة فكرية عند بعض الشعراء ، وحيرة فى الاهتداء الى طريق تستريح اليه النفس ..

غير أن قيس بن الاسلت ، استطاع أن يسجل هذه الخلجات فى هذه الابيات :

أرب الناس : اشياء الت
يلف الصعب منها بالذلول
أرب الناس : اما ان ضللنا
فيسرنا لمعروف السبيل
فلولا ربنا كنا يهودا
وما دين اليهود بذي شكول

ولولا ربنا كنـــا نصـــارى
مع الرهبان فى جبل الجليــــل
ولكنا خلقنــــا اذ خلقنــــا
حنيفا ديننا عن كل جيــــل
نسوق الهدي ترسف مذعنـات
مكشفة المناكب فى الحلــول

والواقع ، أن قيس بن الاسلت ، كان من الشعراء العقلاء ، فلم يرض عدوان قريش على محمد ومن تبعه، وكان يغضب أشد الغضب ، عندما يسمع اقذاع شعراء المشركين ...

سجل هذا الشاعر العظيم ، أمانيه فى ايقاف العداء فى قصيدته الطويلة :

أيا راكبا اما عرضت فبلغـا
مغلغلة عني : لؤي بن غالب

وفيها يقول بعد أن يمدح قريشا ، ويصف ما تمتاز به من رجاحة العقــــل :

اقيموا لنا دينا حنيفا فانتم
لنا غاية ، قد يهتدى بالذوائب

ولقد قال كعب بن مالك قصائد كثيرة فى هـــذا الصراع الدائر بين المسلمين والمشركين كان اكثرها فى الرد على ما تسول له نفسه من هؤلاء المعاندين ..

قال ضرار بن الخطاب وهو من شعراء المشركين فى غزوة بـــدر :

عجبت لفخر الاوس ، والحين رائد
عليهم غدا . والدهر فيه بصائـــد

فرد عليه كعب بن مالك بقصيدة على نفس الروي:

عجبت لامر الله ، والله قـــادر
على ما أراد ، ليس لله قاهـــر

*

شهدنا بأن الله لا رب غـــيره
وأن رسول الله بالحق ظاهـــر
وقد عريت بيض خفاف كأنها
مقابيس يشهرها لعينيك شاهـــر
بهن أبدنا جمعهـــم فتبـــددوا
وكان يلاقي الحين من هو فاجر

ولما انتهت هذه الغزوة ، والقى من القي من الكفار فى القليب من قتلى المشركين ، وقف حسان بن ثابت ، والقى قصيدة طويلة ، يعدد فيها مزايا الاسلام ويبدي الشماتة بالكافرين :

... ...
... ...

يناديهم رسول اللـــه لمـــا
قذفناهم كباكب فى القليـــب :
الم تجدوا كلامي كان حقـــا
وأمر الله يأخــذ بالقلـــوب
فما نطقوا . ولو نطقوا لقالوا :
صدقت وكنت ذا راي مصيـــب

ولحسان فى هذا الميدان قصائد كثيرة ، استقـى معانيها من معين الاسلام ، ودفعه حبه للدعوة الكريمة الى الدفاع عنها ، والذود عن حياضها بهذا الصنف من الحراب التي كان يشهرها المشركون فى وجه المسلمين ، كلما أعوزتهم الانتصارات ، أو باءوا بالخسران والبهتان.

وليس أدل على صدق حسان من هذه الصـــورة الرائعة المنتزعة من نفسه حينما رثى الرسول الكريم :
بطيبة رسم للرسول ومعهـــد
منير ، وقد تعفو الرســوم وتهمد
ولا تنمحي الايات من دار حرمة
بها منبر الهادي الذي كان يصمد
وواضح آثار ، وباقي معالم
وربع لها ، فيها مصلى ومسجد
بها حجرات كان ينزل وسطها
من الله نور يستضاء ويوقـــد

*

تاهت وصاة المسلمين بكفـــه
فلا العلم محبوس ولا الرأي يفند
اقول ولا يلقى لقولي عاتـــب
من الناس الا عازب العقل مبعد
وليس هوائي نازعا عن ثنائه
لعلي به فى جنة الخلد اخلـــد
مع المصطفى ارجو بذاك جواره
وفى نيل ذاك اليوم اسعى واجهد

ودون ما شك ، فقد لعب الشعراء الاسلاميون ابان الدعوة الاسلامية وفى أثنائها دورا خطيرا ، يتضح من شعرهم ، وينضح من ذلك المعين الكريم ..

لقد كان الهدف الاول لهذا الشعر حماية هذه الدعوة الاسلامية ، وتأييدها وتقريع خصومها ، فمشى بجانب القرآن يسانده ويرد عنه الكيد ، ويمنع عنه ما يراد به فى العلن والسر ، حتى كتب الله النصر . واظهر الحق ، وازهق الباطل ...

والواقع ، أن الشعراء على اختلاف العصور ، قد ذهبوا فى تناولهم للرسول مذاهب شتى ، تتمشى مع شخصية الشاعر نفسه ، ومدى كفاءته ، وان كانت تنطبع بالذوق الفني العام للعصر الذي قيلت فيه ، وتقتصر احيانا على ابراز صفات النبي الكريم الخلقية والخلقية وعاداته وأخلاقه ، واحيانا تتناول حروبه وغزواته وكفاحه فى سبيل الدعوة ، كما تتناول سماحة الاسلام ، ومزايا تشريعاته .

وبعض الشعراء يقتصرون على ذكر السيرة النبوية وصفات النبي الكريم وشمائله وكفاحه وسمو تشريعاته وعلو تعاليمه .

أما فى العصر الحديث ، فان الشعراء لا يكتفون بذلك ، بل يربطون بين الماضي والحاضر ، ويدعون المسلمين الى الاقتداء بما فى السيرة النبوية من بعث وقوة .

ولا جدال فى أن هذا التطور الذي اصاب الشعر فى فتراته المتباعدة ، قد لون هذه المدائح بألوان مختلفة ، أصابت الشعر نفسه ، وحصرته فى الصناعات اللفظية ، وظهر اثر التكلف عليه ، وان كان فى فترات اخرى ، اخذت حقائق الاسلام تظهر بفضل جهود العاملين المصلحين ، وتنبه المسلمون الى ما ينبغي ان يكونوا عليه وبخاصة عندما برزت رسالة الاسلام السامية ، وشعر المسلمون بالمطاعن التي يوجهها اليه خصومه ..

ولقد لا نعدو وجه الصواب ، اذا قلنا : ان هذه الحقائق ظهرت فى مزايا الاسلام ، فاتخذها الشعراء مغنما لاذاعة البطولات والجهاد ، واستنهاض همم المسلمين ، ورسم المثل العليا ، وتبصير الناس بالسياسة التي ينبغي ان يسيروا عليها ، اقتداء برسول الله الكريم صلوات الله عليه ...

والواقع ، ان الشعر الديني ليس مقصورا على نوع من الشعراء دون آخرين ، يظهر عند المحافظين وعند المجددين ، متأثرا بعاطفة التدين التي تعيش عليها الجماعة وان كانت بأقدار متفاوتة تتناسب وحظ كل شاعر من حاسة التدين ، ومدى اهتمامه بشؤون الجماعة التي يعيش فيها من الوجهة الدينية ..

لذلك كان هذا الشعر الديني مسايرا لاحداث الاسلام وتطوراته : نشأ فى ظل الاسلام يدافع عنه ، ويقف بجانبه ، ويسير جنبا الى جنب مع التعاليم الدينية ، ويحرض الشعراء على رد العدوان الذي كان يأتيه المشركون ازاء الدعوة الاسلامية الكريمة .

وساير الشعراء جميع النواحي الدينية ، والصراعات التي احاطت بالاسلام فى كل العصور ، ووقفوا فى كل موطن من مواطن القوة او مواطن الضعف التي وقف فيها الاسلام مواقف عدة : يدفع عن نفسه مرة ، ويدفع عنه هؤلاء مرات ...

على ان المتتبع لشعر هؤلاء الشعراء الاسلاميين فى كل مراحله ، يرى ان ينبوعه الاول ، ذلك الصراع العنيف بين عقيدتي التوحيد والشرك ، وقوة الدفع التي تمثلت فى كلام النبي ورضاه عن هذا السلاح البتار ، ودعائه لحسان وصحبه بالتأييد والنصر ...

القاهرة : أبو طالب زيان

عمليات السبر

أو مفحصة القرن العشرين

للأستاذ : عبد اللطيف خالص

-2-

وقد تعددت المنظمات المهتمة بهذه الابحاث في فرنسا منذ الحرب العالمية الثانية حيث شملت القطاعين العام والخاص وان كانت المنظمات والمعاهد ذات المصلحة العمومية لم تعرف الطور المنشود الا بعد مرور الاعوام وكر السنين . فقد بدات هذه المعاهد العمومية بخطوات وئيدة لانها لم تجد من الدولة العناية اللازمة والرعاية الشاملة ولكن التطور الذي عرفه التخطيط بعد الحرب العالمية الثانية والنمو الديمغرافي الذي شهده العالم بعد توقف الحرب وانتشار السلام والازدهار الاقتصادي السريع الذي عرفته اوربا والاتصال المكين بين اقطار السوق الاوروبية المشتركة ادى الى تقدم هذه المعاهد العلمية اذ دفع بالدول والحكومات الى الاهتمام بها واعطائها ما تستحق من الرعاية .

فقد تكاثر عدد هذه المعاهد في فرنسا بكيفية عجيبة اذ اقبلت مختلف الوزارات والادارات والمصالح العمومية على انشاء معاهد مختلفة تعمل لحسابها . وهكذا فقد تاسس المعهد الوطني للاحصاء والدراسات الاقتصادية التابع لرئاسة الحكومة كما ظهر في الوجود المعهد الوطني للدراسات الديموغرافية الملحق بوزارة الصحة العمومية والسكان ومركز الابحاث والوثائق الخاصة بالاستهلاك التابع للمندوبية السامية في التصميم . ويبدو من الاسماء التي تحملها هذه المعاهد المختلفة ان مهمة كل منها محددة لايمكن الخروج عنها وان فروع هذا الاختصاص متعددة نستطيع ان نذكر منها الدراسات الاقتصادية بمختلف وجوهها والديمغرافية وهي علم يتعلق بدراسة السكان واسباب نمو عددهم وانخفاضه وتطور اساليب حياتهم وتاخرها كما نجد من بين اختصاصات هذه المعاهد الاهتمام بالصحة والوقاية وطرق الاستهلاك . ومن الطبيعي ان ينشأ بين هذه المعاهد تعاون مثمر ونشاط مستمر لان عمل كل منها يكمل عمل الآخر . وتعمل هذه المعاهد لحساب مصلحة من المصالح العامة كما تجعل نفسها في بعض الاحيان رهن اشارة منظمة عالمية او قطاع مؤمم . وقد تتعاون هذه المعاهد في كثير من الاحيان مع هياة مهنية اذا كان الامر يتعلق بقضية تمس الصالح العام . ولا يمكن لهذه المعاهد ان تعمل مباشرة لصالح الشركات الحرة ولكن هذا لايمنعها ان تعمل لصالح هذه الشركة اذا طلبت منها القيام بذلك نقابة ارباب معامل السيارات او نقابة الشغالين العاملين باحدى شركات التاميم . وقد سبق المعهد الوطني للابحاث الديمغرافية ان لبى طلب المنظمات النقابية القيام بمثل هذه الابحاث ولكنه لم يعمل حتى الآن لصالح شركة من شركات السيارات او مؤسسة معلومة من مؤسسات التامين وتعتمد هذه المعاهد في نشاطها على طرق السبر الجديدة السائدة في الاقطار الانجلوساكسونية . وقد تكلل هذه الابحاث بنجاح كبير لانها تجرى على اشخاص ينتمون لمختلف طبقات المجتمع ؛ ومما لاريب فيه أن هذه الاعمال مخالفة تمام المخالفة لما يجري في عمليات الاحصاء التي تكلف المشرفين عليها اعمالا شاقة ونفقات باهظة كما تختلف عن الابحاث الادارية التي لاتستطيع الخروج عن ميدان عملها المحدود . ومن جملة ما تمتاز به عمليات السبر انها العمليات الوحيدة التي يمكن ان تاتي بنتائج ايجابية في كل ما يتعلق بالاتجاهات والآراء والنظريات والمواقف

ومن مميزات هذه العمليات وفوائدها التي لا تتوفر عليها لا عمليات الاحصاء ولا الابحاث الادارية انها تتم بثمن مناسب حيث لاتتطلب ازيد من عشرات

الدراهم عن كل شخص كما تسمح بالحصول على نتائج في اقرب الاوقات حيث لاتتعدى مدة بعض الدراسات المتعلقة بالاسواق بضعة شهور .

وتنفرد عمليات السبر بميزة خاصة لا تقل اهمية عن المميزات السابقة ذلك انها تسمح للمشرفين عليها بالحصول على عدد من الملاحظات حول الاشخاص الذين شملهم البحث وتوجهت اليهم الاسئلة التي يتعين الجواب عنها . ولنضرب لذلك مثلا بقضية تامين الحياة التي جرى بها العمل في اوربا . فالاحصائيات التي نظمت في هذا الشان لم تزد شيئا على احاطة المشرفين عليها علما بعدد الافراد الذين وضعوا تامينا لحياتهم ومبلغ الراسمال الذي تم به التامين بينما اعطت عمليات السبر التي نظمت لنفس الغاية والتي شملت مجموعة من رؤساء العائلات على اختلاف مستوياتهم الاجتماعية معلومات دقيقة عن وضعية هؤلاء الاباء تعرف مدخولهم المادي ومهنتهم وسنهم وعدد الاطفال الذين يعيشون تحت كنفهم وحقوقهم في التقاعد اذا كانوا موظفين او مستخدمين زيادة على نوع التامين ومبلغ الراسمال .

ومن البديهي ان هذه المعلومات ستمكن من معرفة عدد رؤساء العائلات الذين يتوفرون على تامين مناسب او على تامين ناقص كما تسمح باعطاء بيانات وافية عن الافراد الذين لم يعملوا على تامين حياتهم رغم توفرهم على ضرورات التامين والاشخاص الذين امنوا انفسهم رغم عدم وجود اسباب تدفعهم للقيام بعمليات التامين . وهكذا فبمد تحليل دقيق لايخلو من صعوبة ورعونة تدخل فيه خمسة اعداد متحركة او ستة يتوصل المسؤولون عن هذه العملية الى نتيجة بسيطة تجمع عددا من المعلومات والبيانات الكاملة .

وبازاء هذه المعاهد الرسمية توجد معاهد حرة جعلت هدفها القيام بهذه العمليات بكل حرية ولصالح كل فرد تقدم اليها بطلب في الموضوع . وتتعدد هذه المعاهد والمؤسسات الحرة بتعدد الاختصاصات من دراسات للمنتوجات وابحاث حول السوق والتوزيع لمختلف المواد والدراسات المتعلقة بالاحصائيات وقضايا الاعلانات والاشهار والابحاث الخاصة بالجانب الاجتماعي . وسواء اكان الامر يتعلق بعدد التلاميذ الذين يرتدون سراويل قصيرة او سراويل طويلة في الاقطار الستة باوربا او كان يتعلق بمدى فعالية الاشهار لنوع من انواع الادوية القاتلة للحشرات او كان الامر يدور حول توزيع الحوامض في فصل من فصول السنة ــ اقول كيف ما كان الامر فان في استطاعة اي فرد واية مؤسسة تجارية او ثقافية او صناعية ان يتقدم بطلب القيام بهذا النوع من الابحاث الى هذه المعاهد الحرة قبل الشروع في انجاز السراويل الطويلة او في صنع الدواء القاتل للحشرات او في تصدير الحوامض .

ويمكن ان نذكر من بين هذه المعاهد المعهد الوطني للراي العام الذي اختص بالقيام بعمليات واسعة في ميدان السبر والذي اسسه كل من السيدين سطوتزيل والفريد ماكس منذ سنة 1938 . ويقوم هذا المعهد بتنظيم اغلبية عمليات السبر في فرنسا سواء طلب منه ذلك اشخاص احرار او ادارات عمومية وذلك في مواضيع تختلف اهميتها من حين لآخر . فقد سبق للمشرفين على هذا المعهد ان نظموا عمليات كبيرة لسبر اغوار الراي العام الفرنسي في مواضيع شتى تتعلق بالسياسة الداخلية والوضعية الدولية والدفاع الوطني والوضع الاقتصادي والشؤون الاجتماعية كالصحة العمومية والشباب .... وغيرها ....

واذا كان الوضع الحالي يحاول ان يجعل الناس يعتقدون ان عمليات سبر الراي العام الفرنسي لم تتطور الا في احضان الجمهورية الخامسة فان الواقع يشهد بان الراي العام الفرنسي عرف هذه العمليات قبل سنة 1958 حيث نظمت ابحاث مهمة فيما قبل حول المنظمة الاوربية للدفاع وسقوط حكومة السيد منديس فرانس والهجوم الثلاثي على قنال السويس وحركة بوجاد والمنظمة الاوربية للفحم والفولاذ ومشكلة السارد وقد سبق للكاتب الفرنسي الكبير اندري مالرو ان طلب من المعهد الوطني للراي العام ان يقوم في سنة 1945 عندما كان مالرو وزيرا للانباء بعمليات سبر متعددة في قضايا سياسية مختلفة .

كل هذه الاشياء تبين لنا بوضوح كامل الدواعي الظاهرة والخفية التي جعلت هذه العمليات تكتسي اهمية عظمى حتى اصبحت الادارات العمومية والمصالح الادارية والدور التجارية على اختلاف مستوياتها تعتمد عليها قبل الاقدام على انجاز اي عمل من الاعمال او تحقيق مشروع من المشاريع . وقد دفعت هذه العمليات بعض الافراد من كتاب وعلماء اجتماعيين واقتصاديين الى الاعتماد عليها في مختلف اعمالهم الفكرية والعلمية المحضة ذلك انهم وجدوا في هذه العمليات ما يبرر تاويلاتهم ويعلل تخميناتهم ويثبت معلوماتهم كما وجد فيها رجال الاقتصاد والتجارة

والصناعة ما يضمن نجاح منجزاتهم واختراعاتهم وما يطمئن تخوفاتهم ويهدىء ترددانهم .

ومن الطبيعي ان تتطور هذه العمليات في الاقطار التي يتقدم فيها العلم بخطوات جبارة الى الامام والتي لايبقى فيها مجال للارتجال والتقديرات الفارغة والمعلومات الواهية والتي ترتكز على قواعد علمية ومسطرة تقنية اسها اتقان العمل ودعامتها التدبر قبل اخراج اي مشروع الى الوجود حتى تعرف حظوظه من النجاح او الفشل وجدارها التسلح بالارقام الدقيقة والضمانات الكافية .

اما في البلدان النامية فان هذه العمليات لازالت لم تجد المقام اللائق بها بين مختلف الوسائل العملية المعتمدة في هذا الميدان لان الارتجال يسود معظم هذه الاقطار ولان الاطارات الفنية المثقفة لا زالت لم تجد المكان الخصب لتجربة معلوماتها والحرية الكاملة للعمل حسب الوسائل التقنية التي وقفت عليها في عهد الدراسة والتحصيل وحسبنا ان نرى مايجري في مختلف الاقطار التي لازالت تسير بخطوات وئيدة في طريق النمو والتقدم لنعرف ما يفعله هذا الارتجال وعدم الاعتماد على الحقائق العلمية المجردة عن الاهواء والعواطف في مختلف القطاعات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والعسكرية .

فما هو حظ عمليات السبر في ميدان التطور الاجتماعي ؟ وما هي القواعد العلمية والحقائق الفنية التي تعتمد عليها هذه العمليات ؟ وما هي مصادر قوتها وضعفها ؟ وما هي طرق نجاحها والوسائل الكفيلة بتطبيقها ؟ وما هي وجوه استعمالها عند اصحابها ؟

تلك باقة من الاسئلة العديدة التي يضعها جميع الذين يتتبعون تطور هذه العمليات منذ نشأتها والذين يواكبون سيرها عبر العقود المختلفة من حياتها القصيرة والذين يومنون اشد الايمان بانها من انجع الوسائل واحسن الطرق لضمان نجاح مختلف المشاريع العمرانية والاقتصادية في مجموع اطراف الكرة الارضية .

وسوف لانعدو طور الحقيقة اذا قلنا بان تطبيق هذه العمليات في مختلف القطاعات والميادين خير لنا من الاعتماد على احصائيات قد لاتفي في كثير من الاحيان بالنتائج التي تعطيها والتي لاتخلو من اخطاء رغم اثمانها المرتفعة الباهظة وقد لا نصل الى هذه الحقيقة الصادقة الا بعد الوقوف على الاجوبة الخاصة بالاسئلة السابقة لان هذه الاسئلة ستزيدنا ايمانا ورسوخا بصدق هذه العمليات وصلاحية تطبيقها في مختلف الميادين . وذلك ما سنحاول القيام به في الجزء الاخير من هذا البحث .

للبحث بقية

الرباط : عبد اللطيف احمد خالص

الملكة الفنية

للأستاذ عبد العلي الوزاني

- 2 -

ما اروع ان يجاهد المتادب في سبيل تكوين ملكة فنية ! ! انها رياضة الفكر والذوق والعاطفة ، واخذها بكثير من التجارب الفنية التي تكشف عن اسرارها البعيدة ، وتستغل ما ركب فيها من مواهب ، قصد استثمارها والتدرج بها في مراقي الفن . وجميل جدا هذا التحول الذي يجعل نفوسنا غنية ثرية بمواهبها ، قادرة على ان تهب الحياة مخلوقات جديدة في اشكالها وطبائعها . وعلى ان تعطيها معاني كلها روعة وفن . الامر الذي يزيد الحياة عمقا ويجعلها جديرة بان تعاش . فما من مرة قرانا فيها لشاعر كبير او كاتب موهوب ، الا احسسنا اننا اشد رغبة في الحياة ، واستزادة من العيش . ذلك ان المعاني الجميلة التي يضعها ارباب الملكات القوية في شتى مظاهر الحياة ، تجعل كل ما حولنا ينبض ويتحرك ، ويتكلم بالف لسان ، ومن ثم تزداد صلتنا بما حولنا قوة وعمقاء وهكذا نستمد مما يحيطنا من منازل وشوارع ، او جبال او بحار اصدقاء لنا ، تبادلهم الحديث ، وتبثهم النجوى ، ونحن اليهم حنين الاخوة الاشقاء بعضهم الى بعض ، متى فصلتنا عنهم عوادي الزمن ، وترامت بنا صروف الايام هنا وهناك .

رحلة ممتعة ان نطوي مراحل العمر صحبة فنانين اقوياء بطبائعهم وملكاتهم ، اذ يفتحون اعيننا على عوالم كبيرة ، ويستلون من بصائرنا خيوطا من نور وهاج ، تهدينا الى الخير والحق والجمال ، وتنير لنا الطريق في مدلهمات الليالي ، وتضيىء ما خفي علينا من اسرار نفوسنا ، فترى انها دنيا من المشاعر والاحاسيس ، تفتحت تحت اشراق الفن الجميل ، وتلك هي المزية الاولى للمواهب والملكات الفنية ، والا لما استحقت منا كل هذا النضال ، من اجل تفتحها واشراقها ، وما من مرة احتفلت ربات الفن بميلاد ملكة فنية جديدة الا كان ذلك كسبا للحياة الانسانية في مستواها المبدع ، اذ ان الملكة الفنية ليست الا القدرة على التجديد والابتكار . وما من فنان يحمل هذا اللقب عن جدارة الا كان مجسما لاسمى ما ركب الله في نفس الانسان من قدرة على الانشاء والتكوين .

ولكن لم كل هذا الكلف بالانشاء والتكوين من طرف عشاق الفن ؟

لم كل هذا الشغف بالخروج على الروتين المالوف ؟

اذا اردت ان تصل بنفسك الى الجواب المريح عن هذا السؤال ، فهب نفسك لعمل فني فيه ابداع ، واتركها تحت سحره مدة تقصر او تطول ، وعشه بكل ما اوتيته من روح ووجدان ، ثم عد الى نفسك لتبادلها الراي حول ما رايت وماسمعت وما احسست فستجد انك لم تخرج من العمل الفني كما دخلت : روحك نشوى ، وقلبك شاعر ، وعينك حالمة ، واذنك سكرى ، وخيالك شعلة من نور ، فكأن فتون العمل الفني بدلتك انسانا ءاخر ، ولكن المأساة هي ان هذا الجو الذي يشتمل علينا تحت سلطان الاعمال الفنية الكبرى ما تلبث شؤوننا الصغيرة ان تنتزعنا منه لنعود الى حالتنا العادية، فتخبو الشعلة وتبرد العاطفة، وينقشع ضباب الاحلام ، لنواجه حقائق حياتنا وجها لوجه ، ونسلم انفسنا لدوامة مصالحنا المادية وكأن شيئا لم يكن . ونحن لا نستطيع ان نجعل حياتنا كلها احلاما شعرية مذهبة الحواشي ، وليس في وسعنا الا ان نكون بشرا من البشر ، نسف تارة ونسمو اخرى ، حسب ما يحيطنا من ظروف

وملابسات . وفي ذلك تأكيد لكون حكمة الله شاءت ان يكون لنا جانبنا الحيواني المحتاج الى الشبع والري ، وجانبنا الانساني المثالي الذي يعيش على روائع الفن .

ونعود على بدئنا ، باحثين عن وسائل تكوين الملكة الفنية . وهنا اود ان اقف وقفة غير قصيرة عند كلمة «تكوين» التي ربما كان وقعها على اذان بعض الناس غير جميل ، ومدخلها الى نفوسهم غير محمود الاثر ، اقتناعا منهم بان الملكة الفنية ان هي الا موهبة فطرية ، اذا لم توجد في الشخص بحكم استعداده الطبيعي ، فلا سبيل الى تكوينها . وفي هذا خلط سريع بين الموهبة والملكة . وحقيقة الامر ان الملكة الفنية ترتكز من حيث الاساس على الموهبة الفطرية ، ولكن ليست اياها . فالموهبة نوع من الاستعداد الطبيعي للنبوغ في الادب والفن ، ولكن هذا الاستعداد يحتاج الى التهذيب والتربية الفنية ، حتى يرقى الى مستوى « ملكة فنية » يقدر بها صاحبها على تذوق الادب وانتاجه . واصدق دليل على ما نقول هو ان كثيرين من المثقفين يرتاحون لقراءة روائع الادب والاستماع اليها لكونها تتفق واستعدادهم النفسي والفكري ، ولكنهم لا يستطيعون ان ينتجوا الادب ، لكون مواهبهم بقيت عاطلة، ولم تؤخذ بالتجارب الادبية لتتبلور في ملكات فنية . واذن فوجود الموهبة ضروري لوجود الملكة الفنية، ولكن ليس من الضروري للموهوب ان يكون صاحب ملكة من هذا النوع ، ما دام لم يستغل موهبته ويتجه بها نحو القوة والنضج والفعالية . فالموهبة هنا شبيهة الى حد ما ببذرة الورد ، فالسر الوردي كامن فيها ، ولكن لكي ينبثق ويتألق ، في حاجة الى تربة صالحة ، وهواء مواتي ، وماء منعش ، وجو مناسب .

بعد ازالة هذا الالتباس نجد انفسنا وجها لوجه امام وسائل تكوين الملكة الفنية . وهي وسائل كثيرة متنوعة تنوع نواحي الحياة ومجالاتها ، من اكبر كبير الى اصغر صغير ، الامر الذي يجعل الاحاطة بها متعذرة ولو سودنا في ذلك عشرات الصفحات ، مما يضطرنا الى ان نكتفي بالوسائل الاكثر فعالية وتأثيرا .

من هذه الوسائل ما هو راجع الى اسلوب العيش ونمط الحياة التي نحياها ، ومنها ما هو راجع الى وسائل التثقيف المعروفة ، والاولى اشد تعقيدا من الثانية ، لاتصالها بالحياة في مختلف دروبها ومنعرجاتها وواجهاتها ، فنحن عند ما نقول «الحياة» تنصرف اذهاننا الى كل خلجة من خلجات النفس ، وكل ارتعاشة من ارتعاشات الروح ، وكل خفقة من خفقات القلب ، تحت تأثير شتى الظواهر التي تحيط بنا من اهل واصدقاء واعداء ، ومناسي ومسرات واحداث وحروب ، وليل ونهار ، وبحر وجبل وسهل ، وحرارة وبرودة وكل ما هو من هذا القبيل ، ونحن خلال هذه الظواهر لابد ان يكون لنا اسلوب في الحياة نسير عليه ، وننظم شؤوننا وناتي ما تاتي وندع ما ندع وفق طبيعته . ونحن قد لا نستطيع ان نحيد عنه بحكم العادة الراسخة التي يعطيها مرور الايام صفة الثبوت ، وما دام الواحد منا اسير اسلوب حياته ، فان ملكاته وقواه النفسية والعقلية لابد ان تتأثر بهذا الاسلوب بكيفية او باخرى . وهكذا نجد ان الانسان المتعود على النظام في حياته — مثلا — غالبا ما تاتي افكاره وآراؤه منظمة ، على حين ان من تكون حياته فوضى غالبا ما تكون افكاره وآراؤه صدى لها ، وذلك للاتصال المتين الموجود بين حياتنا المادية وحياتنا الفكرية ، اذ ان كلا منهما تتأثر بالاخرى وتساهم في صياغتها وتكوين طبيعتها . والانسان القذر في جسمه وثيابه والجو المحيط به ، غالبا ما يجيىء ادبه — ان كان اديبا — غير جميل ، ما دامت الاناقة الادبية تمت بصلة كبرى الى جمال الشخصية في محيطها الواقعي . لذلك كان الفنانون الكبار والادباء العظام حجة في السلوك الجميل والتصرف الجميل ، ولا يقدح في صحة هذه النظرية كوننا نجد احيانا بعض رجال الفن الذين لا تطابق بين فنونهم وانماط حياتهم ، بحيث تجد الواحد منهم يتسامى حين يشتمل عليه جو الخلق والابداع ، ولكنه ينحط الى الدرك الاسفل عندما يعود الى ظروف حياته العادية ، فقد قيل عن ابي الفرج الاصبهاني صاحب الاسلوب الشيق والعبارة الانيقة انه كان غير جميل الشكل ، بل هو اقرب الى القذارة منه الى النظافة ، وقيل عن ابي حيان التوحيدي الذي اسكرنا بفقراته الجميلة حتى انتشينا انه كان زري الهيئة . وقيل هكذا عن غيرهما من رجال الادب والفن . وما احسب هؤلاء الاشواذ من الناس لا يقاس عليهم . فعهدنا بالزهور انها تنتشر في الخمائل الحالمة ، ولكن هناك الزهور المتوحشة التي تنبت في البراري بين صخور واشواك !

وما دامت العلاقة قوية بين حياتنا العملية ، وملكاتنا العقلية والروحية فلابد أن يكون لاسلوب حياتنا اثر في تكوينها . واذن فاول ما يتعين على المتادب فعله ، ان يجعل من حياته جوا صالحا لظهورها وذلك قبل ان يتخذ نمط حياته قالبه النهائي ،

فيتعذر عليه ان يغير ما عملت الايام الطويلة على استقراره ورسوخه . والصفة الجامعة لمحاسن الحياة التي تهيىء لظهور الملكة الفنية هي « الجمال » وهي كلمة غزيرة المعاني والصور ، ففن جمال في الخلق الى جمال في العمل ، الى جمال في طريقة تناول الاشياء المادية او المعنوية ، الى جمال في الثوب والمسكن ، الى جمال في الكلمة ، الى غير هذا مما لا نحصي عددا . كلها مجتمعة تطبع حياتنا بطابع جميل . والجمال ليس منحصرا في الهدوء ولين العريكة ، ولطف الشمائل كما قد يتبادر الى الذهن ، فمن الجمال ما هو اقرب الى الاقتحام والشدة والهجوم في غير ظلم ولا اجحاف . فالفنانون الثائرون المجاهدون انتصارا للحق وازهاقا للباطل ، الشجعان في رأيهم وعبارتهم ، هم ايضا في عنفوان جمالهم المعنوي والعملي . فالاسد جميل حتى وهو مفترس لا يرحم . والبركان القاذف بشهب النار جميل ، وان كان لا يبقي ولا يذر ، والبحر العاتي الجبار هو ايضا جميل ، بالرغم من جبروته القهار . الجمال قوة ، والقوة قد تظهر في شكل وديع لطيف ، وقد تظهر في شكل جهم عنيف .

فاذا استطعنا ان نجعل حياتنا جميلة بالمعنى الذي تقدم ، فعلينا ان نحياها بكل جوارحنا ومشاعرنا منغمسين فيها من فرع الراس الى اخمص القدم . نلتقط ونسجل ونرقب ونلاحظ ، مفتحي الوعي حاضري الخاطر ، متخذين من حياتنا الخاصة نقطة انطلاق نحو الحياة في نطاقها الواسع الشامل لنحياها ملء كل جارحة من جوارحنا ، نستنطق الاماكن ، ونستوحي الحوادث ، ونستلهم التجارب ، دون أن يكون عندنا فرق بين الحادث الكبير والحادث الصغير ، والتجربة البعيدة المدى ، والتجربة الضيقة الحدود ، اذ كلها تستوي في تنبيه مواهبنا ، واثارة ملكاتنا ، وصياغة احساسنا الفني ، وردة ذابلةداستها الاقدام ، نقف عندها لنتأملها لحظة ، قد تصلنا بما لا يحصى من الخواطر والاحلام . وجدار متهدم نهبه انفسنا برهة ، لنقرأ ما خطت عليه يد القدر ، قد يقوم لنا منه الف خطيب ، ليحدثونا عن عجائب الحياة وعبر الايام . وكذا قل بالنسبة لكل الاشياء التي نعدها صغيرة ، والتي قد نمر بها فلا نعيرها ادنى اهتمام ، مع ان فيها ذخائر للعقل والروح ، كفيلة بان تقدم لمواهبنا غذاء صحيا لو اننا فسحنا لها من صدورنا جانبا . وفتحنا ءاذاننا وعيوننا وبصائرنا لما تفيض به من بليغ الحكمة ، وروائع المعاني وعميق الاسرار .

ولكن هي العادة !! اعدى عدو للروح المتجددة ، والفكر المتطور ، والمواهب المتوثبة ، فالعادة تقتل في كل ما يحيط بنا معاني الحياة التي فيه ، وتخنق فيه الانفاس ، فلا يلبث ان يصير بالنسبة الينا تافها بسيطا خاليا من اي مغزى ، واذا بنا اذ نمر به نحملق فيه كالبلهاء ، ا وقد لا نلتفت اليه على الاطلاق ، واكبر علامات افلاس الانسان شعوريا وفكريا ان تموت الاشياء التي تحيط به بالنسبة اليه ، فتفقد كل معنى وتتوقف عن الايحاء . كما ان من اكبر علامات حيويته وقوة استجابته ان يرى ما يحيط به كل يوم جديد او كأنه يراه للمرة الاولى . فالشمس التي تشرق على بيته كل يوم ، تحمل اليه في كل صباح هدية جديدة . وشارعه الذي يمر به يتكشف له دائما عن صور جديدة للحياة ، ونافذته التي يفتحها مع مطلع كل شمس تريه الدنيا كل يوم في مشكل جديد . ولكن ما اشق ان يخرج عن سلطان العادة ، لتكون صلته بالاشياء على هذا النحو المتطور المتجدد .

ووسيلتنا الى مجاهدة العادة ، العدو التي يترصد لنا في كل نواحي الحياة ، هي تفتح الذهن بكيفية دائمة لتعليل كل ما يحيطبنا وتفسيره ونقده والخروج منه بفكرة ، ثم القراءة الفعالة الهادفة التي تهيئنا للاستفادة من الحياة ، وتفسر لنا الغازها واسرارها ، وتدفع بنا الى الفضول الفكري الذي لا يقتنع بشيء . فبذلك نحارب الركود الناشيء عن العادة ، ونكون دائما متحفزين لانطلاقة جديدة ، نحو اكتشاف المجهول ، والبحث عن اسرار الاشياء .

فان نحن تذوقنا الحياة على هذا النحو ، وضعنا ايدينا على ذخائر لا تنفذ من المعاني والمغازي الناشئة عن ادراك العلاقات الموجودة بين الاشياء ، وتأتي لمواهبنا ان تتبلور وتنفي عنها الزيف لتبرز على حقيقتها . وكل يوم تذوقنا للحياة فيه طعما جديدا، او لمحنا فيها معنى طريفا ، او مررنا بتجربة من تجاربها الفنية العديدة ، كان ذلك تدعيما لهذه المواهب ومدعاة لصقلها وتهذيبها وتطورها فتشرق بين حنايانا وتكون لنا نبراسا نسير في حياتنا على هديه ، فنشق طريقنا نحو الهدف الذي خلقنا من اجله، صادرين عن طبائعنا الخاصة ، والانسان الغني بتجاربه هو اوسع الناس افقا ، وارحبهم نفسا واكبرهم قلبا ، اذ انه يستمد من كل خطوة يخطوها مادة للفكر ، ويستلهم من كل رعشة يرتعشها غذاء للروح فتكون حياته غنية خصبة مثمرة ولو لم تمتد في عمر الزمان طويلا ، لكونها تقاس بما فيها من خصب واثمار ، وما تستطيع اضافته من جديد ، ولو قارنتها بحياة اخرى

طويلة الامد ، ولكنها غير ذات عرض وعمق ، لوجدت ان لا وجه للمقارنة بين الحياتين ، اذ الاولى قوة وابداع واضافة خصبة الى الحياة الانسانية ، على حين ان الثانية عدد من الارقام ، ويوم واحد متكرر لا يرمز الى رصيد فكري او روحي يكون له وزنه في اعطاء حياة الانسان معنى الانسانية المثلى

اذا نحن استفدنا من الحياة على الوجه الذي شرحناه ، كانت امامنا كتابا مفتوحا نقلب صفحاته التي لا نهاية لها ، لانها من صنع اعظم قوة في الوجود ، قوة لا حد لارادتها وعبقريتها فيما ابدعت وما تبدعه كل يوم من مشاهد الحياة وتقلباتها . ونحن عندما نتأمل هذا الكتاب ، فالحقيقة اننا نتأمل انفسنا ، اذ نجد خلجاتها وعواطفها منعكسة على المرئيات والمسموعات . ومعنى ذلك اننا نعيش انفسنا الى ابعد اعماقها ، ونفسح لها المجال الواسع للتفتح والاشراق

ولكن لكي نحيا حياتنا بهذا الشكل ، يجب ان نستعد لتحمل التضحية التي يفرضها هذا الاخلاص الشديد للحياة . ففي استغراقنا لمعطيات الحياة كثير من الدموع والاحزان ، الى جانب البسمات والمسرات . نعم كثيرا ما يكون ثمن التجربة الحياتية الفنية بالمعاني دمعة تترقرق في المآقي ، ونارا تتلظى في الفؤاد ، وحريقا يشب في الاعصاب ، فالذي يعيش الحياة مندفعا نحوها بكل قواه ، لابد ان يوطن نفسه على تقبل حلوها ومرها ، نعيمها وجحيمها ، ما دام كل شيء في هذه الحياة نسبيا وموقتا ، فهي ما ان تسعدنا حتى تعود فتشقينا ، وما ان تسقينا كؤوسا مترعة بما لذ وطاب ، حتى تبادرنا بكؤوس اخرى تفيض مرارة ، فتجتاحنا مشاعر عنيفة شديدة الوطأة على نفوسنا ، حتى لتخرجنا احيانا عن طورنا ، وترمي بنا في دوامة لا ندري ما يترصد لنا فيها من اهوال . وكم اديب مرهف الحس حاد المزاج اوردته هذه المشاعر موارد الهلاك ، وكانت نهاية حياته اما بالجنون او بالانتحار . وحتى اذا ردت الينا نفوسنا بعد هذه المعارك النفسية العنيفة ، فهي لا ترد الينا سالمة معافاة ، بل تصيبها كثير من الجروح الدامية التي قد تلازمنا ءاثارها مدى العمر ولكن يعزينا عن مصابنا الحزين المؤلم ، ان ملكاتنا الروحية تتوهج وتنتفض وتشرق لتكون لنا مصدر ثروة لا ينفد لها معين ، واننا نكتسب القدرة على ان نضاعف صور الاشياء التي تنطبع على صفحات نفوسنا ، وعلى ان نهب الحياة اشياء لم تكن فيها فالادباء والشعراء الذين تقرأ لهم فينفذون الى اعماقك ويثيرون فيك اسمى العواطف ، وينقلونك من جوك الخاص الى اجواء تختلف في مناخها الروحي ، وتتحد في قدرتها على الاعجاب والامتاع . هؤلاء لم يستطيعوا ان يمتعوا بك ما صنعوا ، الا بعد ان ادوا الثمن غاليا من دمهم واعصابهم وعصير حياتهم . فما اكثر ما تألموا او سهروا واحترقوا من اجل ان يرفعوك الى سماء احلامهم الجميلة ، وان يذيقوك نشوة الفن ، ويصلوك بما لم تر عيناك من عوالم الكون الذي تعيش فيه .

مما تقدم يتضح ان المعاناة الشخصية تعتبر من اهم وسائل تكوين الملكة الفنية ، ولكنها المعاناة المصحوبة بتفتح في الذهن ، ونشاط في الخيال ، وعمق في الاستجابة ، وحيوية في الحواس والجوارح ، الامر الذي يعطي للمعاناة معناها الدقيق ، ويبعد بها عن ان تكون تجربة عقيمة . فكلنا نعاني الحياة في مختلف نواحيها ، ولكن منا من تنزل معاناته الى حدود التجربة الحيوانية ، ومنا من ترقى معاناته الى مستوى انساني ممتاز ، وبين المنزلتين منازل تتفاوت تفاوت الطبائع البشرية ، واختلافها في الميول والاستعداد والاجهزة النفسية والعصبية . والمعاناة التي نريدها هنا ، والتي تساعد على تكوين الملكة الفنية ، هي المعاناة الحية الفاعلة الواعية التي ترقى الى مستوى الايحاء ، وربما الالهام .

وبعد ، فماذا يحدث لمواهبنا الفطرية عند ما نعاني الحياة في اعوص مشاكلها ، واخطر قضاياها وادق نواحيها واغناها بالمفارقات ؟ الذي يحدث هو اننا نهتز من الاعماق ، ولا شيء يبعث الطبائع الفنية ويثيرها ويتحداها كهذا الاهتزاز ، حيث تخرج النفس عن طورها العادي ، وتشملها انتفاضة قوية تحرك الكوامن ، وتثير الرواسب ، وتكهرب ما استقر في اعماقنا من مآتي الفطرة ، حتى لنكتشف في نفوسنا جوانب كانت خافية علينا ، فكشف النقاب عنها شفوف الاحساس .

وليس من الضروري للمعاناة القوية ان يكون الباعث عليها صاخبا تصحبه ضجة عنيفة ، فربما كانت الظروف المحيطة بنا لا توحي في ظاهرها بصخب ولا عنف ، ولكنها تعني لدينا الشيء الكثير . كما ان المشاعر نفسها ليس من الضروري ان تكون من النوع الصاخب ، لتثير المواهب وتستدعي الملكات ، فرب شعور لطيف رقيق هادىء ، تنتشي به الروح ، يستطيع ان يتسلل الى مكامن الفن في نفوسنا لينشر فيها الدفء ، فتنتفض وتستحيل الى كتلة من نور .

والمعاناة المغذية للمواهب الفطرية لا تعرف ميدانا دون ميدان ، او لونا من الحياة دون ءاخر ، فمجالها هو الحياة كلها طولا وعرضا وعمقا ، فهي في ميادين الفنون مثلها في الميادين الاخرى التي قد لا يكون للفن صلة مباشرة بها ، فالمهم هو صدق الاستجابة ، وعمق التلقي ، وسواء بعد ذلك ان تكون المعاناة متصلة بهذه الناحية من الحياة او تلك ، فانتظارنا الطويل لصديق غائب ، او فشلنا في حل مشكلة حسابية ، او نجاحنا في امتحان ، او فرحنا ببيت حللنا به حديثا ، او ذهابنا الى محطة القطار بعد خروجه منها ببضع ثواني ، او وقوفنا امام رسم جميل ، كل ذلك سواء ، ما دامت العبرة بالاستجابة ذاتها ، بقطع النظر عن الباعث عليها . فكم من حدث يضطرب له الناس من حولنا ، فيذهبون ويجيئون بانبائه وعجائبه ، لا يثير في بعضنا ما قد تثيره قطة اغلقنا عليها باب حجرتنا سهوا يوما او بعض يوم ، فحرمناها نعمة الحرية ، فلما افرجنا عنها صرنا نهبا لعدد من الانفعالات المتضاربة . وكثيرا ما نكون وسط مجموعة من الناس ، فيظهر علينا من سكون الاوصال ، وهدوء النظرة ، ما يخيل اليهم معه اننا في سلام مع انفسنا ومع ما يحيط بنا ، على حين اننا قد نكون مرجلا يضطرب بشتى المشاعر ، وضروب الانفعالات .

هذه المعاناة تجعلنا نعيش الادب في مادته الحية المتجددة المتطورة كما تقدمها لنا الحياة في المواقف وسلسلة الافعال والتصرفات والمشاكل والازمات والاتراح والمسرات . فلنا في كل منعطف من منعطفاتها عالم من المعاني ، ولنا في كل زاوية من زواياها دنيا من الاسرار . ومن لم يتذوق الادب في اطاره الحي ضمن ملابسات الواقع ، واقع الحياة وواقع النفس ، كان بعيدا عن المنبع الاول للادب ، وعن اصوله الحية التي يرجع اليها الشعراء والفنانون لياخذوا منها مادتهم الخام ، هذه التي يغمسونها في نفوسهم فاذا بها فتنة للناس ، تنال اعجابهم وتهيمن على قلوبهم فلا يملكون الا ان يقولوا ما اروع وما ابدع ! ! ولو التفتوا الى نفوسهم وغاصوا في اعماقها ، وانغمسوا في جمال الحياة وتاملوا مواقفها وقضاياها ، لرأوا ان ما فتنهم في ادب الادباء وشعر الشعراء ، له اصول في نفوسهم وفيما حولهم من الظواهر والاحداث ، فكم تقدم لنا الحياة من ءايات الفن في الطائر الغريد ، والزهرة المتفتحة ، والقمر الحالم ، والغصن المياس ، في النسمة المنعشة ، في خرير المياه ، في حفيف الشجر ، في كل ما هو من هذا القبيل من فتون الحياة فما علينا الا ان نصغي وترقب ونتامل ، ونترك نفوسنا تحت سلطان جمال الكون، ليتغلغل في طياتها ، ويسكب فيها من عصيره ما يتسامى بها الى ءافاق علوية لها روعة واشراق .

ولكن لحظات الاشراق في حياتنا الروحية سريعة الانطفاء ، تومض في ءافاقنا وميض البرق لنعود الى حالتنا العادية ، فتتخطفنا همومنا الصغيرة وتلك ماساتنا التي لا مفر منها ، لانها قدرنا كبشر ، ظروف حياتهم اقوى منهم ومن مواهبهم مهما سمت . صيحة طفل تفسد علينا جمال الاحلام الشعرية ، وطرقة على باب غرفتنا تنتزعنا من دنيا فتوننا ، لتلقي بنا الى الواقع البارد الجامد . وهاجس من هواجس النفس ، يطوح بنا بعيدا عن دفء العاطفة المتاججة ، الى حيث نعيش اخس ما في حياتنا من مشاغل ، باسلوب روتيني عقيم ، وكان شيئا لم يكن !! وسر الماساة هو اننا لا نعرف كيف نحتفظ ببقائنا في لحظات الاشراق الروحي مدة تطول . ليست لنا قدرة على ان نمددها كما نشاء ، حتى نملى من محاسنها الرائعات . فالامر ليس بيدنا وانما بيد ما يكتنفنا من عوامل ومؤثرات ، فهي التي بيدها ان تطيل لحظة الاشراق او تقصرها ، على حين اننا نحن الذين يهمهم الامر اولا وبالذات ، لا دخل لارادتنا في الامر . ولعل هناك سرا في عجزنا في هذا المضمار . ومن يدري ، فربما اذا امتلكنا مقاليد نفوسنا، نرفعها الى سماء الالهام عندما نشاء ، ونخفضها الى ارض الواقع البارد عندما نريد ، نفسد على نفوسنا جمالها واشراقها ، ما دام سحر هذا الاشراق كامنا في كونه لا اراديا ، وانما يجيىء عفو الخاطر . ولو اننا ملكنا تصريفه طبق ارادتنا لفقد كل سحره وفتنته اذ من طبع الانسان ان يقتل روح الاشياء التي تخضع لارادته ، ويعطيها معنى الامور الجارية مجرى العادة ، ومن جهة اخرى لو ان ذلك كان خاضعا لارادتنا لماتت فينا الاشواق الشعرية ، التي تعطي لانتظارنا للحظات الاشراق الروحي معنى جميلا بشكل لا سبيل الى وصفه ، وتكون النتيجة ان هواتف الفن لا تتجاوب بها حنايانا ورحاب نفوسنا ، لكوننا فقدنا روعة الانتظار ، وسحر الشوق الى التفوق على الذات ولو الى حين .

فلعل هذه هي حكمة الطبيعة فيما صنعته بنا ازاء قوانا الادبية ، ولئن كانت قد حرمتنا السيطرة على لحظات الاشراق والابداع ، وجعلتها خاطفة

سريعة ، فقد عوضتنا عن ذلك بعدا في عمقها ، وغنى في ايحائها حتى انها لتزري بايام من حياتنا وقد نستوحيها من روائع الفن ما يقاوم الزمن ، ويخلد على الدهر ما بقي الدهر ، فاروع ما ابدعت عبقرية الانسان من فنون وءاداب ، انما كان هبة من هبات هذه اللحظات الخاطفة .

وهنا اجدني امام مسالة هامة ، من حيث ان لها دخلا كبيرا في تعبئة مواهبنا الفطرية وتهذيبها والنهوض بها الى مستوى الملكات الفنية ، بالاضافة الى العوامل السابقة ، تلك هي الا يبقى المتادب مجرد منفعل بالحياة ، بل يجب ان يكون فاعلا فيها ايضا . يتاثر بظروفها واحداثها ويؤثر فيها . فالانفعال يحرك المواهب ويثيرها ، والفعل يدربها على الممارسة والاحتكاك الايجابي بماجريات الحياة ، فتكتسب قابلية للتطور ، وتاخذ في التبلور والتحصن ضد كثير من الافات التي تترصد لها . فاذا شعر المتادب بجمال شيء ما — مثلا — فعليه ان يحاول اشعار الاخرين به ، واذا ثار بينه وبين نفسه غيرة على حق مهضوم ، وجب ان ينقل هذه الثورة الى من يحيط به، واذا تعرض لاية تجربة نفسية قاسية او سارة اوصلها الى الاخرين لاشراكهم فيها . وهو يفعل كل ذلك سواء باقواله او كتاباته . فالمهم هو الا يقتصر على تلقي معطيات الحياة ، فذلك قد يؤدي به الى نوع من السلبية ، تجعل مواهبه في ركود ، وانما يحاول ان يصدر تلك المعطيات الى من حوله من الناس ، بعد ان يلقي عليها ظلالا من استجابته الخاصة . فرق كبير بين من يكتفي بتذوق فن الرسم ، ومن يحاول ممارسته احيانا ، وبون شاسع بين من يكتفي بتذوق فن الادب ، ومن يتذوقه ويساهم فيه بشيء من انتاجه فالمواهب لكي تصقل وتهذب وتسامى ، لابد من استخدامها بكيفية مستمرة ، الامر الذي يكشف عن جوهرها الاصيل ، وينفي عنها كل زيف ، وجميع الطفيليات العالقة بها .

وهنا قد يعترض معترض بان الموضوع هو « وسائل تكوين الملكة الفنية » اي ايضاح العوامل التي تؤدي الى حصول المتادب على قوة فكرية وروحية يقدر بها على الانتاج الادبي ، على حين انني اجعل الانتاج من وسائل تكوينها ؛ اي انني اجعل الغاية وسيلة . والجواب على هذا الاعتراض ، هو ان الانتاج اذا كان نتيجة تكوين الملكة الفنية من جهة ، فهو باعث على ايجادها من جهة اخرى . فالغاية النهائية لا وجود لها في هذه الحياة ، اذ الشيء يكون علة لشيء ونتيجة لشيء ءاخر في ءان واحد . وعلى هذا فمحاولتنا ان ننقل الى الاخرين ما عندنا من شعور واحساس ، يجعل مواهبنا تمر بدور الاختبار والتجريب والتمرين . ونحن في هذا الصدد شبهاء بصغار الطير حينما تشرع لاول مرة في استعمال اجنحتها الضعيفة الواهنة ، فما ان تقوم بهذه العملية عدة مرات ، حتى تقوى على ان تطير ، ثم على ان تحلق في الاجواء العليا ، فالنسر المحلق في عنان السماء كان يوما عاجزا عن الارتفاع عن وكره ، ولكن هي التجربة التي جعلت منه سيد الاجواء دون منازع .

والعملية التي تحدث لمواهبنا عند ما ننتج — ايا كانت قيمة هذا الانتاج — هي انها تخرج من طور الغموض والابهام الى طور الوضوح . فقبل ان نزاول عملية الكتابة كنا نتجاوب مع الادباء والشعراء الذين يعبرون عن عواطف شبيهة بعواطفنا ، ونرتاح لمظاهر الجمال بقدر ما تنفر من مظاهر البشاعة ، وتدعونا هواتف الوجدان الى ان نعير حواسنا لايات الجمال في الكون والطبيعة ، وتتعشق لحظات الصفاء الروحي ، حيث تخلو الى نفوسنا لنبثها النجوى ونطارحها رقيق الاحاديث . ولكن كل هذا يكون مصحوبا بغموض في هذا السر الذي بين اضلعنا ، والذي نصدر عنه في اعجابنا بالجمال الطبيعي والابداع الفني ، دون ان نستطيع له تحديدا ولا ان نفهم طبيعته وما خلق له . نعم قد نعرف اننا خلقنا للادب ، وان لنا موهبة ادبية ، ولكن ما مدى قدرة هذه الموهبة على ان تبدع ؟ ما قيمة ما يمكن ان تهبه ؟ ما مبلغها من القدرة على التطور ؟ ما هو الفن الادبي الذي ينسجم مع طبيعتها ؟ اهو الشعر ؟ او هو القصة ؟ اهو المسرحية ؟ تلك اسئلة لا يملك المتادب الاجابة عنها الا اذا حاول ان يختبر موهبته ويحملها على الانتاج الادبي ليرى مدى فعاليتها واستعدادها للايحاء والانشاء . ويزيد الامر وضوحا كون الانتاج الادبي ليس مسالة موهبة فقط ، بل هو ايضا مسالة صناعية لها اصولها وقواعدها التي تتسع لجميع المواهب على اختلاف اصنافها . وهو — اي الانتاج الادبي — ما دام صناعة ، كان لزاما على ابناء الحياة الادبية ان يساهموا فيه منذ وقت مبكر ، حتى يكون عندهم مجال للاختبار المتواصل المقوي للفكر ، الباعث على التطور ، والمؤدي اخيرا الى صنعة الكتابة الادبية، وهذا يقودنا الى هذه الحقيقة البديهية ، وهي ان الانتاج الادبي ليس مجرد مواد خام من العواطف والاخيلة والافكار والخواطر والكلمات ، ولكنه ايضا تقاليد فنية لابد من ان تراعى في صياغة تلك المواد .

ونحن عندمـــا ننتج الادب ، ناخذ في تحول في التفكيـر ــ والموهبة تمت بصلة الى الفكر ــ ذلــك اننا نتمرن على ان نركب الافكار ، ونبني النظريات ، بعد ان كانت هذه تلقى الينا جاهزة من طرف الادباء الذين نقرا لهم . معنى ذلك اننا بدانا نعاني عمليـــة التكوين بكل قوانا الفكرية والروحية ، فنسر اذا كونا مخلوقات سوية جميلة ، ونتقبض اذا كونا مخلوقــات شائهة واهنة ، ونحن مستفيدون في كلتا الحالتيــن ، فاذا نجحنا ازددنا ثقة بالنفس ، وتصميما على السير الحثيث ، واذا فشلنا استفدنا من اسباب فشلنـــا . فالمعاناة في حد ذاتها ، ومهما كانت النتائـج التي ادت اليها ، هي محك موهبة المتادب .

ونحن عندما نتعلم كيف نعطي ، كما تعلمنا كيف ناخذ ، نخلق لنا ابعادا جديدة، فنمتد الى خارج ذواتنا لنعيش ضمن ما نبدعه من آداب وفنون ، ولذلك يكون لنا وجود ثاني نركز فيه انتصاراتنـــا الادبيـــــة ، وفتوحاتنـــا الفنية ، ونعكس عليه مآتينـــا الروحيـــة والفكرية فيملانا الاحســاس بكثافة الرصيد ، وتراكـم الثمار الادبية ، وفي هذا دعامة للمواهـــب ، لتاخـــذ في التطور .

فالمتادب المباشر لعملية الكتابة الادبية ، يجس نبض احساسه الفني ، ويختبر طاقته الروحية ومدى ما تستطيعه ، ويعرف ما في تكوينه الادبي من نواحـي القوة ونواحي الضعف ، فيتعهد الاولى لتزداد قـــوة ، وياخذ الثانية بالتهذيب المناسب حتى تقوى بعـــــد ضعف ، فيكون هناك انسجام بين القوى المبدعـــــة في المتادب . فاذا تكررت التجارب الفنية يتمـــم بعضها بعضا ، متلاحقة متآزرة متساونة ، كان ذلـــك دافعا للمواهب لتساير هذه العمليات في تطورهــــــا وتبدلهـــا .

وهكذا لا تمر على المنتج بضع سنين ، حتـــى يشعر بان عنده شيئا يعطيه ، شيئا يختلف عمـــــا يستطيع اعطاءه الاخرون ، لانه اصبح ذا ملكة فنيـــة مستقلة في طبيعتها واستعدادها ، تضعه في مكانتــــه المناسب بين اهل الادب والفن ، قد تكون محاولاتنـــا الاولى في الانتاج الادبي سطحية ، وقد تكون تافهـــة ، ولكنها مفيدة اذ تضعنـــا امام امكاناتنا الادبية وجهـــا لوجه ، فنعرف ما نستطيـــع وما لا نستطيع ، وبذلك نحس بالنقص ، وهذا الشعور هو محرك قوانـــــا المعنويـــة لتاخـــذ في التحســـن .

وشيء ءاخر له اثره القوي في تطوير المواهـــب لتتبلور في ملكات ، وهو النشوة التي تحصل لنا عندما نشرع في استخدام الحرف والكلمة ، لايصال خواطرنا ومشاعرنا وافكارنا الى الاخرين ، مهما كانت قيمة هذا الذي نوصله اليهم . فحسبنا اننا خرجنا عن صمتنا وان خيطا رفيعا امتد بيننا وبين مجموعة مـــن الناس قد تنفر هذه المجموعة منا ، وقد تعتبرنا ثقـلاء ، لا تستحق الوقت الذي تقضيه في قراءتنا ، وقد تهاجمنا احيانا وترى اننا متطفلون على مائدة الادب ، ولكـــن بالرغم من كل ذلك ، فنحـــن نشعـــر بسعادة لكوننـــا استطعنا ان نثير فيها نوعا من المشاعر قد تكون معادية او مصادقة ، بيد انها نوع من الاتصال بيننا وبينها قد تمتنه الايام ، وتكـــون منـــه ضربا من الصداقة التي لا سبيل الى فصم عراها . وبيت القصيد هو ان النشوة الحاصلة لنا من ايصال انفسنا الى الاخرين ، تشتمل علينا من فروع رؤوسنـــا الـــى اخمـــص اقدامنــــا ، فتتفتح شهيتنا وقابليتنا لتكرار نفس المحاولة ، وهذه تعقبها محاولات ، وهكذا الى ان تصير الكتابـــة مـــن لوازم حياتنا . قد نتوهم اننا ادبـــاء مجيدون ، وان عندنا ما نقوله للناس ، وان كانت الحقيقة خلاف ذلك ، فيكفينا اننا نعيش في وهم جميل ، ونشـــوة روحية ، مصدرهما اننا نمارس عملية الخلق فنؤلف بين اشياء نراها في الحياة متناثرة ، كان نجمع بين القد والغصن ، والوجه الجميل وفلق الصبح ، والليل البهيم والزنجي الاسود وما الى ذلك . قد يكون هذا من محفوظاتنا ، لا يحمل ابداعا ولا طرافـــة ، ولكن بالرغم من ذلك فان مجرد ترديد هذه الصور الفنية ينبه مواهبنا الخاملة ، ويحرك وجداننـــا الفني . ولاشك ان جميع الفنانيـــن بداوا معجبين بصور الفن الرائعـــة ، وكزبنـــاء لها ، ولكن الاعجاب كان مبدا التماس الطريق ، وكان الشعلة التي اضاءت ما بين الحنايا ، ثم جاء صور الابـــداع والابتكـــار .

فاس ــ عبد العلي الوزانـــي

المناهج التعليمية عند ابن خلدون

للأستاذ محمد الأمين الدرقاوي

لاشك ان ابن خلدون رجل قد اوتي ملكة نادرة في ادراك الاشياء وتصورها تصورا ليس له نظير ، فالرجل كما نرى يتحدث عن كل قضية من القضايا الانسانية ويحللها تحليلا وافيا ثم يردها الى اصولها واخيرا ينتقد منها ما هو احرى بالنقد ويترك منها ما يجب ان يترك او يقترح ما ينبغي ان يقترح .

يتحدث ابن خلدون عن التاريخ ويلم باصوله وبالمذاهب الفاسدة منه او الصالحة ، ويتحدث عن السياسة ، فيلم باصلها وما قيل فيها من ممدوح او مذموم ، ثم ينتقد منها ما ينبغي ان ينتقد ويقترح ما يجوز ان يقترح وهكذا في كل فن من الفنون ، فالرجل يكاد يكون فريدا في طريقته لا ينتقد لذات النقد او يهدم كما يقولون ، ثم يمضي الى حال سبيله ، ولكنه لا يكاد يدحض قضية من القضايا او امرا من الامور حتى يأتي باحسن منه او بالاحرى يعرض عدة وجوه غير التي انتقدها ، ثم اذا هو انتقد لا يكتفي بالعموميات بل هو يعطي المثال فيما انتقده واكثر من ذلك انه في كل قضية يبين لم انتقدها ، ولهذا فسنتعرف في هذه العجالة على رايه فيما يتعلق بالتعليم وما هي الوسائل التي ينبغي ان ينهجها المتعلمون لذلك وما ينبغي لهم ان يتجنبوه في ذلك .

ان التعليم عند ابن خلدون غايات ووسائل ، اما الغايات فهي قسمان : غاية ترتجى من كل فن ، وغاية عامة ترتجى من جميع الفنون ، لافرق بين فن وءاخر .

اما الغاية التي يسعى اليها كل متعلم من اي فن والتي هي الاصل من تعلم ذلك الفن خاصة فهي **الملكة** فهو لذلك يقول عن ابن هشام « مثل ما وصل الينا بالمغرب لهذا العهد من تاليف رجل من اهل مصر يعرف بابن هشام ظهر من كلامه فيها « العربية » انه استولى على غاية من **ملكته** » وفي موضوع ءاخر يقول : « **فالملكة** الحاصلة من التعليم في تلك المختصرات اذا تم على سداده ولم تعقبه ءافة فهي ملكة قاصرة عن الملكات » وفي موضوع ءاخر يقول : « وعند ذلك يحصل له **ملكة** في ذلك العلم » فنحن نرى كما ذكرنا ان الغاية عند ابن خلدون من تعلم اي فن انما هي حصول **الملكة** في ذلك الفن .

واما الغاية التي يسعى اليها المتعلم بصفة عامة اي متعلم كان في اي فن من الفنون فهي حصول الفضيلة ، وفيها يقول مبينا نتائج الشدة « وكسلت النفس عن اكتساب الفضائل والخلق الجميل فانقبضت عن غايتها ومدى انسانيتها فارتكس وعاد في اسفل السافلين » فالغاية من التعليم او كما نسميه نحن الثقافة هي الفضيلة والايغال بالنفس في انسانيتها اي ما نسميه نحن بالمثل التي يسعى اليها الانسان من ثقافته وتكوينه .

تلك هي الغايات القريبة والبعيدة عن ابن خلدون من الثقافة ، واما الوسائل لذلك فيعرضها ابن خلدون عرضا كافيا غير انه يعرضها عرضا مختلفا ما بين ايجاب وسلب او ما بين مرغوب فيه كوسيلة للتعلم ومرغوب عنه كوسيلة للتعلم ايضا ، وهكذا قسمنا راي ابن خلدون في هذه الناحية الى قسمين :

1» قسم عرضنا فيه الاشياء التي رفضها ابن خلدون كوسيلة من وسائل التعليم .

2» وقسم عرضنا فيه الاشياء التي يقترحها او يرى حتميتها كوسائل للتعلم .

وبدأت بالقسم الاول الذي رفضه ابن خلدون باعتبار ان ابن خلدون لم يكن باديء ذي بدء يريد ان يقترح منهجا ما وانما كان يهدف بنفس المناهج والطرق التي كان يرى فسادها كوسائل للتعلم فجره ذلك لان يقترح اشياء يقترحها الناقد المنصف الذي لا يمس بالنقد قضية من القضايا حتى ياتي بمثلها او باحسن منها ، وهكذا بدا ابن خلدون فرفض كوسائل للتعلم :

1) كثرة التاليف :

« اعلم انه مما اخر بالناس في تحصيل العلم والوقوف على غاياته كثرة التاليف واختلاف الاصطلاحات في التعليم وتعدد طرقها » .

فابن خلدون كما نرى يجعل التعليم وسيلة لا غاية في ذاته يفني فيه المتعلم العمر ، وابن خلدون من جهة اخرى انما ينتقد كثرة التاليف لانه ينشا عنها اختلاف في الاصطلاح وعن الاختلاف في الاصطلاح ينشا امر ثالث هو تعدد الطرق مع مطالبة المتعلم باستحضار ذلك كله من اصطلاحات لمختلف المؤلفات وطرق هذه المؤلفات مع ان النتيجة واحدة هي الحصول على العلم مهما اختلفت الطرق الموصلة لذلك ، وهكذا بمضي المتعلم العمر كله دون ان يحصل على صناعة واحدة وبذلك تضيع الغاية من التعلم التي هي ادراك العلم الذي هو الغاية لا وسائله الموصلة اليه من طرق واصطلاحات ، ويعطي ابن خلدون امثلة صريحة لفساد هاته الطريقة فاما كثرة المؤلفات فيقول عنها : « ويمثل لذلك من شان الفقه في المذهب المالكي بالكتب المدونة وما كتب عليها من الشروح الفقهية مثل كتاب ان يونس وابن بشير والتنبيهات » واما تعدد الطرق فيقول عنه « ثم انه يحتاج الى تمييز الطريقة القيروانية من القرطبية والبغدادية والمصرية وطرق المتاخرين عنهم والاحاطة بذلك كله » ومثل ذلك عن طرق البصريين والكوفيين في النحو مما يسوقه ابن خلدون كشواهد على فساد هذه الطريقة مع ان الفقه في جوهره واحد مهما اختلفت الطرق الموصلة اليه وكذا النحو وكل انواع العلوم الاخرى .

2 — كثرة الاختصار : وكثرة الاختصارات من الوسائل التي ينتقدها ابن خلدون كوسائل للتعليم وفي هذا يقول : « ذهب كثير الى اختصار الطرق والانحاء في العلوم يولعون بها ويدونونها برنامجا مختصرا في كل علم » الى ان يقول: « صار ذلك مخلا بالبلاغة وعسر على الفهم » اذن فابن خلدون يرى ان هذه الطريقة انما جاءها الفساد من كونها تعرض العلوم في عبارات عسيرة الفهم مما يؤدي اليه الاختصار عادة ولذلك يفسر السبب في فساد هذه الطريقة « طريقة الاختصار » بقوله : « ثم فيه مع ذلك شغل كبير بتتبع الفاظ الاختصار العويصة للفهم بتزاحم المعاني عليها » الى ان يقول : لان الالفاظ المختصرات تجدها لذلك صعبة عويصة فيتقطع في فهمها حظ صالح من الوقت » واما الامثلة التي يعطيها ابن خلدون في هذه الناحية وفساد منتحليها فيقول فيها : « كما فعله ابن الحاجب في الفقه وابن مالك في العربية « النحو » ولا ينسى ابن خلدون ان يذكر ان النتيجة فيما فعله هؤلاء المختصرون جاءت عكس ما قصدوا فهم يريدون كما يقول ان يسهلوا الحفظ على المتعلمين فكانت النتيجة ان اركبوهم صعبا يقطعهم عن تحصيل الملكات اي انهم ابعدوهم عن المقصود من حيث ارادوا التقريب .

3 — التحذير من البداية بالمسائل المقفلة :

ومن المسائل التي يحذر منها ابن خلدون ويجعلها كوسائل يجب تجنبها في التعليم البداية بالمسائل المقفلة ذلك ان المتعلم في بدايته يكون غير متفتح للتعليم فلا يستسيغ الاشياء العامية فاحرى به ان يدرك هذه الامور المقفلة وكل ذلك انما يسوقه ابن خلدون في شكل نقد لما يسير عليه بعض المعلمين « وقد شاهدنا كثيرا من المعلمين لهذا العهد الذي ادركناه يجهلون طرق التعليم وافادته ويحضرون للمتعلم في اول تعليمه المسائل المقفلة من العلم ويطالبونه باحضار ذهنه في حلها » ولكل شيء عند ابن خلدون علة وسبب فحتى هذه الطريقة يعلل ابن خلدون فسادها بان التعلم انما يكون بالتدريج اولا وذلك امر طبيعي من التعلم جرت عليه عادة المتعلمين لما يوجبه امر التدرج اولا ولانه يؤدي الى اغلاق الذهن اذا القيت المسائل في الاوائل جملة واحدة .

4 — عدم الاقتصار على كتاب واحد :

ومن الوسائل الفاسدة في التعليم في راي ابن خلدون ان يزيد المعلم متعلمه ان صح التعبير على فهم الكتاب الذي اكب على التعلم منه وذلك عنده قسمان : اما الزيادة على ما في الكتاب من مسائل من حيث الموضوع واما الاخذ من جهة اخرى غير الكتاب الذي يدرسه ولو انها تتشابه مع ما في الكتاب من حيث الموضوع فالمهم عند ابن خلدون الاقتصار على الكتاب الواحد من حيث الطريقة والمضمون .

5 — تطويل الجلسات : ومن الوسائل التي ينتقد ابن خلدون اتخاذها كاساليب في التعليم ،

تطويل الجلسات واعطاء الدروس مفرقة ، والعلة في ذلك كما يذكر ان تفريق الدروس يؤدي الى النسيان وانقطاع مسائل الفن عن بعضها البعض لان الملكات كما يقول انما تحصل بتتابع الفعل وتكراره وكان طبيعيا ان يقول ابن خلدون بهذه النظرية فبعدما قال بالبدء في التعلم بالمسائل المجملة جره ذلك الى القول بتتابع الجلسات في التعلم والا فان المطولات لا يناسبها مثل هذا الاسلوب في جميع الجلسات العلمية

6 ـ **ابعاد صناعة المنطق** : ومن الامور التي ينتقدها ابن خلدون كوسائل للتعلم صناعة المنطق وهو يقول عنه : « فالمنطق امر صناعي مساوي للطبيعة الفكرية ومنطبق على صورة فعلها ولكونه امرا صناعيا استغنى عنه » والمنطق كما يقول يحتاج الى معرفة للالفاظ الدالة على المعاني ثم ترتيب المعاني للاستدلال في قول لبها المعروفة في صناعة المنطق ، كل هذه الاشياء يحتاج الى معرفتها اذا هو اتخذ المنطق وسيلة للتعلم وكيف يتقبل هذه التعاريف المنطقية وتعقيدات الالفاظ وهو بعد ما يزال في بداية التعلم لذلك يقول ابن خلدون في تعليل رفضه لهاته الطريقة : « بل ربما وقف الذهن في حجب الالفاظ بالمناقشات او عسر في اشتراك الادلة بشغب الجدل والشبهات وقعد عن تحصيل المطلوب » فهذه هي الاسباب التي جعلت ابن خلدون يرفض طريقة المنطق في التعلم حتى قال عنه : « فاذا ابتليت بمثل ذلك وعرض لك ارتباك في فهمك او تشغيب بالشبهات في ذهنك فاطرح ذلك وانتبذ حجب الالفاظ واترك الامر الصناعي واخلص الى فضاء الفكر الطبيعي الذي فطرت عليه » ولا يقف ابن خلدون عند نقد هذه الاشياء بل يمتد حتى لنقد اولئك الذين يعتقدون المنطق وسيلة التعلم ولعل ابن خلدون لا يقف هذا الموقف من المنطق الا لكونه متشعب اللفظ في الدلالة على المعنى مما يجعل المتعلم يسبح في بحر زاخر من الكلمات الغامضة ، بينما الغاية التي يراها ابن خلدون كما سبق هي الحصول على الملكة في فن باخصر طريق واقرب وسيلة .

7 ـ **الشدة على المتعلمين** : ومن الامور التي ينتقدها ابن خلدون ويرفض ان يكون شيء منها في التعليم الشدة على المتعلمين وخاصة منهم الصغار ، فالشدة عنده تخلق عند المتعلمين وغيرهم اشياء غاية في القبح ، واولها التضييق على النفس في انبساطها والذهاب بنشاطها فيدعوه ذلك الى الكسل ويحمله على الكذب والخبث وهو التظاهر بغير ما في ضميره اي النفاق والمكر والخديعة غير النفاق ويصبح فيه ذلك امرا جبلا وبذلك تفسد المعاني الانسانية التي له من حيث الاجتماع والتمرن وتضعف نتيجة لذلك شخصية المتعلم فيصير كما يقول ابن خلدون : «عيالا على غيره» واكثر من ذلك ان الشدة تؤدي بالانسان الى الانصراف عن الغاية من التعليم بصفة عامة وهي الفضيلة ولهذا يقول : « بل وكسلت النفس عن اكتساب الفضائل والخلق الجميل فانقبضت غايتها في مدى انسانيتها فارتكس وعاد في اسفل السافلين ؛ اما الامثلة لذلك فهي عند ابن خلدون كثيرة فهو يمثل بالجماعات باعتبار ان نتيجة الضغط واحدة سواء بالنسبة للفرد او الجماعة والامثلة في هذا الباب اليهود وما هم عليه من مكر نتيجة لما تعرضوا له من ضغط عبر التاريخ اقبح ذلك فيهم جبلة .

وابن خلدون كرجل عقل يقدم هذه الاشياء ثم هو بالاضافة الى ذلك يعزز نظرياته في الموضوع باشياء ينقلها فهو ينقل كلام الرشيد لمعلم ولده محمد الامين ويقول : « فقال يا احمد ان امير المومنين قد دفع اليك مهجة نفسه » الى ان يقول : « من غير ان تحزنه فتميت ذهنه» فالشدة عند ابن خلدون امر مذموم في التعليم سواء بالفهم كما في قوله « وقد قال محمد بن ابي يزيد في كتابه « لا ينبغي لمؤدب الصبيان ان يزيد في ضربهم اذا احتاجوا اليه في ثلاثة اسواط » او بالاكثار كما يقول الرشيد لاحمد مؤدب ولده « ولا تمرن بك ساعة الا وانت مغتنم فائدة تفيده فيها من غير ان تحزنه فتميت ذهنه » ومع ان ابن خلدون لا يرى الشدة مباحة الا انه يقول بالتسامح الكلي مع المتعلمين فهو يبيح الضرب للذي لا يزيد على ثلاثة اسواط كما نقل عن محمد بن ابي يزيد هذا ما يرفضه ابن خلدون ، اما ما يقترحه على عادة الناقد الذي يهدم ويبني فسنتعرف عليه في المستقبل .

الرباط ـ محمد الامين الدرقاوي

العدد الماضي في الميزان

للاستاذ عبد الهادي الشرايبي
مدير القسم الثقافي بوزارة الشؤون الخارجية

انها سنة حميدة خطتها المجلة لنفسها اذ درجت على تكليف طائفة من الكتاب بتقييم كل عدد يصدر منها ، هادفة من وراء ذلك الى المحافظة على مستوى معين للمجلة ، والسير بها فى طريق التدرج فى الرقي، حتى ما اذا تبين من ملاحظة ناقد انها قد انحرفت في احد ابوابها او مباحثها عن الخطة التي التزمتها ، عملت على تلافي ذلك فى فرص موالية .

بيد ان من الصعب على أي كان ان يدعي لنفسه هذه الصلاحية لتقييم انتاج الناس والحكم لهذا باصابة المحج ، ولغيره بعدم التوفيق .

خاصة بعدما لوحظ فى نفس العدد وفى اعداد سابقة من ضيق عطن بعض الكتاب والادباء وتضايقهم من النقد الادبي ، مع ان هؤلاء الناقدين يصدرون في احكامهم او ملاحظاتهم فيما اتصور عن نوايا حسنة ، تهدف الى بيان الانطباعات التى تركها فى نفوسهم مقال الكاتب او قصيدة الشاعر ، او تصحيح ما قد يلاحظونه من خطا . ولا اعتقد ان اي كاتب يدعي لنفسه العصمة من الوقوع فى الخطا . وحتى اذا لم يحالف التوفيق الناقد ــ فيما يراه الكاتب ــ فارى من الخير ومن قواعد الزمالة ان يرد عليه فى لغة مؤدبة خالية من الاستعلاء والتجريح بله التهزيء ، والا فسيؤدى الامر الى مهاترة وتضييع للحقيقة فى خضم المعارك القلمية ان جنح كل للثار والدفاع عن الكرامة . وساحاول في هذه الكلمة بيان الانطباعات التى ارتسمت فى ذهني بعد تصفح العدد .

ولنلق الآن نظرة على محتويات هذا العدد ، وسنجد انه جمع اطباقا شهية من المعرفة ، في مختلف ميادينها وفروعها ، فمن الدراسات الاسلامية الى الابحاث الادبية الى ديوان المجلة ، وما تخلل ذلك من مباحث قيمة ، شائقة ومتنوعة ، ولو انه لم يحافظ على مستوى معين وذلك طبيعي من حيث اختلاف طبيعة الدراسات وطبيعة الكتاب والباحثين انفسهم . وكنا نود ان لو عني هؤلاء الكتاب باختيار المباحث الصالحة لجعلة سيارة فى مستوى دعوة الحق التي شقت طريقها الى المجتمعات العلمية فى الخارج ، واصبحت سفيرة الفكر المغربي لدى كثير من الاقطار. وان مما يدعو للغبطة ان اغلب الدراسات التى عالجها هذا العدد كانت باقلام مغربية ، مما يبشر باننا آخذون باسباب نهضة فكرية شاملة ، وذلك الى جانب الترحيب بما يسهم به اخواننا فى المشرق العربي.

بدات المجلة بتسجيل حدث تاريخي هام كانت الدار البيضاء مسرحا له ، هو مؤتمر القمة العربي الذي انعقدت عليه الآمال فى ان يكون انطلاقة كبرى فى دنيا العروبة ، اذ اتسمت مداولاته بالصراحة ومعالجة القضايا العربية فى جو مفعم بالاخوة والبحث عن الحلول الناجحة لمشاكل الامة العربية ، بعد ان وضعت هذه المشاكل على وجهها الصحيح ، ووضعت الاصابع على موطن الداء منها .

واستغرق تسجيل هذا الحادث العظيم ست عشرة صفحة . كان من بين الوثائق الواردة فيها خطاب جلالة الملك والرئيس عبد الناصر اللذان كانا بمثابة الضوء الاخضر لوثبة جديدة نحو مستقبل افضل فى حياة امتنا العربية المجيدة .

وقبل ذلك تولت افتتاحية العدد تحليلا للدور الذي اداه المؤتمر فى تصفية الجو العربي مما كان يخيم عليه من سحب ؛ كما اشارت الى الميزة الجديدة التي امتاز بها هذا المؤتمر عن غيره تلك هي محاسبته لنفسه على اعماله وقيامه بالنقد الذاتي لمواقفه ومعالجته لمشاكل الامة العربية ، مشيرة بصفة خاصة الى الكلمة الذهبية التي سجلها جلالة الملك في خطاب الافتتاح اذ قال : « ليس العيب ان نختلف في طرق الاجتهاد للحصول على الراي الصائب ، لكن العيب ان نجتمع ، وعلى هذا المستوى ، ثم نفترق والخلافات كما كانت او تزيد » .

وسجلت المجلة حدثين هامين آخرين هما الزيارة الرسمية التي قام بها الرئيس عبد الناصر للمغرب بعد انتهاء مؤتمر الدار البيضاء وزيارة الرئيس التونسي الحبيب بورقيبة .

واننا اذ نغتبط بما نشاهده من تدعيم وشائج القربى بين المغرب وبين شقيقاته العربيات ؛ لا يسعنا الا ان نبارك تسجيل المجلة لهذه الاحداث العربية الكبرى التي كانت ارض المغرب مسرحا لها .

ونتنقل الآن الى قسم الدراسات الاسلامية واول ما يطالعنا فيها مقال « نظرات الاسلام فى اكتساب المومن للفضائل » ومع تقديرنا لجهود مؤلفه فاننا نرى ان الاجدر ان يخاطب به الجمهور فى صحف يومية سيارة او مجلات دينية اسبوعية واسعة الانتشار بين الطبقات الشعبية ليكون نفعه اعم .

وياتي بعد ذلك بحث الثقافة الاسلامية تربية ومنهاجا وهو دراسة قيمة وتحليل عميق لاوضاع الشعوب الاسلامية ، وعوامل تفككها ، افعم نفسنا املا باننا سنعثر فى خلال البحث على تخطيط عملي للنهوض بالمسلمين من وهدة التخلف والتفرق التي هم عليها . ولكن الاستاذ الباحث اكتفى فى هذا المجال بعرض موجز وبتساؤلات لاتقدم حلولا ناجعة ، وبفقرات نقلها عن بعض الاساتذة الغربيين . وكانما شعر بما سيعتري القاريء من خيبة ، بعد العنوان الضخم والمقدمة التى فتحت امامنا باب الامل ، فاعتذر فى الاخير بانها كانت لمحات خاطفة وانه عالج احد شطري العنوان : التربية الاسلامية تربية ومنهاجا . فذكر لمحة عن التربية ووعد بمعالجة المنهاج . ولعلنا نطلع فى عدد قادم على بحث مفيد ، وان كان الموضوع اوسع واعمق من ان يعالج فى بضع صفحات على اعمدة الجرائد والمجلات .

اما بحث الدكتور الهلالي فى نقد مقال العوائق النفسية فاولى به — كما لوحظ فى اعداد سابقة من المجلة — ان ينشر فى كتاب، اذ انه يعني قلة من الباحثين، بالاضافة الى انه ينشر على اجزاء متفرقة .

ومن الدراسات الاسلامية ، ننتقل الى دراسات فى اللغة والفكر والادب واول هذه الابحاث التحقيق القيم الذي ينشره الاستاذ عبد الله كنون عن منجد الآداب والعلوم وهو من المواضيع المفيدة للطلاب التي ترشدهم الى وجوب التحري فى قبول ما تقدمه تلك المعاجم من معلومات لاتخلو من اخطاء .

ومن الدراسات القيمة التي احتواها هذا العدد، البحث الممتع الذي عالجه الاستاذ احمد الجندي حول موقفنا من الفكر الغربي هذا البحث الذي يمثل موضوع الساعة فى المجتمع العربي والاسلامي بعد الغزو الذي سيطر على لغتنا وفكرنا عن طريق الثقافة الغربية التى فرضها علينا الاستعمار ، وحاول ان يفرق بها بيننا وبين جوهر ثقافتنا المنبثقة عن تراث ضخم مجيد ، مبني على اساس الجمع بين مطالب المادة والروح ، واعتبار القيم الخلقية اساسا لكل تطور وتقدم ، فى السياسة والاقتصاد والاجتماع ، فهي الجوهر لها كلها والحاجز الحصين دون التردي فى هوة المادية التي تقوم عليها الحضارة الغربية المعاصرة، بما فيها من اباحة صريحة و قانونية لكل الموبقات السياسية والاجتماعية التى يتردى فيها الغرب من استعمار واستغلال للشعوب ، ومناداة صريحة بتشريع الميز العنصري الذي لايقل فظاعة عن قانون الرق الذي كان سائدا فى العصور الوسطى .

لقد حلل الاستاذ الجندي بطرق علمية الاسس التى قامت عليها الثقافة الاسلامية وكيف ان الحضارة الغربية مهما بلغت من الرقي والمعرفة ، فانه ينقصها الجوهر ، وهو الناحية الروحية التى لاتسير فى توازن مع مستوى التقدم العلمى والمادى ، حتى يكون هناك تكامل اجتماعي وموازاة بين قوى المادة والروح . واذا كان الاستاذ الجندي يتحدث عن الغزو الفكري الاوربى الذى سيطر على الشعوب العربية والاسلامية فى الحقب الاخيرة ، فاننا هنا فى المغرب نحس بهذا الخطر الجاثم على عقولنا وافكارنا بصفة مهولة ، ويكاد — ان لم نتدارك الامر بتخطيطات عملية مدروسة — ان يقطع الصلة ما بين ماضينا الاسلامي العربي وحاضرنا . فان الاجيال الصاعدة لاتكاد تعرف النزر اليسير عن هذا الماضي المجيد العلمى والحضارى بمقدار ماعرفت

فيه من الاحاطة بفنون الثقافة الغربية الحديثة علما وتاريخا وادبا .

وننتقل بعد ذلك الى طبق آخر شهي من الابحاث الادبية التي تزخر بها المجلة فنجد الاستاذ الدباغ في حديثه عن الشعر بين التكلف والابتذال ، يبدع في تصوير انطباعاته عن رسالة الشاعر التي يجب ان تهدف الى تصوير العواطف الانسانية واخراجها في قالب يتميز بجمال الموسيقى الشعرية ، والايقاع العذب والنغم الحلو في انسجام تام بين اللفظ والمعنى ، حتى يخلق منهما صورة جميلة ، لاتقل روعة وتاثيرا في النفس عما يحدثه رسم فنان عبقري في النفوس الشاعرة المتذوقة لما في تلك الصورة من انسجام بين الخطوط والالوان ، اخرجها للناس تحفة فنية رائعة.

واننا لنحمد للكاتب غيرته على الشعر العربي الاصيل ودعوته الى تطوره وتجدده في نطاق الحفاظ على هذه الاصالة .

وتاتي بعد هذا محاضرة الاستاذ زنيبر عن منابع الشعر وحقيقة الشاعر ، حاول الاستاذ ان يعالج فيها رسالة الشاعر في الحياة ، والمنابع التي يستقي منها ، مبينا ان الشاعر انما يستلهم من نفسه الشاعرة وروحه الفياضة ، وانه اذا كان هناك التزام فانما يلتزم بما توحيه اليه احاسيسه ونوازعه البشرية . لا بما يريد الناس ان يلزموه اياه . وبالرغم من انه نفى ان يكون قصده التحدث عن الالتزام في الشعر ومسائله المختلفة، الا ان التفسير الذي اراد ان يعطيه لحقيقة الشاعر يبين بجلاء ان الشاعر انما يصدر عن وحي ضميره والهامه ، وعن انفعالاته مع نفسه ، وتفاعله مع مجتمعه وهي حينذاك انعكاسات صادقة لزوايا الشاعر النفسية ، وصور طبق الاصل من فهمه للحياة ، وتصوره لجوانبها المختلفة ، وسبحات روحية في عالم الجمال والطبيعة ، ولقطات لسحر هذا الجمال في مظاهره المختلفة .

بقي ان نقف وقفة عند تساؤله هل لدينا شعر؟ هذا السؤال الذي نجد انفسنا مضطرين الى القول بانه تهرب في الجواب عنه وكان الاجدر بالاستاذ الكبير الذي حاضر عن الشعر ، في مدينة الجمال والسحر ، وسط عصبة مختارة من ادباء الشمال ان يعالج الجواب على هذا السؤال الذي تلح الضرورة القصوى على معالجته ، حتى نعرف نوع البضاعة التي لدينا ، هل هي من النوع الجيد الذي تجرؤ على طرحه في الاسواق العالمية ، وهل لنا شعراء يكرعون من ينابيع ثرة صافية . تصقل النفس فتخرجها صورا مشرقة، ام انهم يغرفون من منابع راكدة آسنة فتخرج الصورة الشعرية ، وقد خيمت عليها ظلال الركود والفقر الفني

لقد اعترف الاستاذ زنيبر نفسه بان هذا سؤال – من بين اسئلة اخرى – يستحق مناكامل الالتفات والانتباه . الحقيقة ان الامر شائك ، وقد لمح الاستاذ الى انه سيسلك في بعض الاحيان سبل التعقيد والابهام

ونمر بعد ذلك مر الكرام على التعليق على النقد، والمناقشة بين الاستاذين السايح وزنيبر وقد تمنيت في بداية هذا التعليق ان يتجنب الزملاء الالفاظ والعبارات الجارحة ، ويلتزموا النقد البناء ؛ والبحث عن الحقيقة المجردة في نزاهة وترفع عن لغو القول .

ومن الدراسات القيمة في هذا العدد الترجمة او التحليل الضافي الذي قدمه الاستاذ البوسرغيني لفقيد الادب العربي الدكتور محمد مندور ، فبالرغم من انه اطال النفس حتى استغرق بحثه حوالي عشر صفحات ، الا انه كان دراسة شيقة لا للدكتور مندور فحسب بل لفترة كاملة من المراحل التي مرت بها حركة النقد الادبي في ربع القرن الاخير .

وفي خضم هذه المعارك الادبية ، ينقلنا السيد رئيس تحرير المجلة الى عالم الارقام والاحصائيات ، و « السبر والتقسيم » في مقال الاستاذ خالص، ويتجول بنا في مراكز السبر في مختلف عواصم العالم . ولقد بذل فيه الكاتب مجهودا مشكورا حيث عرف بهذه البدعة الجديدة التي اصبحت تحتل درجة ممتازة في الحياة بنواحيها السياسية والاجتماعية والاقتصادية.

وحينما وضع الاستاذ غلاب العدد الماضي في الميزان ، تحمل مسؤولياته بشجاعة وامانة ، وابدى آراء صائبة بصدد بعض الدراسات التي تناولها في الشكل او في الموضوع .

بيد اني ساقف قليلا عند نقده لمقال الاستاذ ابن جلون حول توحيد اللغةالعربية الذي يقول فيه: «ان اللغة لا يضعها المدونون ولا يبحثون عنها في المعاجم القديمة ، بينما تسيطر علينا نحن فكرة احياء الالفاظ القديمة ، والتنقيب عليها في بطون معاجم ، مرت على وضعها مئات السنين ، بالضبط كما لو كنا نبحث عن مواليد في مقبرة .!

اعتقد ان الاستاذ ابن جلون لا يريد ان ينكر بهذا فضل المعاجم التي حفظت لنا هذا التراث الضخم ،

وصانته من الضياع وانما يشير الى محاولات المجامع اللغوية احياء اللغة عن طريق التنقيب عن الفاظ ميتة، وغريبة الوقع احيانا على السمع ، لاطلاقها على بعض الادوات والمخترعات الحديثة ، وهي محاولات منيت بالفشل في كثير من الاحيان ، اذ ان بعض هذه المفردات المهجورة لم يستطع السمع والذوق والاستعمال ان يستسيغها مثل الارزيز للتلفون وغيره ، فبقيت راقدة حيث كانت ، ومن جهة ثانية ، لم يعمل المجمع اللغوي على اذاعتها وفرض رواجها على جمهور الكتاب والقراء ، بل ظلت اكثر مقرراته محفوظة في مجلة المجمع التي لا يستفيد منها الا الخواص ، بل خواصهم ، ومن المؤسف ان هذه المجامع لم تؤد الرسالة المنوطة بها فتقدم للعالم العربي مفردات حية وتراكيب سائغة لهذه الالاف من المخترعات العلمية والحضارية التي تغزونا كل يوم في بيوتنا ومعاملنا ومكاتبنا ، فنضطر ـ امام تقصيرها في تقديم معاجم سهلة التناول والاستعمال وبحكم ضرورة التخاطب الى استعمال الاسماء الاجنبية وادخالها في لغتنا اليومية ، ان لم يكن في لغة الكتابة والتحرير . والى وقت قريب كانت السوق خالية من المعاجم اللغوية الحديثة التي تسد حاجات الطلاب والباحثين باستثناء معاجم اليسوعيين التي سدت هذا الفراغ الى حد ما . وهي جهود مشكورة بالرغم مما فيها من اخطاء كشف عن بعضها الاستاذ عبد الله كنون في ابحاثه عن منجد الاداب والعلوم ذلك انها جهود فردية .

ولا اظن ان الاستاذ ابن جلون يقصد الاستغناء عن معاجمنا اللغوية التي هي الحصن الحصين لها من الدخيل الذي يطغى عليها، وهي الملاذ عند المعضلات

وننتقل بعد ذلك الى بحث قيم للاستاذ الجراري تحدث فيه عن تاريخ القضاء بالمغرب ، وكنا نتصور كما يفهم من العنوان ان يعالج الاستاذ هذا التاريخ الخطير والحافل بجلائل الاعمال منذ اقدم عصوره ولكنه بداه فقط منذ عهد الحماية ، واقتصر فيه على الحديث عن كيفية مرور القضايا في مجلس الاستيناف. وانا لنود ان يعنى الباحثون بهذا الجزء المهم من النشاط الفكري الذي يعد مفخرة للمغرب الذي كان له قصب السبق فيما انجزه رجاله من دراسات وتحقيقات خلدوها في تآليفهم الحافلة في هذا الميدان ، وخاصة في كتب النوازل التي انفرد المغرب بتسجيلها وترك علماؤه فيها موسوعات ضمت بين طياتها عصارة ما انتجته قرائحهم الخصبة ومداركهم السامية .

ومن مباحث العدد البحث التاريخي الذي كتبه الاستاذ سعيد اعراب عن « كتاب الجمان في مختصر اخبار الزمان » الذي صحح به ما وقع فيه المؤرخ المصري الكبير الدكتور علي ابراهيم حسن من اخطاء فاضحة ، ونود بهذه المناسبة ان نسجل هنا ما نلاحظه من تهاون وتقصير من بعض الكتاب والمؤرخين الشرقيين الذين يتولون معالجة قضايا مغربية ، في تهاون وعدم اكتراث ، ولا يكلفون انفسهم عناء البحث الدقيق واستقراء الوثائق والمصادر ، فيختلط عليهم الامر ويصدرون احكاما واستنتاجات بعيدة عن الحقيقة ، او فيها تشويه كبير لها .

وكنا نلتمس لهم بعض العذر عندما كانت المواصلات بيننا منقطعة او تكاد . اما الان وبعد هذا الاتصال المتين بينهم وبين خزائننا ونفائس مدخراتنا ، والتبادل الفكري الموجود حاليا بين مشرق العالم العربي ومغربه ، فلم يعد هناك مبرر للتحريف او التهاون في معالجة القضايا التي تمس تاريخ امم اخرى بنفس السهولة والتهاون المعتادين .

ونلتقي بالاستاذ الريسوني في بحثه عن الادب النسوي في الاندلس ، لنجد انه قطع ثلاث مراحل طويلة في الحديث عن ادب المراة في العصر الجاهلي والاسلامي الاول دون ان يصل بعد الى الاندلس والى الحديث عن الادب النسوي في هذا الفردوس الذي كان يزخر بالاديبات ، والشواعر المبدعات .

وفي ذكريات الاستاذ الحاسني « المريرة » عن عهد الشباب والدراسة ، يحكي لنا قصة عذبة ، ولو انها احيت ذكريات كانت مريرة في اول الامر ، قبل ان نعرف ظروفها التي عادت بالذكريات الى عهد قيس ورفاقه ، وارتنا في القرن العشرين من الوان العشق والهيام ما لا يقل في روعته وجلاله عما الفناه في ايام العرب الاولى .

ونخلص في الاخير الى ديوان المجلة الذي اشتمل على ست قصائد ، وقد احسنت المجلة اذ حافظت على هذا الفصل الذي يمثل جزءا من نشاطنا الادبي ، ولو انه لا يعكس حقيقة القرائح الشعرية المغربية ، فمن المؤكد ان لدينا شعراء مجيدين ، ولكنهم ـ لسبب او لآخر ـ لا يريدون له ان يرى النور ويأخذ حظه من الهواء الطلق !

ويبدأ الديوان بقصيدة طويلة للشاعر عبد الكريم التواتي عن « لقاء البطلين » انشدها بمناسبة

زيارة الرئيس الحبيب بورقيبة للمغرب ولقائه مع اخيه جلالة الحسن الثاني فى حفلة توأمة فاس والقيروان واذا كان لنا من رجاء عند الشاعر فهو ان يعنى بتصحيح التراكيب ، والتعابير التي تحتاج الى بعض التكلف فى تخريجها على الاستعمال العربي السليم ، من ذلك قوله : ابو رقيبة الاغزى نفوس عداته – وجدتكما للعالمين هداية . ولافريقيا نبراسا يثير الدياجيا – فقودوا شعوبينا الى الخير .

والقصيدة الثانية للاستاذ المقدم وهي قطعة لطيفة حيا فيها جلالة الملك المعظم وهنأه بالمولودة الجديدة التي ازدان بها البيت الملكي العامر .

وننتقل الى قصيدة الاستاذ عبد الملك البلغيثي فى وصف مشكلته مع الحجام ، وهي من الشعر الخفيف المرح يقدم فيها صورا من حياتنا الاجتماعية التي قلما يعالجها شعراؤنا فيقدمون صورا رائعة نابضة بالحياة والحركة ، بينما نجد اغلبهم على العكس من ذلك لا تتفتح قرائحهم الا عند المناسبات ، ان القصيدة جاءت رسوما حية متلاحقة فيها تجديد وابداع ، جعلتنا نعيش معه محنته مع الحلاقين الذين تقدهم فى بعض قصائده ، فصاروا ينظرون اليه شزرا ، وكان عهده بهم لا يقرأون : لقد حل الصيف بزمهريره ، وتدلى شعره على قفاه ، ويعتزم دخول قاعة حلاق ولكنه يخشى من غيظهم ومكرهم ، ويستنجد بالناس ليدلوه على مخرج من محنته .

ان هذه القصيدة بخفة دمها تذكرنا بشعر المرحوم ابن ابراهيم ، وخاصة منه مقطوعته الخفيفة التي يغازل فيها انيسه الوحيد فى حجرته « الفار » الذي يقتحم عليه مأواه ويؤنسه بوشوشاته ووثباته .

اما قصيدة فاتح اكتوبر فقد قدم لنا الشاعر فيها تحقيقا صحفيا منظوما من افتتاح المدارس ووصف التلاميذ الذاهبين اليها متابطين كتبهم ومحابرهم ومساطرهم ، ثم يختم هذا التحقيق بجمل وعظ وارشاد عن فوائد العلم والتمسك بالاخلاق

واختم هذه الارتسامات بالقاء نظرة على قصيدة « لقاء » التي وان احتفظت بتفاعيل الشعر وقوافيه ، فانك لا تكاد تحس وانت تقراها بتلك الحرارة الدافقة التي تتلمسها عادة فى الشعر من خلال تعابيره ومقاطعه ، كما لا تجد تلك المتعة التي تتذوقها فى انغامه المنسابة بين ثناياه كخرير المياه المنحدرة بين الجداول والغدران . بالرغم من ان الموضوع حي وشيق من شانه ان يبعث فينا الحنين الى ماضي اشبيلية الحافل بالامجاد ، وبالذكريات العذبة لادب المعتمد بن عباد .

عبد الهادي الشرايبي

أصل البشرية في المغرب

بقلم : إيميل اينوشي
الاستاذ بكلية العلوم لجامعة محمد الخامس
تعريب الاستاذ : احمد الاخضر

من المعتقد اليوم في اوساط علماء الاحاثة ان افريقيا كانت مهدا للبشرية واطارا تاما لمراحلها المختلفة

فقد عثر في ناحية واحة الفيوم بمصر على اقدم الآثار المعروفة الى حد اليوم نسبها العلماء لا الى الانسان بمعناه الكامل بل الى ما قد ينتسب الى سلفه الغابر

وبعد ذلك العهد انتشرت تدريجيا افواج متتابعة للجنس البشري احتلت القارة الافريقية كلها .

واي فرق بين بقايا الفيوم المتحجرة وبين سائر البقايا التي عثر عليها في نواح اخرى ؟

تنتمي كلها في الحقيقة الى رتبة الرئيسيات تميز منها الانسان باكرا بانتصاب قامته ، ونمو دماغه . وقدرة عقله التي ساعدته منذ البداية على ان يدافع عن نفسه ، وان يقتات ، وان يصنع من الحجر الصلب الحاد اسلحة وادوات .

وقلما تبقى في باطن الارض عظام الانسان هي هي سليمة ما لم تتحجر بعامل تلك الظاهرة الشاذة التي تعتري العظام في احوال خاصة فتحفظها طويلا . وبصفة عامة فانها تتفسخ في الارض وتنحل فتغدو غبارا مندمجا مع التراب من جديد . واذا توفرت اثناء الدفاعها وانطمارها بعض الشروط، ولم تعمل فيها الراجيات عملها المخرب ، دام الهيكل تاما وفرغت خلايا عظامه من مادتها العضوية وامتلأت باملاح معدنية محيطة بها واصبحت العظام متحجرة مما يجعلها اكثر ثقلا واشد صلابة . والكشف عن مثل هذه العظام امر صعب لما يتسبب عنه من مشاكل وتدابير خاصة .

لذلك فان العثور على بقايا الانسان المتحجر لقليل جدا من الناحية الجغرافية ، ولمتباعد في الزمن من الناحية الجلوجية مما يوهم بالبتر والفراغ بين مختلف المراحل البشرية ، بينما ليس هناك اي بتر ولا اي فراغ من الناحية النظرية ، لان الانسانية تطورت باستمرار دائم متواصل . وحتى التحولات والتبدلات الفجائية التي طرات على تطور البشرية منذ الانسان الاول وحتى « الانسان الحكيم » الحالي فانها كانت متعددة متنوعة ودقيقة غير محسوسة في آن واحد : تذكرنا في ذلك باشرطة سينمائية تظهر لنا صورها مستمرة متواصلة غير منقطعة لسرعة تتابعها وخفة تلاحقها وقلة الفروق بينها .

ومع ذلك فللمغرب في هذا الميدان منزلة ممتازة لما يتوفر عليه من مطامر احاثية حددت اهم مراحل هذا التطور بصفة واضحة .

١ ـ فاول مطمر احاثي اكتشف في هذا الصدد هو للنوع الجنوبيقرديات . سمي بذلك للعثور عليه في افريقيا الجنوبية ولكونه صنفا اول ما صنف في النوع القردي . وجدت عظام هذه الاشخاص المتكثرة يوما بعد يوم في افريقيا الجنوبية والشرقية وفي التشاد . ومعالمهم التشريحية ووجود احجار منحوتة ازاء جثتهم ، نحتوها هم بلا شك ، لما يدل على انهم كانوا

اناسا صغارا . فهم اول البشر . ولم تعثر فى المغـــرب على عظام لهم متحجرة ؛ الا ان اثر مرورهم بالمغـــرب يوجد فى بعض انحاء المغرب بوجود تلك الاحجار الكليوية الشكل الخشنة الطرق او النحت والتى تسمى « بيبل كولتور » ؛ ويرجع عهـد الجنوبقرديات الاوليـن الى 1750 الف سنة والذين اكتشفوا فى التشاد وهـــم احدث عهدا يرجع تاريخهم الى 700 او 800 الف سنة

ب – والجيل الثانى هو جيل « القردينسـانيات »، اشير الى وجودهم لاول مرة فى جزيرة « جافا » كانـوا اناسا قرودا الا ان الاكتشافات الحديثـة بينت انهـم كانوا اناسا حقيقييـن اطول قامة وارقى تطورا مـن الجنوبقرديات . فاسلحتهم الحجريـة اجود اتقانا تتكون من احجار منحوتة لوزية الشكل يظهر عليها اثـر الطرق من الجانبين قصـد جعلها حادة من الحافتيـن ؛ ويطلق عليها اسـم ذوات الواجهتين او الملاكم الاشوليـة (من مكان بهذا الاسم بفرنسـا)

ومـن اجمل ما وجد من الوثائـق الاحاثيـة تلك المجموعة المكونة من الفكوك السفلية والشظايا الجمجميـة عثر عليها الاستاذ آرامبورغ قـرب الحـدود المغربيـة الجزائريـة فى تيرنيفيـن (معسكرة) والتـى تسمـى بالاطلسيبسانيات الموريطانية .

ولقـد عثر فى المغـرب على بقايا لهـؤلاء الناس فى مدينة الرباط . فالرجـل الرباطـي اكتشفـه العالـم « مارسي » فى الحث التلـي للشاطىء الرباطي سنـة 1934 . الا انه مع الاسف لم يبق منه الا الفك السفلي وشظية من الحنك . اما عظامه الاخرى فقـد انكسرت وضاعـت .

ومما ينتمي الى هذا النوع 1) حطـام عظاميـة لفكوك سفلية كشف عنها العالم « بيبرسون » سنـة 1955 بمحجر سيدي عبد الرحمن قرب الدار البيضاء وفك سفلي عثر عليه العالم الرئيس الكنيسي « روش » سنة 1956 قرب قرية تمارة يظهر انه لاطلسينسانـي متطور المعالم مما يجعله يقارب النـوع النياندبرطالـي (من اسم مكان بالمانيـا) .

وتاريخ كل هؤلاء القردينسـانيات يتراوح ما بيـن ثلاثمائة الف وخمسمائة الف سنة . وهناك اشكـال منها يعود اصلها الى النوع السابق او النوع اللاحق بها

ج – وكـان ينقص المغـرب اثـر مـن الجيـل النياندبرطالي الا ان الاستاذ ايونوشي صاحب هـذه السطور مـلأ فراغه باكتشافه فى جبل ايغود جماجم لهذا النوع اعلن عليها منذ سنة 1962 : وهي جمجمـة اولى بدون فكيها السفلي عظيمة واسعة مميزاتها اقواس حجابية نائتة فى شكل مكيت بيـن طرفي الجبهـة . والجمجمة الثانية عديمة الوجه ، وعثر المؤلف كـذلك على حطمة للعظم الجداري من جمجمـة ثالثة ؛ وقـد يساعدنا الحظ فنعثر على قطع اخرى فى المستقبـل ان شـاء اللـه .

والغاية من النياندبرطاليين الذين مافتيء المؤلف يبحث عنهم فى المغرب منذ ما يزيد على عشرين سنـة هي اثبـات هذه المرحلـة الثالثة مـن تطـور البشرية علـى الارض .

وتنجلي اهميـة المطمر الاحاثـي المشار اليه فى جبل ايغود فى العثـور على جائلـة حيوانية فيهـا عظام للكـركـدن ولحمار الزرد او العتابي ؛ وللبقر العملاقي وللظبي وللغزال وللنعامة يربو عددها على الالف وفـي العثور على صناعة كثيرة الادوات من النوع الموستيري (من مكان بهذا الاسم) وهو نوع لم يكن معروفا بالمغرب الى حـد الآن . والمطمر هذا كان معمـلا لقد الحجـر ونحتـه بالاضافة الى انه كان محل سكنـى ؛ لما وجـد فيه من اثر النار فى عظامه واحجاره . وتمتاز الصناعة الموستيرية بحدود صغيرة لـسهـام لوزيـة الشكـل مصنوعة من حجر الصوان الاسود والاسمر والاشقـر والشفاف ومنحوتة من جانب واحد كما انها تمتـاز بادوات للحـك والكشـط والحفـر والثقب الـخ ... فمطمر ايغود فريد من نوعه فى افريقيا . وهناك مطمر آخر فى ناحية طنجة بالمغارة العالية اكتشف فيه العالم « كوون » عظاما بشرية تبين من بحثهـا ومـن خلـط طبقية ارضها انها ليست من النوع النياندبرطالي فـي شـيء .

بيد ان وجود صناعة احدث عهـدا تسمـى بالصناعة الاتيريـة وتتكون من سهام فى شكل رمـاح ذات معاليق لما يجعلنا نفتـرض ان النياندبرطاليين تواصل نسلهم فى شكل متطور بحيث ان عهدهـم لا يتعدى مائة وخمسيـن الف سنة بالنسبة الى اوائلهم ولا يفوت ثلاثيـن الف سنة بالنسبة الى ذريتهـم القريبة منـا . ولاشك انه سيعثر يوما ما على اشكال عبوريـة تنتمي الى القردينسانية وعلى اشكـال اخرى مجاورة للانسان الحكيم . ولم تؤرخ صناعة عيـن قريتيسة الاتيرية النوع بينما يرجع تاريخ صناعـة دار السلطان « قرب الرباط » الى ثمان وعشريـن الف سنة حسـب تحاليل « كلارك » .

د ـ الانسان الحكيم المتحجر :

لقد عثر على بقايا للنوع البشري الحالي في حالة تحجر وتحصل هذه الحالة للعظام في باطن الارض بعد مكوثها به اكثر من عشرة ءالاف سنة . ويسمى هذا النوع في المغرب بانسان مشتى العربي . وفي الواقع التبس عليهم نوعه بنوع كرومانيون في اول الامر فاصبحوا اليوم يميزونه عنه تلافيا لذلك الالتباس ويقاربونه بنوع الغونش « بفتح الغين والواو وتسكين النون » الذي عثر عليه بالجزائر الخالدات « كاناري » .

ولقد اكتشف المؤلف قرب الرباط بدوار الدبغ سنة 1951 فكا سفليا تاما ، وحطمة حنك ، وعظاما جمجمية غليظة ولا سيما العظام الجدارية منها . وبعد ذلك اكتشف من جهته الرئيس الكنيسي « روش » هياكل عديدة قرب مدينة وجدة في مكان تافوغالت سنة 1953 . ولم نستطع الى حد الساعة تحديد تاريخ هؤلاء الناس الا انه اذا تبين انه يتناسب مع طبقة دار السلطان العلوية سيكون مقدرا باربعة عشر الف سنة تقريبا . وقد عاش انسان المشتى العربي قبل اواخر العهد المطري الاخير اي منذ احد عشر الف سنة .

اولائك هم الرجال المتحجرون الذين سبقونا بالمغرب . ومما لاشك فيه أن تشجيع مثل هذه الابحاث لمن شانه ان يساعدنا على رفع الغطاء عن مظاهر اخرى ومعرفة جدد اخرى في مراحل التطور البشري .

فالرجال المتحجرون لم يعرفوا طوال مدة جيلهم التي تقدر بمليونين من السنوات اسلحة غير الاسلحة الحجرية وادوات غير الادوات المصنوعة من الحجر المقدود المنحوت . وفي ظرف عشرات السنين ارتقت الانسانية من مرحلة الصناعة اليدوية الى الصناعة الالية ثم الى الصناعة التلقائية ويخيل الينا بالنسبة الى تلك الوثبات الشاسعة المدى التي اجتازتها الانسانية في هذه الظروف القصيرة الزمن . اننا نعيش في مدنيات اخرى . وفعلا لقد نشأ عالم جديد تحت اعيننا المشدوهة المبهوتة من وجود عالم جديد يصرخ بنا ان عهد النواة والفضاء قد بدا انطلاقته الكونية . فماذا سيكون للانسان منه في الدهور المستقبلة يا ترى ؟

الرباط ـ احمد الاخضر .

ظهير فريد .. في دولة مغراوة

للأستاذ : عبد الله الجراري

اول ملوك هذه الدولة زيري بن عطية بن عبد الله الزياني المغراوي الخزري، تولى ملك زناتة سنة 368 فى حال كونه قائما بدعوة هشام المؤيد ملك الاندلس على يد المنصور بن ابي عامر حاجبه ولكن الجو لم يصف بينهما فى الاثناء الا انه بلغه عنه ما يسوء من القول فى حقه من كونه حجر سلطانه هشام المؤيد ، فاغتاظ لذلك ووجه ولده عبدالملك المظفر بجميع عساكر الاندلس ، وامره بمحاربة زيري وانتزاع المغرب من يده ووصل المنصور بنفسه من قرطبة الى الجزيرة الخضراء مشيعا ولده عبد الملك لما ذكر من الغرض فالتقا الجمعان باحواز طنجة فهزم عبد الملك الامير زيري بن عطية شر هزيمة وانكسر ما كان معه من الجيش وانتهى امره بالفرار الى ابواب فاس وترك معسكره وذخائره غنيمة لعدوه فسد اهل فاس ابواب المدينة فى وجه زيري ، فطلب منهم اخراج عياله واولاده، ففعلوا، واعطوه زادا فذهب فارا بنفسه الى الصحراء ودخل عبد الملك مدينة فاس ءاخر شوال عام 387 وكتب لوالده المنصور معرفا بالفتح، فقرىء كتابه بذلك على منبر جامع الزهراء من مدينة قرطبة ، وبعث لولده المظفر بولاية العهد على المغرب ، وقرىء كتابه بذلك على منبر القرويين وقد ذكر نصه ابن خلدون فى تاريخه العبر ، فاستقر عبد الملك بمدينة فاس وعدل فى اهلها عدلا لم يروا مثله فيمن قبله من الولاة : ولما توفي زيري سنة 391 بايعت قبائل زناتة ولده المعز بن زيري فضبط ملكه ، وقام به اتم قيام ، وصالح المنصور بن ابي عامر ، وقام بدعوته ورجع الى طاعته ، واستمر فى عمله الى ان توفى المنصور ، فبايع المعز ولده عبد الملك المظفر ودعا له على المنابر وشرط عليه شروطا قام بالوفاء بها فى كل سنة ، واعطاه ولده معنصرا رهينة «1» على الطاعة فبقي بقرطبة الى ان قامت الفتنة ببلاد الاندلس ، وانقرضت الدولة العامرية فانصرف معنصر الى والده بالمغرب ولم تزل بلاد المغرب فى ايام المعز فى غاية الهدنة والعافية ــ الى ان توفي فى جمادى الاول سنة 422 فخلفه على الملك ابن عمه : حمامة بن المعز بن عطية وهذا هو الذي قام عليه الامير تميم بن زيري الزناتي بمدينة شالة وزحف اليه الى مدينة فاس فى قبائل مغراوة فكان بين القطرين قتال عظيم انهزم حمامة امامه الى مدينة وجدة ودخل تميم الى مدينة فاس فى شهر جمادى 2 سنة 424 فاوقع باليهود وقعة فظيعة اذ قتل منهم 6 ءالاف ، واقام بفاس سبعة ايام فجمع حمامة قبائل مغراوة من نواحي تلمسان واقبل بهم الى مدينة فاس، ففر تميم منه الى شالة وذلك سنة 431 ، والى القارىء نص ظهير «2» تميمي يبرهن لنا عن المكانة التي كان الاشراف العلويون يتمتعون بها فى دولتهم رغبة فى التيمن بانتسابهم الى الرسول الاكرم والتماس البركة من افاضلهم ، مع ما توحي به الحركة الادبية وما كان لاقلام الكتاب فى فن الكلام من اساليب رصينة لا تخلو من متانة وروعة .

بعثه الى الشيخ ابي جعفر ءامغار رضي الله عنه ، ونصه بعد سطر الافتتاح : من عبد الله المتوكل عليه المفوض امره اليه الامير بن الامير ايده الله

«1» كانت هذه عادة لدى بعض الدول والرؤساء توثقا منهم بالوفاء ، واخذا بالحيطة لانجاز الوعود .

«2» وهو اهم ما قصده الكاتب من هذا المقال .

بنصره ، وعامله بتأييده ، الى الشيخ الولي ابي جعفر اسحاق ابن الشيخ الولي ذي المآثر الشريفة ، والمراتب الدينية المنيرة ، المشرفة بالسعادة الدنيوية والاخروية ، ومغارس الكرامة العظمى ، والسجايا العلوية الجسمانية ، المذهب للظلم باعراب عن سلفه المنتمي بالبنوة الى مراتب النبوءة ، قطب المدار ، اسماعيل ءامغار ، المتبرك به نفعنا الله به .

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد حمد الله العظيم والصلاة على نبيه المصطفى الكريم وعلى ءاله نعم الال والرضى عن مصابيح الاسلام اصحابه البررة اهل الدين المستقيم ، وعلى الائمة الخلفاء الراشدين موصلين الحق الى اهله الى غاية التبيين والتعظيم . فاني كتبت اليكم معلما بما فى جاشكم من الاعتقاد وخلوص المحبة وجميل الوداد ، وباني ارى راغبا بان استظل فى ظل عنايتكم ، واحظى ببركاتكم موفيا بعهد الله فى مرضاتكم ، طالبا من الله الثبات على سبيل طريقتكم ، خائفا منه الطرد والحرمان عن بابكم . واني بحول الله ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم رأيت ان افضل ما يقربني اليه خلوص محبتكم وتوقيركم على الدوام والاستمرار وقطبانيتكم الظاهرة ربطت رعيكم المامول ، واستظهرت جانب البر والقبول ، والخير المستمر الدوام الموصول ، وصرفت عليكم الزكاة والاعشار لتفرقوها على ايديكم من الاغنياء الى المساكين لصدقكم فى ذلك . وتحروا الغرباء والجيران ، والشركاء والاصهار ، الى غير ذلك .

والمعسرون منهم فلا حرج عليكم ولا تثريب على احد منهم فيما تقدم ، ولهم من الصفح الشامل ، والعفو السابغ الكامل ، ما يستقرون به فى مهاد العافية ، ويوردهم من ءامالهم الموارد الصافية ، وليكونوا موقنين بما يستقبلونه من الدعة الضافية الجلباب والاسباب ، التي يتعرفونها بحول الله دائمة الاستحباب هم اعينهم ولهم صفاتها ، وفيهم رغبة فى الاتصال بكم والتكفل بخدمتكم ، والتمسك بكم ، التماسا لحرمتكم ، وبركاتكم ، والله سبحانه ينفع المسلمين ببركاتكم ، ويسقينا من سمائكم ، سحائب الرضى المامول والرحمى . والسلام الكريم عليكم ورحمة الله وبركاته، وكتبه تميم بن زيري اهـ لفظه من كتاب محمد بن عبد العظيم الازموري المسمى «تنقيح الاخبار » .

ثم بعد انهزام تميم تم لحمامة ملك فاس واحوازها وكثير من اعمال المغرب ، الى ان توفي فى سنة 440 فكانت ايامه 18 سنة ، وتولى الملك بعده ابنه دوناس الذي كانت ايامه ايام هدنة ورخاء ، وفيها عظمت فاس وعمرت ، وقصدها الناس والتجار من جميع النواحي ، فادار السور على ارباضها «قصباتها» وبنى المساجد والحمامات ، وفنادق التجارة ، فصارت حاضرة المغرب ، ولم يشتغل من يوم ملك البلاد الا بالبناء والتشييد حتى ازدهرت اقتصاديا واجتماعيا وعمرانيا الى ان توفي سنة 452 .

وهذا هو السر فى ذكر الدولة المغراوية لان مدينة فاس عظمت فى ايام هذا الملك دوناس ثم ولي الملك بعد وفاته ولداه الفتوح وعجيسة ، وتولى كل واحد منهما عدوة فاستولى الفتوح على عدوة الاندلس فبنى باب الفتوح ، وسماه باسمه وبنى قصبة منيعة بالكدان ، كما بنى عجيسة بابا بعدوة القرويين سماه باسمه باب عجيسة وبنى قصبة منيعة بعقبة السعتر ، واستمر القتال بين الاخوين طوال ايامهما ، وظفر الفتوح باخيه عجيسة، فقتله واستمر الفتوح ملكا بفاس الى ان دخلت عليه لمتونة فانجلى عنها ، فكانت ايامه بها 5 اعوام وخمسة اشهر ، وفى جلاء الفتوح عن فاس بايع اهلها معنصر بن المعز ابن زيري فى شهر رمضان سنة 451 فاستمر بها الى سنة 462 فدخل عليه المرابطون .

الرباط ـ عبد الله الجراري

الموحدون والحضارة

للأستاذ: عبد الله العمراني

قامت دولة الموحدين بالمغرب على انقاض دولة المرابطين، وعلى يد مؤسسها الاول محمد ابن تومرت الذي ادعى المهدوية ابتداء من عام 515 هـ 1121 م ، واذا قلنا (المهدوية) فمعنى ذلك ان هذه الدولة قامت على فكرة دينية ، شأنها في ذلك شأن كثير من الدول التي سبقتها او لحقتها ، بل ان دولة الموحدين قامت على فكرة اخرى فلسفية ايضا ذلك ان الموحدين كانوا يهدفون الى تخليص العقيدة الاسلامية بالمغرب من كل ما يشوبها ـ في نظرهم ـ من مظاهر (التجسيم) الذي كان المهدي ابن تومرت وانصاره يرمون به المرابطين من قبلهم ، ويقول ابن خلدون معللا تسمية الموحدين بهذا الاسلام : (وكان ـ يعني المهدي ـ يسمي اصحابه بالموحدين تعريضا بلمتونة ـ يعني المرابطين ـ في اخذهم بالعدول عن (التأويل) وميلهم الى التجسيم (1) . ويقول روم لاندو : (وكان ـ اي المهدي ـ يعلق على مفهوم وحدة الله المطلقة اهمية بالغة الى درجة جعلته يطلق على اتباعه اسم الموحدين) (2) .

كتب النصر للموحدين ، فأسسوا دولتهم التي استلمت زمام الحكم في المغرب ، فلم تلبث ان صارت لها مقاليد الزعامة في الحوض الغربي للبحر الابيض المتوسط ، لا ينازعها في ذلك منازع ، اذ استطاعت ان تنشر الويتها على الربوع الممتدة من المحيط الاطلسي حتى حدود مصر الغربية ، ومن الصحراء الكبرى حتى قلب شبه جزيرة ايبريا ، وكانت عاصمة الدولة هي مدينة مراكش .

ان هؤلاء الموحدين الذين اسسوا ملكهم على تقوى من الله ورضوان ، ونشروا نفوذهم السياسي على رقعة واسعة من افريقيا واروبا ، لم يكن يعوزهم روح العمل الجدي ، ولم يقف اي عائق في سبيل نشرهم للحضارة ورعايتها .

ومن المؤسف حقا ان نجد في الشرق العربي من لا يزال يجهل او يتجاهل هذه الحقيقة الناصعة ويحمل على المغرب العربي حملته الشعواء ، بين الحين والآخر ، مدفوعا الى ذلك باحد امرين :

1) الجهل وعدم الاطلاع على تاريخ المغرب وثقافته وحضارته ، وينبغي لهؤلاء الا يبقوا في غيهم يعمهون .

2) التأثر بما كتبه او يكتبه بعض الموتورين او المغرضين من كتاب الغرب الذين قد يحاولون الاساءة الى ماضي المغرب بطريقة او باخرى ، وعلى كل فالواقع والتاريخ المغربيان صامدان لكل من تسول لهم انفسهم ان يسيئوا ، وحاسبان لترهاتهم كل حساب .

اقول هذا بمناسبة الرأي الغريب العجيب الذي قرأته مؤخرا ضمن سلسلة (الجراحة عبر القرون) ، والذي دبجته يراعة الكاتب داود كرم (3) ، قال بالحرف الواحد :

(... جاء بعد ابن سينا طبيبان عربيان آخران ، حذوا حذوه ، واحتلا مكانة رفيعة في عالم الطب ، هما : ابن رشد « 1126 ـ 1198 » وموسى بن ميمون « 1135 ـ 1204 » .

الا ان حضارة العرب في القرون الوسطى لم يقدر لها ان تعمر طويلا بعد ابن سينا ، فما ان انتصف القرن الثالث عشر حتى خبا نور تلك الحضارة ، ودكت اركانها على ايدي جحافل المغول الزاحفة من الشرق ، وعلى ايدي الموحدين في الجزء الغربي من الامبراطورية العربية ، فأتت يد الخراب والتدمير على كنوز العلم والمعرفة ، وفتك الغاضبون بالعلماء وارباب المعرفة ، وقتلوهم بلا رحمة ، وآل الامر لاروبا لكي تنقذ ما يمكن انقاذه من تراث عصر ذهبي سطع فيه نجم العرب عاليا في ميدان الطب وغيره من العلوم) .

---

1) كتاب العبر ج 6 ص 229 .

2) العرب والاسلام (ترجمة منير البعلبكي) ص 143 .

3) راجع مجلة (العالم) الصادرة ببيروت ، عدد سبتمبر 1965 .

وقبل ان اناقش الكاتب الحساب ، اود تصحيح بعض ما ورد في مقاله وضعا للامر في نصابه : ما ذا يقصد بالامبراطورية العربية ؟ هل كانت هناك امبراطورية عربية واحدة شاملة يحكمها امبراطور او خليفة واحد ، ويمثل المشرق جزأها الشرقي ، والمغرب جزأها الغربي ؟

يحدثنا التاريخ ان العرب في هذه الفترة لم يكونوا دولة او امبراطورية واحدة مثلما كانوا في عهد بني امية مثلا .

اذن فعبارة (الجزء الغربي من الامبراطورية العربية) غير صحيحة تاريخيا ، لان الامبراطورية العربية كانت قد تجزأت ، ففي منتصف القرن الثالث عشر كانت دولة الايوبيين 1171 / 1250 في مصر والشام . وقد جاهدت الصليبيين المغيرين ، وطردهم صلاح الدين من الاراضي المقدسة ، وقد خلفت دولتهم دولة المماليك 1250 / 1517 التي انشأها وحكمها العبيد على حد تعبير (روم لاندو) ، وفي ذلك العهد كان الخلفاء العباسيون في بغداد يملكون ولا يحكمون ، وكانت سلطتهم روحية اكثر منها زمنية ، وقد هاجم عاصمتهم ودمرها سنة 656 هـ / 1258 م زعيم المغول هولاكو فقضى على الخلافة العباسية ، وواصل زحفه على دولة المماليك ولكن قائدهم السلطان قطز تمكن في معركة عين جالوت 1260 م من صد العدوان الذي قام به المغول والصليبيون المتحالفون ، وردهم على اعقابهم .

اما المغرب فكان يحكمه الخلفاء الموحدون فبلغ على ايدي عبد المومن بن علي وابنه يوسف وحفيده يعقوب اوج عظمته ، اما في منتصف القرن 13 م فكان على عرشه ابو حفص عمر المرتضى 48 ــ 1266 الذي كان في عهد ضعف وتراجع سياسي وحروب داخلية مع قوة المرينيين النامية .

فالعالم العربي ــ اذن ــ لم يكن امبراطورية واحدة يحكمها امبراطور واحد ، حتى يصح ان تقسمها الى جزء شرقي وآخر غربي ، ثم ما بال الكاتب لم يات بأي دليل يرينا فتك الموحدين بالعلماء، وقتلهم اياهم بلا رحمة ولا رأفة، وما باله لم يرنا كيف آل الامر الى اوربا فانقذت ما امكنها انقاذه ؟ الم يكن عرب المغرب والاندلس هم الذين حملوا مشعل الحضارة يوم كانت اوربا جاهلة لا يتقن اعظم اباطرتها التوقيع باسمه ؟ وقبل ان تنقذ اروبا الحضارة ، من كان انقذها وصانها لها من العبث والفساد او الاضمحلال والفناء ؟ هذه اسئلة كان يجدر بالكاتب المحترم ان يسائلها نفسه قبل ان يرمي الكلام على عواهنه .

وقبل ان اعود الى موضوع الموحدين المفترى عليهم ، اريد ان اذكر القارئ الكريم ــ والذكرى تنفع المومنين ــ بالدور الوحشي الذي لعبه المغول في الشرق وفي بغداد بالخصوص ، لتمكن مقارنته بالدور الذي قام به الموحدون في المغرب .

يقول المؤرخ سيد امير علي : (ويحتاج وصف تدمير مدينة بغداد الى براعة مؤرخ مثل (غيبون) : فالنساء والاطفال الذين خرجوا من بيوتهم يحملون المصاحف على اكفهم ، ويتضرعون الى الجنود كي يبقوا على حياتهم ، وطئت اجسادهم بحوافر الخيل ، والنساء المدللات اللواتي لم يألفن رؤية الجماهير ، اجبرن على السير في الشوارع العامة ، وتعرضن لأبشع ضروب الاذى والاهانة ، اما الكنوز الفنية والادبية التي جمعها الخلفاء المتعاقبون بكثير من المشقة والعناء ، مع بقايا المدنية الفارسية ، فقد دمرت تدميرا في خلال بضع ساعات ، وغرقت شوارع المدينة طوال ثلاثة ايام بالدماء ، واصطبغت مياه دجلة بالحمرة عدة اميال .

واستمرت اعمال التخريب والتقتيل ستة اسابيع ، فدمرت القصور والمساجد والضرائح اما بالنار او بالمعاول بغية الحصول على قبابها الذهبية ، واعمل السيف في رقاب المرضى في المستشفيات والطلاب والاساتذة في الكليات . وفي الضرائح نبشت قبور الاولياء والائمة الصالحين ، وفي المجامع العلمية التهمت النيران تآليف كبار العلماء ، والقيت الكتب طعمة للنيران او مياه دجلة ، وهكذا فقدت الانسانية تلك الكنوز التي تجمعت خلال خمسة قرون ، وفنيت زهرة الامة فناء تاما .

وبعد ان دامت تلك العاصفة اربعة ايام ، امر هولاكو بضرب المستعصم (الخليفة) واولاده وكبار افراد اسرته ، فضربوا حتى فارقوا الحياة ، ولم ينج من الهلاك سوى عدد ضئيل من افراد بني العباس المغمورين ، وتدمرت الى الابد مدينة بغداد ، موطن العلم ، ومركز الثقافة ، وحاضرة العالم الاسلامي . كان عدد سكانها قبل تلك المأساة مليوني نسمة ، ويقول ابن خلدون : ان مليونا وستمائة الف شخص هلكوا في المذبحة التي دامت ستة اسابيع) . (4)

ذلك هو الدور الذي قام به المغول في الشرق ، فهل قام الموحدون بشيء من هذا القبيل ؟ هل قتلوا ، او احرقوا ، او اغرقوا او دمروا ، او خربوا مثلما فعل اولئك ؟ كلا وايم الله . بل كيف يتصور الانسان ان تقوم دولة الموحدين على دعوة دينية فلسفية، وتعمل في نفس الوقت على تقويض دعائم الحضارة العربية ؟ ام كيف يصح في الذهن السليم ان نضع الموحدين في صف المغول الوثنيين ، ونجمعهم معا في صعيد واحد ؟ ام كيف يجوز لمواطن عربي ان يقذف بهذه التهمة الشنيعة ، ويصم بها جبين هذا الشعب المغربي النبيل ؟ .

4) سيد امير علي : مختصر تاريخ العرب (ترجمة عفيف البعلبكي) ص 346 ــ 347 .

ان هذه الدعوى الباطلة التي اتى بها كاتب المقال ، لهي في حاجة ماسة الى دليل واحد يسندها ، بل جميع الشواهد والقرائن والملابسات تشجب هذا التجني ، وتدين ذلك الرأي القائل ، وتبين — في جلاء — ان عصر الموحدين كان عصرا ذهبيا بشهادة العرب والعجم على حد سواء ، عصرا ذهبيا في جميع الميادين : السياسية ، والاقتصادية ، والاجتماعية ، والادبية ، والعلمية ، والفلسفية ، والطبية وما الى ذلك .

يقول اديب اسبانيا « المعاصر غنثالث بالنثيا » (5) : (. . . ولم يلبث الموحدون ان احتلوا ما بقي في ايدي المسلمين من الاندلس ، ولم يتوقف تقدم الآداب في اثناء ذلك كله ، بل بلغ من كثرة الشعراء الذين هنأوا ابا يوسف يعقوب المنصور بقصائد من الشعر الفصيح او الزجل الدارج ان امر بالا ينشدوه الا البيتين الاولين من قصائدهم) .

ويقول محمد بن الجلاب الفهري مؤلف كتاب روح الشعر : (ان امير المؤمنين يعقوب المنصور ، لما قفل من غزوة الاراكة المشهورة (وكانت يوم الاربعاء 9 شعبان 591 هـ 1194 م) ورد عليه الشعراء من كل قطر يهنئونه ، فلم يتمكن لكثرتهم ان ينشد كل انسان قصيدة ، بل كل يختص منها بانشاد البيتين والثلاثة المختارة ، فدخل احد الشعراء فانشده :

ما انت في امراء الناس كلهم
الا كصاحب هذا الدين في الرسل
احييت بالسيف دين الهاشمي كما
احياه جدك عبد المومن بن علي

فامر له بالفي دينار ، ولم يصل احدا غيره لكثرة الشعراء ، واخذ بالمثل : منع الجميع ارضى الجميع . قال : وانتهت رقاع القصائد وغيرها الى ان حالت بينه وبين من كان امامه لكثرتها) . (6) .

فأين يمكن ان يحصل هذا الان ، على كثرة الادباء والشعراء ، وتوافر وسائل التثقيف لهم ؟ ان هؤلاء الشعراء كانوا حينئذ بمثابة الصحفيين في الوقت الحاضر ، مع فارق بسيط ، هو ان هؤلاء يكتبون النثر السهل الميسر ، واولئك كانوا يقرضون الشعر وهو ذلكم الفن الصعب الممتنع الذي مرت بالشاعر العربي الفحل (الفرزدق) فترات كان فيها خلع ضرسه اهون عليه من قرض بيت واحد منه .

افيجوز بعد هذا ان يقول قائل بان الموحدين كانوا برابرة متوحشين ، قضوا على الثقافة ، وخربوا معالم الحضارة ؟ ان هذا لا يجوز مطلقا ، وان قائله لمخطىء ومتجن معا ، فالموحدون لم يدمروا ولم يخربوا كما فعل المغول في الشرق ، فلا يصح بتاتا ان نقارن بين الفريقين . استمعوا الى عالم اسباني آخر اذ يقول :

(وبينما الشرق — يعيد القول — كان يهلك نتيجة اعاصير من الوحشية ، فان عرب اسبانيا كانوا يصونون الثروة الروحية لأسلافهم ، ويقدمونها للعالم كله دون تمييز بين الاجناس والعقائد (7) . ويقول كذلك مقارنا بين حوضي البحر الابيض المتوسط :

(وعندما توقفت الحركة العلمية في طرف من حوض البحر الابيض المتوسط ، نتجت في الطرف المقابل ، كتعويض عن ذلك ، حركة انبعاث اشد تألقا ، وانبعثت المدارس والعلماء الذين اضفوا — في كتلة متناسقة ومتوازنة — على القرن الثاني عشر مثل هذا الامتياز ، الذي يمكن معه ان يعتبر بحق اعظم قرن في تاريخ العلوم الاسلامية باسبانيا . (7).

هذه شواهد ادلى بها علماء وادباء اسبان وعرب ، وكلها تدحض فكرة هذا الكاتب ومن لف لفه من المتعنتين او الأغرار الذين تخدعهم كتابات بعض المغرضين ، فيرمون اخوانهم بما ليس فيهم ، ويخربون بيوتهم بأيديهم .

ولا يتوهمن احد ان هذه الشواهد التي اوردتها ، انما هي من باب (وشهد شاهد من اهلها) ذلك انه في الامكان الاستشهاد بغير اولئك من العلماء العرب او العجم ، والاتيان بحجج دامغة تثبت صحة ما ارمي اليه ، وليكن الدليل التالي في فرع من فروع الفلسفة . ومعلوم ان الفلسفة في هذا العصر الذي نحن بصدده كانت واسعة المدلول تشمل معارف عديدة ، كما ان كثيرا من الفلاسفة كانوا مشاركين ، اي انهم كانوا — الى جانب فلسفتهم — يمارسون الطب والادب والفقه والموسيقى احيانا .

يقول مؤرخ الفلسفة ت. ج. دي بور : (اتى الموحدون بابتداع كبير في علم الكلام ، فادخلوا مذهب الاشعري ، ومذهب الغزالي في المغرب ، بعد ان كانا حتى ذلك الحين ، موسومين بالزندقة وكان هذا مؤذنا بدخول النزعة العقلية في مذاهب المتكلمين ، وهو امر لم ينل تمام الرضى من جانب المتمسكين بالعقيدة الاولى ، ولا من جانب المفكرين الاحرار . ولكنه استطاع ان يحفز الكثيرين الى التفلسف . وكان كل نظر عقلي في امور الدين حتى ذلك الحين امرا ممقوتا . على ان كثيرين من الساسة

---

5) في كتابه : تاريخ الفكر الاندلسي (ترجمة حسين مؤنس) ص 23 .
6) المصدر السابق — ص 126 — 127 .
7) انظر 74 .

والفلاسفة ذهبوا فيما بعد الى ان عقيدة العامة ينبغي الا تزعزع والا ترفع الى مستوى المعرفة العقلية ، بل ارادوا ان يفصل مجال الدين عن مجال الفلسفة فصلا تاما .

(وكان للموحدين عناية بالمذاهب الكلامية ، ولكن ابا يعقوب وخلفه ابدوا ــ بقدر ما كانت تسمح الظروف السياسية ــ عناية بالعلوم العقلية ، حتى اتيح للفلسفة ان تزدهر في قصورهم) (8) .

فما رأي القارىء فيمن كانت هذه صفتهم ؟ افكان من الممكن ان يتقلبوا بين عشية وضحاها ، فيقلبوا ظهر المجن لهذه العلوم والفنون والآداب ، ويقبروها لغير ما سبب ظاهر ، بعد ان شجعوها ؟ ان هذا لا يجوز في العقل ولا في الشرع ولا في العادة . بل كيف يجوز في عقل الباحث المدقق ان يعمل الموحدون يد التخريب والتدمير في التراث الحضاري العربي وغير العربي ، ونحن نرى طليعتهم والمؤسس الحقيقي لدولتهم ابا محمد عبد المومن بن علي ، يعطف على الحركات العلمية والادبية ، ويتزعمها ، فيشجع الشعراء ؟

يذكر التاريخ الادبي انه حينما عبر عبد المومن الى الاندلس لاول مرة ، ونزل بجبل طارق الذي سماه هو (جبل الفتح) تقاطر عليه الشعراء من كل حدب وصوب ، وانشده شعراء عديدون ، منهم شاعر فاس ابو عبد الله محمد بن حبوس، الذي انشده قصيدة جاء فيها :

بلـــغ الزمـــان بهديكـم ما املا
وتعلمـــت ايامـــه ان تعـــدلا
وبحبـــه ان كـــان شيئـا قابـــلا
وجـــد الهدايـــة صـــورة فتشكـــلا

وانشده احدهم قصيدة افتتحها بقوله : ما للعدا جنة اوقى من الهـــرب .

فصاح عبد المومن بصوت مرتفع وهو الاديـب الحصيف الرأي المتذوق للشعر : الى اين ؟ الى اين ؟ اي الى اين المفر .
فأجاب الشاعر مسترسلا : اين المفر وخيل الله في الطلب

واين يذهـــب من في رأس شاهقـــة
وقـــد رمتـــه سمـاء اللـــه بالشهـــب ؟
حـــدث عن الـــروم في اقطـــار اندلـــس
والبحـــر قـــد مـــلأ البرين بالعـــرب

الى آخر القصيدة الرائعة التي اعجب بها عبد المومن ايما اعجاب ، وقال : بمثل هذا تمدح الخلفاء .

ويعقب الاديب المغربي المعاصر للموحدين (عبد الواحد المراكشي) قائلا : انه تسمى منذ ذلك اليوم باسم الخليفة . فاذا كان ذلك صحيحا ــ وهو صحيح لا محالة ــ افلا يكون لربة الشعر بهذا المهرجان الادبي فضل في التسمية وايحاء بها ؟

ومما يدل على الذوق الادبي الرفيع ، وروح النقد النزيه، اللذين كان يتمتع بهما هذا الخليفة الحكاية التالية : انشده في ذلك اليوم رجل من اشبيلية يعرف بابن سيد وقال :

غمض عن الشمس واستقصر مدى زحـــل
وانظر الى الجبل الراسي على جبـــل
انـــى استقـــر بـــه انـــى استقـــل بـــه
انـــى رأى شخصـــه العالـــي فلـــم يـــزل

فقال له عبد المومن: لقد اثقلتنا يارجل ، وامر به فأجلس ويقول الرواة : ان هذه القصيدة كانت من خير ما مدح به عبد المومن في ذلك اليوم ، بيد ان صاحبها تكلف فيها اوجه البديع بحثا عن براعة استهلال ولكنه لم يوفـق في البحث ، فأثقل المجلس ، وكدر صفو هذا الجو الادبي اللطيف .

وانشده في ذلك اليوم الوزير الكاتب ابو عبد الله محمد ابن غالب البلنسي المعروف بالرصافي ، (وكانت سنه حينئذ قرابة عشرين عاما فقط) قصيدة طويلة (9) استهلها بقوله :

لو جئت نار الهدى من جانـب الطـــور
قبسـت ما شئـت من علـم ومن نـــور
من كـــل زهراء لم ترفـع ذؤابتهـــا
ليلا لسار ، ولـــم تشـــب لمقـــرور
فيضيـــة القدح من نـــور النبـــوة او
نـــور الهدايـــة تجلـــو ظلمـــة الـــزور

الى آخر ما ورد في القصيدة من ابيات عامرة .

ويطول بنا الوقت لو اردنا تتبع ما قيل في عبد المومن وخلفائه من الشعر ، وما قاله عبد المومن نفسه وقد كان شاعرا . كل هذا يدل على ان خلفاء الموحدين كانوا يتذوقـون الادب والعلم ويشجعون الشعراء ، واهل الفن ، ومن كانت تلك سجيتهم فمحال ان يكونوا معاول هدم وتخريب لعالم الحضارة . ومحال كذلك ان يكونوا من اولئك الغاضبين الذين يفتكون بالعلماء وارباب المعرفة ويقتلونهم بلا رحمة .

ــ يتبـــع ــ

تطـوان : عبـد الله العمراني

8) ارجع الى كتابه القيم : تاريخ الفلسفة في الاسلام (ترجمة ابو ريدة ونشر مكتب التبادل الثقافي في مصر ص ــ 248 .
9) راجعها في كتاب : (المعجب في تلخيص اخبار المغرب) ص 129 ــ 132 لمؤلفه عبد الواحد المراكشي .

المقري الجد

للأستاذ عبد القادر زمامة

اذا كان ابو العباس المقري صاحب نفح الطيب المتوفى بالقاهرة سنة 1041 هـ قد اخذ مكانته في عالم الشهرة عند الباحثين ولا سيما منهم عشاق الادب المغربي والاندلسي ‥ فان جده الامام ابا عبد الله قاضي فاس ، ونابغة تلمسان ودفينها ، قد وقفت به شهرته في حدود المعاجم والفهارس الخاصة . ولم ينل في عصرنا هذا حظه من الدراسة والبحث ـ فيما نعلم ـ ولعل ذلك يرجع الى ان مؤلفاته ظلت قليلة التداول بين الناس منذ اجيال ، رغم اهميتها العلمية . ورغم ان مؤلفها كان في عصر ما فارس ميدان العلوم الاسلامية المعقول منها والمنقول . وصاحب فكر موسوعي لا يعرف في الثقافة اختصاصات ولا حدودا ... وصاحب عارضة قوية وتضلع من معارف عصره قدرهما تلامذته : ابن الخطيب ، وابن خلدون (1) والامام الشاطبي ، وابن عباد الرندي . وغيرهم من الاعلام في المغرب والمشرق والاندلس .

عاش ابو عبد الله المقري في عصر بلغت فيه الثقافة الاسلامية اوج نشاطها وذروة عزها في بلاد المغرب العربي والاندلس وظهرت عبقريات في ميادين المعرفة المختلفة ... رغم الصورة الشوهاء التي رسمها ابن خلدون في المقدمة لانقطاع سند العلم ـ في عصره ـ في كل من المغرب الاقصى والاندلس ‥

اذ ان الباحث المطلع على النشاط العلمي والادبي وقائمة الهيئة العلمية واخبارها ورحلاتها ومؤلفاتها ومدارسها ، لا يسعه استنادا على ذلك ، الا ان يعتبر رأي ابن خلدون ـ في الباب ـ بمعزل عن الحقيقة التاريخية ، او على الاقل مجرد وجهة نظر ...

ورأى المقري نور الحياة في مدينة تلمسان في تاريخ لم يحدده هو ولا من تولوا ترجمة حياته ‥ ! وقد سئل عن تاريخ ميلاده فأجاب برواية خبر مسلسل معنعن بالاشياخ الى الامام مالك ‥ وقد سأله الامام الشافعي عن سنه ‥ فأجابه : اقبل على شانك ... ليس من المروءة للرجل ان يخبر بسنه (2) ‥! على ان المقري يذكر في نفس الجواب : انه ولد على عهد السلطان : ابي حمو موسى بن عثمان بن يغمراسن الذي حكم تلمسان بعد فك الحصار المريني الطويل عنها ... وقد كان حكم ابي حمو هذا ما بين سنة 707 هـ و سنة 718 هـ (3) .

وقد وجد المقري نفسه يعيش في مدينة توالت عليها الفتن واهوال الحرب والحصار ، واسرة لها ماض في التجارة والثروة والجاه ، غير ان اهلها تنكر لهم الزمن وتبدلت بهم الاحوال الامر الذي جعل المقري يقول : « فلم تزل حالهم في نقصان الى هذا الزمان ‥ فهانذا لم ادرك من ذلك الا اثر نعمة ، اتخذنا فضوله عيشا ، وأصوله حرمة .

ومن جملة ذلك خزانة كتب كبيرة واسباب كثيرة تعين على الطلب فتفرغت بحول الله عز وجل للقراءة » (4) ويزيد قائلا عن نشاط في الدراسة والتحصيل ‥ « فاستوعبت اهل البلد لقاء واخذت عن بعضهم عرضا والقاء . سواء المقيم القاطن والوارد والظاعن » واخذ المقري في بواكر شبابه عن العالمين الشهيرين ابي زيد وابي موسى المعروفين في كتب الطبقات والتاريخ بابني الامام . وكانت لهما شهرة عظيمة بالعلم والاطلاع في المغرب والمشرق لا سيما بعد رحلتهما الى الشرق

---

1) يتحفظ ابن خلدون في شأن تلمذته لأبي عبد الله المقري . فرغم انه يذكره في قائمة الشيوخ الذين اخذ عنهم فانه يعبر عنه بقوله : « صاحبنا » تارة . وبقوله : « قاضي الجماعة بفاس ، وكبير علماء المغرب » انظر ذلك في كتاب « التعريف » ص 59 و ص 247 من طبعة لجنة التأليف سنة 1951 م .

2) الاحاطة ج 2 ص 164 الطبعة الاولى .

3) روضة النسرين ص 51 طبعة الرباط .

4) الاحاطة ج 2 ص 138 .

واتصالهما يعدد من اعلام ذلك العصر ، ومناظرتهما الشهيرة للامام الكبير تقي الدين ابن تيمية ، تلك المناظرة التي كان لها شان عظيم في المحافل العلمية اذ ذاك حتى قال بعض المؤرخين ان ابني الامام ظهرا فيها على ابن تيمية (5) .. !

ويحدثنا المقري انه حضر مجلسين علميين من المجالس التي كان يقيمها السلطان : ابو تاشفين عبد الرحمن بن ابي حمو في تلمسان (718 هـ ــ 737 هـ) الى جانب شيخيه الاخوين ابي زيد وابي موسى ابني الامام . وشيخه ابي موسى عمران المشذالي ، وشارك بآرائه في المناظرة العلمية التي دارت في حضرة السلطان بين العلماء .. ! وعقب على ذلك بانه كان اذ ذاك حديث السن (6) .. ! ونحن نعلم هذه الحداثة من القرائن التاريخية ... اذ انه كان في الغالب ما يزال في اوائل العقد الثالث من عمره ..

وتتميما للعلاقة بين المقري وشيخيه ابني الامام نذكر انه انقبض عنهما وحاول الابتعاد عن الانتساب اليهما عند ما رحل الى الشرق ودخل مدينة بيت المقدس ، ولكنه فوجيء بما للرجلين من سمعة وشهرة هنالك بين العلماء فاضطر الى العدول عن رأيه ، وقبول نصيحة المغربي الذي عرفه سوء مغبة الابتعاد عن الانتساب الى شيخيه اللذين ادركا شهرة لا يؤثر فيها انقباضه او ابتعاده .. ! منشدا شطر البيت الشهير : « وليس لما تبني يد الدهر هادم (7) » .

وقائمة شيوخ المقري في تلمسان طويلة الذيل ، ذكرها ابن مريم في « البستان (8) » وابن فرحون في « الديباج » وابن الخطيب في « الاحاطة (9) » وابن خلدون في « التعريف (10) » ، مع ما ذكره صاحب نفح الطيب (11) ... خلال ترجمته لجده ...

ونلاحظ ان صاحب البستان يجعل ضمن هذه القائمة اثنين من المرازقة ، وهما الاخوان : ابو عبد الله محمد وابو العباس احمد ابنا ولي الله محمد بن محمد ابن مرزوق العجيسي ، وليس احدهما بمن يعرف عند المؤرخين بابن مرزوق الجد ، ولا بابن مرزوق الحفيد ، بل ان ابا العباس المذكور هو والد ابن مرزوق الجد ... اما اخوه ابو عبد الله ، فهو عم لابن مرزوق الذي يعرف بالجد .. وهذه الملاحظة سوف نشير الى اهميتها فيما يأتي :

اما ما درسه المقري على هؤلاء الاعلام فهو ما كان معروفا في ذلك العصر من علم يرجع الى العلوم الشرعية : الاصول والفقه والتفسير والحديث ، مع ابحاث علم التوحيد التي تتجاذبها العقليات والسمعيات ... او علم يرجع الى العلوم العقلية : المنطق والجدل وفلسفة الملل والنحل ... او علم يرجع الى اللغويات والادبيات : من نحو وصرف وبيان وعروض ولغة ...

وكان لثقافة العصر طابع الربط بين مناهج العلوم العقلية والشرعية والادبية من جهة وبين الاشواق الروحية والاذواق الصوفية من اخرى حتى ان الباحث في محصول الفكر الاسلامي في هذا العصر ليخيل اليه ان الفكر الصوفي غزا النحاة والشعراء والفقهاء والقضاة والمؤلفين على اختلاف مشاربهم .. !

ففي الاندلس واقطار المغرب العربي رغم ان الصولة والدولة والنفوذ كانت الى جانب المالكية في الفقه والتشريع .. والاشاعرة في التوحيد والعقائد ... فان هؤلاء واولئك لم يكونوا بمعزل عن الذوق الصوفي والمساهمة في الادب الروحي ... بل اننا نجد منهم من اذا قرأنا شعره او نثره من دون ان نعرف ترجمته الشخصية ووظيفته الاجتماعية ظنناه صوفيا متجردا نفض يده من الدنيا وما فيها ومن فيها .. !

وصاحبنا ابو عبد الله المقري ابن عصره يتسم بهذه السمة ويحمل هذا الطابع فهو الى جانب علمه الغزير وثقافته الواسعة في المعقول والمنقول يأبى الا ان يذوق من خمرة الحلاج ، والجنيد ، ورابعة ، والسري السقطي وابن الفارض ، وابن عطاء الله ...

واذا قرأنا قصيدته التائية البديعة (12) التي عارض بها تائية ابن الفارض خيل الينا انهما يشربان من معين متحد الخصائص والصفات ويحلقان في جو متشابه المبادىء والغايات.

---

5) نفح الطيب ج 3 ص 116 .

6) نفس المصدر السابق ص 117 .

7) نفس المصدر السابق .

8) البستان في الاولياء والعلماء بتلمسان ص 156 طبعة الجزائر سنة 1901 م .

9) الاحاطة ج 2 ص 143 .

10) ص 60

11) ج 3 ص 116 وما بعدها .

12) اقرأها في نفح الطيب ج 3 ص 168 ، وفي الاحاطة ج 2 ص 146 .

واذا قرأنا رسالة الحقائق والرقائق تحيل الينا ان صاحبنا صنو ابن عطاء الله صاحب « الحكم » الشهيرة ...

وينقل صاحب نفح الطيب اخبارا عديدة عن شيوخ جده ابي عبد الله وكلها تصور لنا فيهم طابع العصر في التذوق الصوفي والرياضة الروحية واحتقار الحياة المادية احتقار ايمان وزهد ويقين ... ومن اجل ذلك لا نتعجب اذا رأينا المقري يتحدث عن رقعة التصوف التي البسه اياها احد اشياخه وهو محمد ابن محمد ابن مرزوق (13) العجيسي ... وسندها الى الرسول عليه السلام .

هذه ثقافة المقري وهذه عناصرها الاساسية وهذا هو الجو الفكري الذي عاش فيه في فترة من الزمن كانت فيها تلمسان تعيش في نوع من الاستقرار السياسي بين حصار ابي يعقوب المريني الذي دام اكثر من ثماني سنوات ، ولم ينته الا بعد اغتياله سنة 706 ، وبين دخول السلطان ابي الحسن سنة 737 هـ .. فهذه المدة التي تبلغ ثلاثين سنة فيها ولد المقري وفيها تعلم وفيها اصبح شابا مستقيم الخلق مهذب النفس واسع المعرفة والشهرة ...

ورحل عن مسقط الرأس بعد دخول الجيش المريني وسقوط دولة بني عبد الواد ، وحط رحاله اولا بمدينة بجاية وكانت في ذلك العصر مدينة علم وادب وحضارة فاتصل باعلامها واخذ عنهم ... ثم حط رحاله ثانيا بمدينة تونس وهي في ذلك الظرف عاصمة الحفصيين ، ومساجدها ومعاهدها مثابة العلماء والنبهاء في ضروب العلوم والفنون ، فاخذ عن كثير من اعلامها وناقش وناظر وأفاد واستفاد .

ولعل هذه الرحلة القصيرة كان يقصد منها المقري الابتعاد عن الاحداث التي قلبت الاوضاع في تلمسان ، فقتل السلطان ابو تاشفين عبد الرحمن ... كما قتل الشيخ ابو عبد الله السلاوي شيخ المقري وعمدته لجريمة سياسية قديمة كان ابو الحسن يعتدها عليه وينتظر الفرصة للانتقام منه (14) بسببها ...

ورجع المقري الى تلمسان ليحظى بمجالس شيخ العلوم العقلية ابي عبد الله محمد بن ابراهيم الآبلي الذي وافق ركاب السلطان ابي الحسن الى تلمسان ... وكان الآبلي هذا من رجال الفكر الذين اخذ عنهم ابن خلدون وتحدث عنهم باعجاب كبير ...

ومن تلمسان رحل المقري الى المغرب الاقصى ، فزار مدينة فاس واتصل باعلامها واخذ عنهم وجال في المغرب من الشمال الى الجنوب ... من سبتة الى اغمات ، وقال : « فاستوعبت بلاد المغرب ، ولقيت بكل بلد من لا بد من لقائه ، من علمائه وصلحائه ، ثم قفلت الى تلمسان فاقمت بها ما شاء الله تعالى » (15) .

وهكذا سلم ابو عبد الله المقري من الرواجف والروادف السياسية التي اصيب بها غيره وظهر امام الملا بمظهر العالم الذي يعمل بعيدا عن دنيا المطامع والمطامح ، باحثا عن علم يستفيده ، او كتاب يقتنيه ، او شيخ ياخذ عنه ...

وبعد رجوعه من رحلته الى المغرب ومكثه بتلمسان « ما شاء الله تعالى » على حد قوله السالف رحل الى المشرق مارا في طريقه الى مكة بمصر حيث لقي عددا من اعلامها ... وفي مقدمتهم اثير الدين ابن حيان الغرناطي النحوي الشهير صاحب التفسير المعروف بالبحر ...

وحج سنة 744 هـ ، وكان وقوفه بعرفة يوم الجمعة (16) ولقي بالحرمين عددا من العلماء فأخذ عنهم واستفاد منهم وتحدث عنهم باعجاب وفخر ... وعرج على مدينة دمشق فاتصل بالامام شمس الدين ابن قيم الجوزية العالم السلفي الشهير وأخذ عنه .. كما مر على القدس واتصل بشيوخه واخذ عنهم ...

وكانت هذه الرحلة تعريفا بقيمته العلمية لدى اعلام الشرق ، وربطا لأسانيد اهل المغرب والاندلس بأسانيد علماء الشام ومصر والحجاز ... فتجد في فهارس اهل المغرب والاندلس الذين اخذوا عنه او اخذوا عمن اخذ عنه يجعلونه واسطة في رواياتهم واجازاتهم واسانيدهم العلمية الى شمس الدين بن قيم الجوزية مفخرة دمشق واثير الدين ابن حيان امام النحو ، وغيرهما ممن اخذ عنهم المقري في رحلته هذه ... كما ان كتب الطبقات التي الفت في الشرق في القرن الثامن وما بعده لم تهمل ترجمته والتعريف بمكانته العلمية ...

ولو وصلتنا فهرسة شيوخه كاملة وهي التي سماها : « نظم اللآلي (17) في سلوك (الامالي) » لعرفنا الشيء الكثير عن شيوخه المشارقة وما اخذه عنهم وارتساماته وملاحظاته ومشاهداته في رحلته الى الشرق ... وقد اطلع على هذه الفهرسة حفيده ابو العباس المقري وروى لنا شيئا منها في نفح الطيب .

---

(13) نفح الطيب ج 3 ص 128 .

(14) انظر « التعريف » لابن خلدون ص 60 .

(15) نفح الطيب ج 3 ص 133 .

(16) نفح الطيب ج 3 ص 145 .

(17) فهرس الفهارس ج 2 ص 92 ، ويلاحظ ان المقري في النفح يسميها مشيخة وان صاحب فهرس الفهارس يسميها رحلة انظر ج 1 ص 201 .

وقد استغرقت هذه الرحلة ما يقرب من ثلاث سنوات رجع بعدها الى مسقط رأسه ليجد وضعا سياسيا جديدا نشأ عن الاحداث الكبرى التي تعرض لها السلطان ابو الحسن المريني في تونس ، والنكبات التي تعرض لها جيشه واسطوله ... الامر الذي جعل ولده اباعنان يقوم بالدعوة لنفسه ليتبوأ عرش ابيه المنكوب اثر الاخبار المتضاربة التي وصلته عن مصير الجيش البري والاسطول وثورة الاعراب بزعامة بعض احفاد الملوك الموحديين ...

ورغم هذا الوضع فان المقري عزم اول الامر على ان يتمسك بخطته في الانقطاع الى العلم والمعرفة وسار في هذا السبيل خطوات لولا ان الاحداث اخذ بعضها برقاب بعض فدخل ابو عنان تلمسان ، وانتهت مأساة ابي الحسن ... ووقع اختيار ابي عنان على المقري ليكتب بيعته ويرافق ركابه الى مدينة فاس ليتولى قضاء الجماعة بها وذلك سنة 749 هـ (18) .

وفي مدينة فاس اصبح المقري عمدة في القضاء والتدريس ونال الشهرة والجاه والقبول وازدحمت على ابوابه وفود الطلبة وطوائف اهل العاصمة المرينية على اختلاف مشاربهم واهوائهم لافادة علم او نيل حظوة او الفوز بوساطة ... وقد اشتهر عن المقري انه كان صارما في احكامه عدلا ضابطا (19) ... كما اشتهر عنه في تدريسه انه كان متبحرا واسع الافق ، قوي العارضة ، فصيح اللهجة ...

وكانت ايام ابي عنان في فاس اياما شهيرة في التاريخ المغربي لا حاجة بنا الى تكرار القول فيها وقد حفلت كتب التاريخ والتراجم باعلامها من امثال ابن خلدون وبني رضوان، وبني الحضرمي ... وبنى القشتالي وبني ابى مدين وابن الاحمر .. وغيرهم .. وكانت هناك اتصالات بين المقري وبين هؤلاء الاعلام ، كما ان المقري اتصل بمن كان يفد على السلطان ابى عنان من سفراء وزائرين من الاندلس والمشرق .

وقد بنى ابو عنان المدرسة العظمى الحاملة لاسمه في فاس وكان مدرسها الاول ابا عبد الله المقري ، كما ان مجالس العلم والمناظرة التي كانت تقام في حضرة ابى عنان كان يتصدرها المقري ، ويملي فيها دروسه ومحاضراته .

واشتهر عند المؤرخين موقفان للمقري في مجالس ابي عنــــان :

الاول : امتناع المقري من الوقوف اجلالا لنقيب الشرفاء وقد كانت العادة ان يقف له السلطان فمن دونه .

الثاني : تقريره لحديث « الايمة في قريش وغيرهم متغلــب (20) ...

وظل المقري اثيرا عند ابى عنان الى ان سخطه لبعض النزعات الملوكية على حد تعبير ابن خلدون (21) واخره عن القضاء سنة 756 هـ وكان ابن خلدون شاهد عيان لهذا السخط وهذا التأخيــر ..

واستعمل المقري بعد ذلك في السفارة الى الاندلس ودخل غرناطة سنة 757 هـ ، وهناك اتصل به ابن الخطيب (22) اتصالا وثيقا واخذ عنه كما اخذ عن عدد كبير من اهل غرناطة ، وفيهم ابو اسحاق الشاطبي وطبقته ...

وحينمــا ادى واجبه في السفارة عزم على الاستيطان بالاندلس والانقطاع عن العمل السياسي الى جانب ابى عنان .. الامر الذي هاج ثائرة ابى عنان فارسل الى ابن الاحمر رسالة في الموضوع طالبا رد سفيره .. ؛ وبعد مراسلات (23) بين بلاط غرناطة وفاس من انشاء وزير الدولة لسان ابن الخطيب في شأن تأمين المقري واخذ الضمانة على اعفائه من كل مؤاخذة ... رجع المقري صحبة قاضي غرناطة ابى القاسم الشريف والشيخ ابي البركات ابن الحاج البلفيقي ... الى فاس وشاهد ابن خلدون هذا الرجوع وأرخه .. وقال : « واستقر القاضي المقري في مكانه بباب السلطان عطلا من الولاية والجراية ... وجرت عليه بعد ذلك محنة من السلطان بسبب خصومة وقعت بينه وبين اقاربه امتنع من الحضور معهم عند القاضي القشتالي ، فتقدم السلطان الى بعض اكابر الوزعة ببابه بأن يسحبه الى مجلس القاضي حتى انفذ فيه الحكم ، فكان الناس يعدونها محنة (24) »

ثم ولي قضاء عسكر ابى عنان في رحلته الى قسنطينة ورجع الى فاس آخر سنة 758 مريضا ، وبها اسلم روحه سنة 759 هـ ودفن بها لمدة سنة، ثم حمل الى مسقط رأسه تلمسان ، واقبر بها رحمــــه اللــــه .

---

18) الاحاطة والنفح ج 3 ص 145 ، و « التعريف » ص 60 .

19) حضر ابن الخطيب بعض مجالس حكمه : الاحاطة ج 2 ص 139 .

20) انظر ذلك في نفح الطيب في ترجمة المقري من الجزء الثالــــث .

21) « التعريف » ص 60 .

22) الاحاطة ج 2 ص 139 .

23) انظر نصهـــا في نفـح الطيـب .

24) « التعريف » ص 61 .

اما مؤلفاته فهي : كتاب القواعد الشهير في الفقه ، وكتاب الطرف والتحف ، وكتاب عمل من طب لمن حب ، وكتاب المحاضرات ، ونظم اللآلي في اسلاك الامالي ، وكتاب الحقائق والرقائق ...

ولعل في احياء بعض آثار هذا الامام ما يؤدي بعض الواجب نحو رجل كان من ضمن تلامذته الامام الشاطبي مؤلف الموافقات والاعتصام ... وابن الخطيب الوزير الشهير .. وابن خلدون استاذ علم الاجتماع ... وابن عباد امام اهل التصوف

وألف في ترجمة حياته الامام ابن مرزوق الحفيد كتابا سماه « النور البدري (25) في التعريف بالفقيه المقري » وكذلك الونشريشي كما في النفح .

فاس — عبد القادر زمامة

25) نفح الطيب ج 3 ص 110 وما في فهرس الفهارس ج 2 ص 92 من ان التأليف المذكور لابن مرزوق « الجد » مجرد سبق قلم ، وانظر مناقشة هذه النسبة وكلام صاحب النفح في ضبط كلمة « المقري » بالتشديد او التخفيف ، والخلاف ، في ذلك شهير .

أساتذة الهندسة في المغرب السعدي ومؤلفوها

للأستاذ : محمد المنوني

شهد المغرب في العصر السعدي انبعاثا علميا وصناعيا جديدا ، وظهر هذا — بصفة خاصة — في عدد من العلوم الرياضية وفي الهيئة والطب ، كما ظهر في صناعات عسكرية واقتصادية وغيرها (1) ، وكان للمنصور احمد السعدي فضل تشجيع هذا الانبعاث ، وفي هذا الصدد يسجل ابن القاضي (2) انه ظهر في ايام هذا السلطان علوم وصناعات مهمة لم تكن قبل في المغرب ، ويذكر من بين ذلك الحساب والهندسة والمساحات .

وقد غذى هذا الانبعاث — ايضا — ما تجدد في هذا العصر — بين المغرب والشرق — من صلات افادت اليقظة الجديدة افادة ملموسة ، وفي خصوص الهندسة التي يلتزمها هذا المقال، يذكر مهندس مغربي ان من مصادر ثقافته ما تلقاه من استاذه ميقاتي القاهرة محمد ابن محمد الميقاتي الشهير بالطحان «3» .

يضاف لهذا وذاك ، الرصيد العلمي والصناعي الذي تبقى من عصور المغرب المزدهرة ثم ءال لهذا العهد حيث انبعث من جديد مطبوعا بطابع هذا العصر .

ونذكر هنا ان هذه الحركة الجديدة تناولت علم الهندسة نفسه ، كما تناولت بعض فروعه من مساحة ومناظر ، وهكذا عادت هذه المواد للظهور في برامج التثقيف المغربي، في ميداني التدريس والتاليف وهذا يتبين من الاسماء والمؤلفات التالية :

1» محمد بن محمد بن احمد ابن ابي العافية الشهير بابن القاضي الفاسي المتوفى عام 981هـ 1573—1574م . اخذ عنه ولده احمد صاحب الجذوة وغيرها اوائل الاصول لاوقليدس«4» : بعض المقالة الاولى منه (5) .

2» ابو العباس احمد بن التقليتي ، كان بقيد الحياة عام 999 هـ 1590 — 1591 م ، ووردت ترجمته في « درة الحجال » (6) هكذا : «عارف بالحساب والتعديل والمساحات وبعض مبادىء الهندسة ، وهو شيخ جماعة هذه الفنون بمراكش » .

3» عبد الرحمن بن عبد العزيز بن عبد الرحمن الدكالي الشتراني ثم الفاسي المعروف قبله بابن ابراهيم ، بقي بقيد الحياة الى اواخر عام 1011 هـ 1603م .

---

1) توجد التفاصيل في هذا المقال والمقالات التالية .
2) « المنتقى المقصور ، على مآثر الخليفة ابي العباس احمد المنصور » لابي العباس احمد ابن القاضي — الباب 14 .
3) انظر الحديث عن رسالة « فتح المبديء ... » اثناء هذا المقال .
4) يسمى — ايضا — كتاب اوقليدس و « كتاب الاركان » انظر التعريف به في (مقدمة) ابن خلدون طبع المطبعة البهية المصرية ص 424
5) هذا ذكره في « درة الحجال » رقم 648 وتوجد ترجمة محمد ابن القاضي ومراجعها في « السلوة » ج 3 ص 58 / 59 .
6) رقم 215 .

كانت له مشاركة فى الهندسة والتنجيم وغيرهما (7) ؛ ويذكر ابو العباس احمد بن عبد الله بن ابي محلى السجلماسي : انه قرا عليه شيئا يسيرا فى اوائل كتاب ابن الهيثم فى الهندسة او الهيئة (8) ، هكذا بصيغة الشك فى موضوع الكتاب الذي يترجح انه كتاب (المناظر) للحسن بن الهيثم (9) اشهر من الف فى علم المناظر الهندسية من الاسلاميين ، على حد تعبير ابن خلدون فى المقدمة (10) .

4» محمد بن احمد الصباغ العقيلي المكناسي ثم الفاسي ، المتوفى عام 1076هـ 1665 م (11) .

استاذ ابي زيد عبد الرحمن بن ابي السعود الفاسي الفهري آتي الذكر فى المساحات والهندسة وغيرهما ، وهو يذكر هذا فى الرسالة التي كتبها عن حياته (12) هكذا :

«.. ولازمت شيخنا ابا عبد الله محمد بن احمد الصباغ فى التوقيت والاسطرلاب والربع المجيب والروضة ، ومختصر الرقام فى التكسير ، وارجوزة ابن ليون فى التكسير ، واصلها لابن البنا ، وطرف من الاركان اختصار اوقليدس لخوجة نصير الدين الطوسي »

5» عبد الوهاب بن ابي حامد محمد العربي الفاسي المتوفى عام 1079 هـ 1668 م .

جاء فى ترجمته (13) ان من بين العلوم التي اخذها عن والده ابي حامد مواد الميقات والهندسة والهيئة .

6» على ان المع شخصية هندسية فى هذا العصر، هو ابو العباس احمد بن محمد ابن القاضي مار الذكر ، وصاحب الجذوة والدرة وغيرهما ، توفى عام 1025 هـ 1616 م (14) .

فقد كان ــ على حد تعبير « روضة الاس » (15) ــ لا يجاري فى علم الفرائض والحساب والهندسة ، وممن درس عليه هذه المادة الاخيرة .

7» ابو علي الحسن بن احمد المسفيوي المراكشي (16) ، كما تدارس مع :

8» السلطان احمد المنصور الذهبي كتاب اوقليدس (17) ، الذي كان يتولى قراءته بين يديه ابو علي الحسن المسفيوي (18) آنف الذكر .

* * *

وابن القاضي هذا يفتتح لائحة المؤلفين السعديين فى هذا الفن ، وله تاليف سماه : « فتح الخبير ، بحسن التدبير ، لفك رموز الاكسير ، في صناعة التكسير » ، وهو شرح على الارجوزة المعنونة

---

7) « روضة الاس ، العاطرة الانفاس » لابي العباس احمد المقري ، ط المطبعة الملكية بالرباط : آخر ترجمته ص 336 / 338 ، وتوجد معلومات قليلة عنه فى « درة الحجال » رقم 1008 ، وفي « الاصليت » لابن ابي محلى نسخة المكتبة الملكية بالرباط رقم 100 .

8) « الاصليت » النسخة الانفة الذكر ، وانظر ترجمة ابن ابي محلى ومراجعها فى الاعلام للقاضي عباس بن ابراهيم ج 2 ص 91/83 .

9) انظر عن ابن الهيثم وكتابه « المناظر » « العلم عند العرب » تاليف الدوميلي ، ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار والدكتور محمد يوسف موسى ــ ص 210/206 .

10) ص 425 .

11) ترجمته ومراجعها فى « السلوة » ج 1 ص 239 .

12) توجد مقتبسات من هذه الرسالة فى طالعة الامليات الفاشية من شرح العمليات الفاسية) لابي القاسم بن سعيد العميري « نسخة خاصة » .

13) « عناية اولي المجد بذكر آل الفاسي ابن الجد » ص 34 ، وتوجد ترجمته ــ ايضا ــ ومراجعها فى « السلوة » ج 2 ص 325/324 .

14) ترجمته ومراجعها فى « السلوة » ج 3 ص 135/133 .

15) ص 239 .

16) « روضة الاس » ص 173/172 .

17) المصدر الاخير ص 35

18) نفس المصدر ص 164 .

بـ « الاكسير ، في صناعة التكسير » ، من نظم ابي عثمان سعد بن احمد بن ابراهيم بن ليون التجيبي الاندلسي المري المتوفى عام 750 هـ ـ 1349م (19).

الفه استجابة لبعض اخوانه من المتضلعين في التعاليم وصناعة البرهان وجعله ـ طبق رغبة مقترحه ـ شرحا وجيزا : يحل الفاظ الارجوزة ويبين تراجمها واغراضها ووضحه برسوم هندسية ، شرع في تاليفه يوم الاحد 10 شوال عام 1017هـ ، وفرغ منه يوم الاثنين 5 ربيع النبوي عام 1018 هـ .

توجد منه نسختان بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم 2189د ورقم 1070 ك ومنه نسخة نسخة بالمكتبة الملكية بالرباط تحت رقم 5455 ، وهي تقع في 70 ص ، مسطرة 25 ، مقياس 180ـ135 . مكتوبة بخط مغربي لا بأس به ملون ، ويتخلله تصحيف مع بياض في مواضع بعض الرسوم .

وقع الفراغ من الانتساخ عشية الاثنين 21 رجب عام 1228 هـ على يد محمد بن الهاشمي ـ لا ذكر لهذا التاليف في ترجمة ابن القاضي .

هذا وهناك رسالة خالية من اسم المؤلف ، وتحمل العنوان التالي : « فتح المبدي ، في جمع بعض اصول الهندسة للشدى والمبتدي» ، وقد وضعها جامعها برسم السلطان احمد المنصور السعدي ، وذكر اثناءها اسم احد اشياخه : ابي العباس احمد بن علي ابن عبد الرحمن المنجور (20) ، فهل تكون هذه الرسالة من تاليف احمد ابن القاضي الآنف الذكر ؟ هذا ما لا يستبعد ، سيما وهو يذكر في خطبة الرسالة عن احمد المنصور : انه ظهر من العلوم في دولته ما لم يكن قبلها ، وهو بهذه الفقرة يعيد الى الاذهان فقرة اخرى قريبة الشبه اوردها احمد ابن القاضي في «المنتقى المقصور» (21) ، وفي الموضوع ذاته .

ويشرح المؤلف في مقدمة الرسالة الحافز له على وضعها ، ويذكر ان علم الهندسة ـ في زمانه ـ صار من اخمل العلوم ذكرا ، حتى نضب ماؤه ، وصار خيالا بلا اثر ، فالف ـ لاحياء هذا العلم ـ اوراقا تشتمل على بعض اصوله وقواعده فقط ، واعتمد في هذا الصدد على مصدرين اثنين : الاول : ما استفاده من عبارة شيخه ميقاتي القاهرة ، الشريف محمد بن محمد الميقاتي الشهير بالطحان ، والثاني : ما قراه في بعض كتب هذا الفن للبيروني وغيره .

وهو لا يورد شيئا من الاعمال المبسوطة في المطولات وانما يهتم بالقواعد التي ضم بعضها الى بعض ونسقها على هيأة لا توجد في تلك المطولات، كما وضحها بالرسوم الهندسية المطلوبة .

اما تصميم الرسالة فقد جعله مرتبا على ثلاثة اقسام وخاتمة : القسم الاول : في حد الهندسة وموضوعها وفائدتها ، ومعرفة النقطة والخط والسطح وبعض ما يتنوع اليه من الالقاب ، الثاني : في معرفة حد الجسم وبعض ما يختص به من الالقاب ، الثالث : في امور كلية عددية يحتاج اليها في هذا الفن ، الخاتمة : في نوادر ونكت مستطرفة .

هذا هو تصميم الرسالة التي لا يبعد ان تكون هي التي وردت ضمن مؤلفات ابي العباس ابن القاضي باسم « المدخل » .

توجد نسخة منها بالخزانة العامة بالرباط ، وتقع ضمن مجموع يحمل رقم 2215د : من ص 301 الى ص 318 ، مسطرة مختلفة ، مقياس 210ـ155 ، خط مغربي رديء فاحش التصحيف

9» ومن المؤلفين في الهندسة في هذا العصر محمد بن ابي القاسم ابن القاضي الفاسي المتوفى عام 1040هـ ـ 1631 (22) .

الف « التيسير ، لمعرفة صناعة التكسير » ، وهو رسالة جعلها كالشرح على رجز ابن ليون السالف الذكر ، وبين فيها ما لابد من بيانه ، ووضحها برسوم هندسية ، فجاءت مكملة للارجوزة .

---

19) ترجمته في مختصر الاحاطة للبقني ج 2 مصور الخزانة العامة رقم 1582 د وفي « نيل الابتهاج » ص 123\124 ، و « درة الحجال »مع مقدمة فتح الخبير وغيرها ، اما ارجوزته فتوجد نسخة منها بالخزانة العامة بالرباط ضمن مجموع يحمل رقم 1588 د ، واصلها لابن البناء .

20) ترجمته ومراجعها في : « السلوة » ج 3 ص 52/60

21) المنتقى المقصور ـ الباب 14 .

22) ترجمته ومراجعها في السلوة ج 3 ص 287 .

يوجد منها نسختان بالمكتبة الملكية بالرباط تحت رقم 53 ورقم 5296 ، وتقع النسخة الاولى ضمن مجموع كتب فيه « التيسير » واغلب المحتويات الاخرى بخط المؤلف ، وهو خط مغربي مليح مدموج ، خال من تاريخ التاليف والنسخ ، ص 12 مسطرة 26 ، مقياس 220 — 170 .

وقد كتب اعلى الصفحة الثانية من النسخة الثانية اسم هذه الرسالة هكذا « التيسير ، لمعرفة صناعة التكسير » .

وورد ذكرها ضمن آثار المؤلف .

10» ابو العباس احمد بن الفقيه الموقت محمد ابن يوسف الولتي المراكشي المتوفى بها عام 1061هـ 1650 — 1651 م (23) .

وضع شرحا محاديا على ارجوزة ابن ليون المتكررة الذكر ، وخلله برسوم هندسية توضيحية منه نسخة بالخزانة العامة بالرباط ، وهي تقع ضمن مجموع يحمل رقم 2231 د من ص 95 الى ص 135 ، مسطرة 23 ، مقياس 190—145 ، خط مغربي سوسي متوسط ، خال من تاريخ التاليف والنسخ واسم الناسخ . لا ذكر لهذا التاليف فى ترجمة المؤلف .

11» ابو زيد عبد الرحمن بن ابي السعود عبد القادر الفاسي الفهري المتوفى عام 1096 هـ — 1689 م (24) ، الف :

ا — النتائج الحدسية ، فى العلوم الهندسية . ؟
ب — تحفة الاثير ، فى علم التكسير ؟ .
ج — شرحها .
د — عروس الصباحة ، فى علم المساحة .
هـ — الترجمة ، فى علم الهندسة . (25)
و — مختصر اوقليدس . (26)
ز — وقد ضمن موسوعته المنظومة : الاقنوم ، فى مبادىء العلوم (27) عددا من فروع هذا العلم موزعة على عدة ابواب ومنها :

— علم التكسير فى 50 بيتا .
— علم الهندسة فى 148 بيتا .
— علم مساحة الارض فى 15 بيتا (28)

12) محمد بن محمد بن سليمان الروداني نزيل الحرمين الشريفين ، والمتوفى عام 1094 هـ (29) 1683 م .

كان — حسب خلاصة الاثر (30) — يتقن فنون الرياضة : اوقليدس والهيئة والمخروطات والمتوسطات والمجسطي .

* * *

والى هنا يكون هذا المقال قد استعرض — في نطاق نشاط الهندسة بالمغرب السعدي — 12 مهندسا مع 11 تاليفا ، وهي ظاهرة توضح احد خطوط الانبعاث العلمي فى هذا العصر .

ويلاحظ ان هذا الانبعاث وقع فى عصر انحدار الثقافة الاسلامية ، ولذا لم يقع تعمق فى الاشتغال بالهندسة ، حيث لم يمس — فى الغالب — غير مبادىء هذا العلم ، ولم يقع تجديد فى التاليف ، او ابتكارات هندسية ، وهذا — ايضا — احد الاسباب لفتور هذا النشاط بعد ، والله — سبحانه — ولي التوفيق .

الرباط : محمد المنوني

---

23) ترجمته ومراجعها فى « الاعلام » لابن ابراهيم ج 2 ص 116/115 .
24) ترجمته ومراجعها فى السلوة ج 1 ص 316/314 .
25) هذه المؤلفات الخمس وردت فى الرسالة السالفة الذكر التي كتبها ابو زيد الفاسي عن حياته ، كما وردت ببعض مخالفة يسيرة وتكرار فى لائحة تآليف ابي زيد الفاسي ، كما ذكرها ابنه ابو عبد الله فى كتابه « اللؤلؤ والمرجان » — مقال للاستاذ محمد الفاسي رئيس جامعة محمد الخامس ، مجلة هسبيريس HESPERIS سنة 1942 ، عدد 29 ص 78/65 .
26) لائحة تآليف ابي زيد الفاسي الآنفة الذكر .
27) لايزال مخطوطا فى خزائن خاصة وعامة .
28) « التراتيب الادارية » ج 2 ص 197/196 .
29) ترجمته ومراجعها فى الاعلام لابن ابراهيم ج 4 ص 359/334 .
30) ج 4 ص 207 .

الأدب النسوي في الأندلس

للأستاذ : محمد المنتصر الريسوني

-4-

نشاة الشعر الاندلسي :

لنا وقفة قصيرة مع الشعر الاندلسي في ولادته الاولى الى ان يستوي عودا اخضر يتدفق حياة وروحا فيورق ويجود ، وتتباين وريقاته مرهصة بميلاد شذى جديد ، لنا هذه الوقفة لنعرف الجذور التي انبتت غصونا رطبة زاهية .

ليس خافيا على دارس .. تاريخ الاندلس .. ان فترة الولاة كانت فترة حروب وعراك ، الشيء الذي جعل القلق والخوف يدب في اوصال المجتمع الذي كان مقسما الى عرب وبربر واسبان ، فهو يحيا حياة قلقة بالوان من الاهتزاز الحسي والنفسي .

وفي هذا الجو تكونت الخيوط الاولى للشعر الاندلسي ، ذلك ا نالعرب الوافدين على الاندلس كانوا من بين من يقرضون الشعر ، وان المصادر لتحدثنا عن بعض اسماء هؤلاء ونذكر منهم : ابا الاجرب جعونة ابن الصمة المشهور بهجائه للصميل بن حاتم رئيس القيسية هنالك والذي اشتهر فيما بعد بمدحه حينما عفا عنه، وهو في مرتبة جرير والفرزدق كما قيل، ولو انصفه العلماء لاستشهدوا بشعره ، والباحثون لم يتوصلوا الى ما خطه قلم هذا الشاعر من نتاج الا القليل النذر ومن قوله :

ولقد اراني من هواي بمنزل
عال وراسي ذو غدائر افرع

والعيش اغيد ساقط افنانه
والماء اطيبه لنا والمرتع

وابا الخطار حسام بن ضرار وهو من علية القحطانيين بالاندلس كان شاعرا شجاعا مقداما فارسا لقب « عنترة الاندلس » لم يصلنا ـ هو ايضا ـ من شعره الا القليل ومن قوله حينما ثار لانسان عزيز من قومه :

فليت ابن جواس يخبر انني
سعيت به سعي امرىء غير عاقل

قتلت به تسعين تحسب انهم
جذوع نخيل صرعت في المسايل

ولو كانت الموتى تباع اشتريته
بكفي وما استثنيت منها انامليي

وبكرا الكناني الذي سأل عنه ابو نواس عباس ابن ناصح كما سال عن جعونة ابن الصمة السالف الذكر «1» .

ومما ينبغي ان تلفت اليه الانظار ان هذه الفترة كانت تتوفر على شعراء ءاخرين ضاع شعرهم وانمحى وجودهم مع ما انمحى من التراث الاندلسي ولاسيما في تلك الحقبة المضطربة التي انعدمت فيها المقاييس السياسية والمعايير النظامية .

وخصائص الشعر في هذه الفترة الزمنية هي في الواقع لم تكن لها شخصيتها المستقلة ، بل كانت امتدادا كليا لخصائص الشعر المشرقي اذ ان قائليه مشارقة قدموا الاندلس ، فهو يجري بطبيعة الحال في التيار المحافظ الذي كان متعالما شائعا في المشرق ، وقد حذا التقليد بالاندلسيين الى ان يسموا اتباعهم باسماء المشارقة ، فقالوا : ابن هانىء متنبي المغرب ، وابن خفاجة صنوبري الاندلس وابن زيدون بحتري الاندلس ، ومحمد بن سعيد الزجالي الاديب الحافظ اصمعي الاندلس ، وحمدة بنت زياد خنساء المغرب وابن دراج متنبي الاندلس .

«1» نفح الطيب للمقري ج 2 ص 156 .

وبانقضاء فترة الولاة تتصفح وجه الحياة فتلفي ان اهم مظهر من مظاهر المجتمع الاندلسي بـــروز شخصية المراة في مجال الفن ، ذلك ان عبد الرحمـن الداخل استقدم بعض الفنانات المشرقيات وانشأ لهن دارا عرفت بدار « المدنيات » لان اغلبهن من المدينـة التي عرفت في التاريخ بانتشار الحركة الموسيقيـة والغنائية .

والمراة بعد هذا كانت تختلف الى المسجد الجامع بقرطبة وغير المسجد الجامع من مراكز الاشعـاع الفكري فتتحلق حلقات لتنهل من مناهل المعرفة ، ومن اجل ذلك تبغت سيدات من بينهن المحدثـات والكاتبات والشاعرات والفقيهات والطبيبـات ، واستطاعت مسايرة الركب الحضاري في تحفظ نسبي ومواكبة التيار التقدمي في تدبر ، اذ لم تكن تتهالـك على معاقرة الخمر ، ولم تسع الى اماكن الرذيلـة والفجور تماما كاختها في العراق التي اندفعت اندفاع الاتي مطلقة لنفسها العنان ، منفلتة من عقال العفة والمواضعات الاسلامية تنتظر حتى اذا جن الليـل واظلم وجه الكون فتلف ثيابها وتضعها في فراشها لتوهم انها ما تزال فيه ثم تسرع في خفة ظبي غرير الـى حبيبها لتتساقى معه كل ما لذ وطاب .

وهكذا بات المجتمع الاندلسي بعد انتظـام القوالب السياسية يعيش عيشة استقرارية آمنـة تحت ظل حكومة قوية تشجع وتشيد وتعمل آنـاء الليـل واطراف النهار لصالح المواطنيـن ، ومن اجل اعادة مجد الامويين الذي افل نجمه في المشرق .

وليس من شك في ان شعلة الثقافة الاندلسيـة ذكت عند قدوم كثير من الامويين واشياعهم الذيـن كان على قدر كبير من الثقافة ، وليس من شك ايضا في ان وفودهم على الاندلس وطأ للثقافة سبيـل الانتشار والذيوع ، واضف الى هذا كله رجوع اول فوج اندلسي درس بالمشرق فحمل معه النفحـات المشرقية التي تتمثل في كتب اللغة ، ككتب الاصمعي والكسائي والفراء ، وفي العروض والمنطق والنقـد للخليـل ويعقوب بن السكيت وابن قتيبة .

ولا ننسى في هذا الصدد تشجيع الخلفاء للنهضة العلمية والادبية وما نقله ابو علي القالي من كتب في الادب للجاهليين والامويين كشعر ذي الرمة والحطيئة والنابغة الجعدي وعلقمة وجميـل والاخطـل ، ومجموعات شعريـة كالمفضليات والنقائض وكتب في الاخبار والفنون المختلفة ؛ كل ذلك كان له اثره الفعال في نفوس المثقفيـن .

وحينذاك يظهر جيل من الادباء كما تظهـر الاديبات ، وفي نفس الوقت تتفتح البراعم الاولى للادب الاندلسي الذي سيترعرع على مرور الايام وتنحسـر عنه موجات التقليد فيتميز بخصائصه التي تضفي عليه صفة الاستقلال والتحرر فلا يعود وقفا على الوافدين من المشرق .

فالشعر الاندلسي سار فترئذ في التيار المحافظ المتمثل في الاحتفال بالموضوعات التقليدية من مـدح وهجاء وفخر كما سار على منهج الاقدمين في بنـاء الهيكل القصيدي .

وبعد ذلك نجد الشعر الاندلسي يتسم بسمات خاصة كالتجديد الموضوعي الذي يتجلى في طـرق موضوعات جديدة او معالجة مضامين لم تكن تعالج من قبل «1» ثم التجويد الفني والتركيز العاطفي ، وذلك في عهد تأسيس الامارة .

تلك هي خيوط دقـاق عـن نشأة الشعـر الاندلسـي .

خصائص الشعر الاندلسي :

لا غرو ان للشعر الاندلسي خصائصه ، هـذه الخصائص تتجلى بوضوح تام في المعاني والاخيلـة والالفاظ والاساليـب .

اما في المعاني والاخيلة ، فان معاني الاندلسييـن واضحـة سهلة لا صعوبة فيها ؛ وليست عميقـة تحتاج الى التدبر واعمال الفكر ، خلوة من الصـور الفلسفيـة الغويصـة والتعابير المنطقية الملتوية «2» وهي ترفدها طرافة الخيال وطراءة الصور التـي استمدت من متحف الطبيعـة الفاتنة الغنـاء .

اما الالفاظ والاساليب ، فان الفاظهم سهلـة تعبـر عن ليـن طبعهم ودماثة خلقهم لحد انها تـؤدي

«1» انظر قطعة شعرية لابي المخشى في فقدان البصر اوردها ابن الخطيب في كتابه الاحاطة وهو في مخطوط بالاسكوريال رقم 1673 ورقـة 351 — 352 .

«2» ذكر صاعد الاندلسي ابياتا لبعض المشتغليـن بعلوم الحكمة في كتابه « طبقات الامم » وقد نجد غير هذا في مصادر اخـرى .

احيانا الى الاسفاف ، ومما يثير الانتباه ان الالفاظ الاعجمية لم تستعمل في شعرهم استعمالها في شعر المشارقة ، وتعابيرهم التشبيهية لا تحصى مع قلة الاحتفال بالمحسنات البديعية من تورية وجناس وطباق وغير ذلك .

وفيما يتعلق بالاوزان ، فالشاعر الاندلسي قد حاك على نول الشاعر المشرقي ، غير انه كان يميل الى الاوزان الخفيفة ، التي تتلاءم وحياتهم الناعمة المترفة بالغناء والموسيقى ، فادى ذلك الى ابتكار فن الموشح «1» ثم الزجل .

هذه هي الملامح الفنية عموما التي تميز الشعر الاندلسي وتعطيه صورته البينة الواضحة

والموضوعات نجدها عند الشاعر الاندلسي تقليدية في بعضها كالمدح والغزل والخمريات ، وقصر في بعضها الاخر كالحكمة والزهد ، وتفوق في الاخرى كالوصف ، بيد ان الاغراض الجديدة التي امتاز بها النتاج الاندلسي هي ما يلي :

رثاء الممالك : وذلك حين تقلص ملك المسلمين كقول صالح بن شريف الرندي يرثى الاندلس في نونيته المشهورة بقوله :

لكل شيء اذا ما تم نقصان
فلا يغر بطيب العيش انسان

وقصيدة ابن عبدون في رثاء بني الافطس ملوك بطليوس التي يقول فيها :

الدهر يفجع بعد العين بالاثر
فما البكاء على الاشباح والصور

ثم الاستنجاد بملوك المسلمين والاستغاثة بالرسول عليه الصلاة والسلام ، ومن اشهر القصائد في هذا المضمار قصيدة ابي عبد الله ابن الابار التي استنجد فيها بابي زكرياء بن حفص صاحب افريقية سنة 635هـ والتي يقول فيها :

ادرك بخيلك خيل الله اندلسا
ان السبيل الى منجاتها درسا

كما انهم تفوقوا في الشعر التعليمي فوضعوا منظومات علمية في التاريخ والنحو وغيره ، ومن ذلك ارجوزة ابن عبد ربه في التاريخ وارجوزته في علم العروض التي يبتدئها بقوله :

بالله نبدا وبه التمام
وباسمه يفتتح الكلام «2»

والفية ابن مالك في النحو وهي اشهر من نار على علم ، واللامية والرائية للشاطبي في القراءات ورسم المصحف ، وهكذا توالت المنظومات العلمية في شتى الفنون والعلوم في التاريخ والنحو ، والبلاغة ، والفقه والمنطق والرياضيات والتوحيد «3» .

ولم يقتصر تفننهم على هذا الميدان بل خرجوا بالشعر التعليمي من جفافه الى لون من اللطافة ، اذ مزجوه بالغزل فعرفوا كيف يقومون بعملية المزج ، من ذلك قول ابن فرح «4» في مصطلح الحديث :

«1» يرى الاستاذ الكبير مصطفى صادق الرافعي رحمه الله في كتابه « تاريخ اداب العرب» 3 ص 163 ان سبب اختراع الموشح هو الغناء لا غير عكس ما يذهب اليه ابن خلدون . ثم انظر ما قاله الدكتور مصطفى عوض الكريم في كتابه « فن التوشيح » ص 99 طبعة دار الثقافة – بيروت . وانظر ايضا تاريخ الادب الاندلسي – عصر الطوائف والمرابطين للدكتور احسان عباس ص 220 . ثم انظر «الفن ومذاهبه في الشعر العربي» للدكتور شوقي ضيف ص 450 الذي زعم ان الموشحات والازجال هو تجديد شكلي اضطرتهم اليه الظروف ، وقد غاب عن ذهن الدكتور ان الشكل والمضمون يعملان معا على ابراز العمل الادبي في صورته الجيدة الرائعة ويشم من كلام الدكتور في ص 451 انه يريد ان يثبت ان الموشحات والازجال نشأت مع زرياب وغيره من مغني الشرق ، وهو بذلك يتعصب على الادب الاندلسي ليبرز تبعيته حتى في الموشحات والازجال ، وهذا ظاهر البطلان فلا يحتاج الى رد .

«2» انظر العقد الفريد ج6 ص 240 لابن عبد ربه – تحقيق محمد سعيد العريان – مطبعة الاستقامة القاهرة 1953 .

«3» لا يعزب عن الاذهان ان الاندلسيين لم يكونوا السابقين الى الشعر التعليمي .

«4» ابن فرح : هو شهاب الدين ابو العباس احمد بن فرح بالحاء المهملة ولد سنة 625هـ وتوفى سنة 699 هـ

غرامي صحيح والرجا فيـك معضل
وحزني ودمعي مرسل ومسلسل «1»

الى ان يقول في آخر القصيـدة :

فخذ اولا من اخر ثـم اولا
من النصف فهو فيـه مكمل «2»
ابـر اذا اقسمت انـي بحبـه
اهيـم وقلبـي بالصبابـة مشعـل

وكيف ما كانت الحال فتلك حكاية الشعـر الاندلسي منذ نشاته الاولى الى ان استقام عوده ، بعد أن عبر البيد والصحارى محملا باللفحات الى بلاد الموسيقى والاريج والعبق فوجد نفوسا رقيقة خصبة ، وقرائح موهوبة معطاء ، ومناخا ناعما ، فنما واينع ، ومد الظلال الوارفة التي اكسبته شخصية ، رغم أنه ظل في بعض الاغراض الشعرية الاخرى متقمصـا شخصية الادب المشرقي، وذلك طبعي فالابن الشرعي دوما يعترف للاب بالايادي البيضاء ، ولكن في غير مذلاة تنعدم معها الذاتية التي تنبـه الاذهان الـى الخصائص المميزة التي تمهد لها من القيمـة مكانـة الصـدارة .

تطـوان ـ محمد المنتصر الريسوني

«1» الصحيـح والمعضل والمرسـل والمسلسـل كلهـاالقاب حديثية راجعها في مصادرها .
«2» البيت يبين فيه الناظم كيف تتوصل لان تعرف رسم من يتغزل فيه وهو ان تاخذ فعل ابـر واهيـم فيصبح ابراهيـم وذلك في البيت الاخيـر .

رائحة الاماني

قال ابن عتيق لامراته : تمنيت ان يهدى الينا جدي مسـلوخ ، فنتخذ من الطعام لون كذا وكذا .

فسمعته جارة له ، فظنت أنه امر بعمل ما سمعته ، فانتظرت الى وقت الطعام ، ثم جاءت ، فقرعت الباب ، وقالت : شممت رائحة قدوركم ، فجئت لتطعموني منها !!

فقال ابن ابي عتيق لامراته :

« ليس لنا مقام في هذه الدار التي يتشمم جيرانها رائحة الاماني !! »

شاعر الحمراء محمد بن ابراهيم

للأستاذ: التهامي السكيتي

في مستهل سنة الف وثلاثمائة وثمانية عشرة 1318 ــ 1900 ولد شاعر الحمراء تحت افق مراكش المشرق الدافيء ، في ظروف تتلبد فيها جو المغرب السياسي بغيوم حالكة ، لم يعرفها منذ ثلاثة عشر قرنا ، فقد صادف مولد الشاعر ، قرب دخول المغرب تحت عهد الحجر والاستيلاء ، حيث تمالأت دول اوربا على استغلال الشعوب المتخلفة عن سير الركب ، وكانت كل العوامل متوفرة لفرنسا لاكتساح المغرب عن طريق تونس والجزائر ، وقد وفقت في ترضية الدول المنافسة لها ، واستولت على المغرب سنة الف وثلاثمائة وثلاثين ــ 1912 بسبب تخاذل ابنائه وتناحرهم ، وكان يهمها بعد هذا الاستيلاء ، توجيه المغرب في عدة مرافقه حسب ارادتها ليضمن لها ادماجه في الامبراطورية ، وكان يعنيها اولا وبالذات سير التعليم الذي هو اساس التقدم والنهوض ، ولكنها كفيت عناء هذا التوجيه ، حيث وجدت التعليم المغربي لا زال عقيما يعتمد على اسسه الاولى لا يضمن تقدما في العلوم التقنية او الصناعية ، فأبقته على صبغته الدينية ، وفرضت عليه رقابة من ابنائه انفسهم ، والتفتت الى ناحية اخرى من جوانبه لتجعل منه هيكلا خاليا من مقوماته الوطنية الذاتية ، ففرضت لغتها فرضا ، وفتحت لها المجال في الادارات والوظائف لتصرف الشباب عن كيانه ولغته .

اما سير الادب في هذه الفترة ، فقد بدأ يتطور ويخطو الى الامام ، نظرا للنشاط الطبعي الذي حل بالشرق ، وتوارد المؤلفات والنشرات الادبية على المغرب ، ولكن الحماية وقفت بالمرصاد لكل الكتب المستوردة ، اذ كانت تحمل طابعا سياسيا او تقدما علميا ، وهكذا احتفظت دولة الحماية بالتعليم القديم ، ثم تعقيمه ، ليضمن بقاء الجمود الثقافي المغربي ، والجأت النشء الى لغتها لمصلحتها ، ولم تجد العائلات المغربية بدا من الاستمرار في توجيه ابنائها بهذه الطرق الروحية العتيقة ، ومن الجأت ابناءها الى لغة الدخيل كانت في اول الامر موضع نقد وسخط شديد لدى عامة الشعب لاقترافه جرم تعلم لغة المستعمر المعتدي .

وفي هذا الجو القاتم ظل شاعر الحمراء على الحياة ، وفي وسط عائلة محافظة ، فكان حظه منها او من ابيه على الخصوص ان يوجه ابنه توجيها دينيا ، حيث كان للآباء السلطة المطلقة في توجيه ابنائهم ، حسب الاعراف والعادات التقليدية المغربية ، وكان الذي اكد رغبة الاب في هذا الاتجاه ايضا ما كان يشاهده وهو يتردد على حلقات الدروس الدينية بمختلف مساجد مراكش ، فهو يريد من ابنه ان يصبح كأحد هؤلاء العلماء الذين يتلقون انحناآت التقدير والاكبار ، وقبلات الايدي ظاهرا وباطنا من لدن الطبقات الشعبية ، وفي صباه ارسله الى المكتب ليحفظ القرآن ويرتله ترتيلا ، وبعد ان استظهر حفظه ، اخذ في حفظ متون العلوم ، ليدخل الى جامعة ابن يوسف ، وانتقل منها الى جامعة القرويين بفاس ، وحين رسخت قدماه في العلوم الشرعية من فقه ونحو وبلاغة وتفسير وحديث ظهر ميله فجأة وفي سن باكر شغف الادب وتعاطيه ، فعكف عندئذ على دراسة النصوص الادبية ودواوين الشعراء وظهر مع هذه الميول مباشرة تخوف ابيه الذي لم يال جهدا في تقويم ابنه واتجاهه نحو ما يراه صالحا ، ولكن الجاذبية الادبية انتشلت الابن ، وراح يقتني دواوين الشعراء ، وكتب الادب ، فكان ضمن خزانته الصغيرة ديوان المتنبي والبحتري ولزوميات المعري وديوان ابن هاني وغيرها وجاشت نفس الشاعر بالادب ، فترددت قطع شعره في المحافل الادبية ولم يكن للاب حول على تحول ابنه ، فاذعن للواقع ، طاوي النفس على الم وحسرة ، الى ان وفاه الاجل المحتوم ، وعندئذ تنفس الشاعر الصعداء لا تحللا من حياة والده ولكن من الرقابة الصارمة التي فرضها عليه طبقا للبيئة المغربية التي بقي اثرها جليا في زي الشاعر التقليدي فلم يبارح جلبابه وعمامته ولحيته مدى الحياة ، وهكذا انطلق الشاعر ينظم الشعر ،

ويشيد به في المنتديات ، وبين اصدقائه ، الى ان اشتهر شهرة تجاوزت حدود المغرب ، فكان لهذه الشهرة صدى بعيد في الاوساط السياسية ، تمخضت عن اقتناص الشاعر ، والوقوع في حبالة التهامي الكلاوي فكان طبيعي ان يختنق الشاعر ، وان يسلك اتجاها خاصا في شعره ، حسبما تمليه ظروف الحماية ، فراح يتردد على بيت الكلاوي ، وهو الشاعر العاطل ليستفيد من نواله وثروته الهائلة ، واتخذ من الشعر حرفة التكسب التي اقترفها عدة شعراء قبله ، فهذا احمد المتنبي مدح كافور الاخشيدي لنفس الغاية ، ومدح شوقي باشوات الاتراك اقتفاء بسابقيه ، واذا كان هناك فارق اجتماعي وسياسي بين الشعراء الثلاث ، فلا ينبغي ان نغفل الحدود والظروف التي عاشها شاعر الحمراء ، ففرنسا اقتطعت مدينة مراكش لمطاوعها الكلاوي وهي العاصمة السياسية الاولى لتاريخ المغرب ، ومنبع عقد الحماية المشئوم ، فيجب عليه اذن ان يضمن بهذه المدينة كل بادرة او حركة سياسية وضعتها رقابة الشاعر الذي اشتهر وهو ذو اللسان الحاد ، الذي يمكنه ان يسلق به طائفة ويرتفع باخرى الى العلياء ورغم انسياق الشاعر في اطار سلبي فان كوامن باطنيه كانت تختلج وراء جوانحه وداخل قصره ، لم يستطع التعبير عنها نظرا للهوة السحيقة التي تردى فيها ، فلم يجد امامه سوى المجون واللهو ، فانطلق يبث نجواه ، وما تتوارد على خاطره من القوافي ، فوصف الخمر ، وما توحيه الخمر من فجور وتبعات ، على ان الشاعر لم تفته استغلال حصانة الكلاوي عند ما تحين له الفرصة ، ويرضخ الكلاوي رضى لفرنسا ، فقد قال الشعر في اكبر موقف وطني ، ومدح محمد الخامس قدس الله روحه ، عند تدشين قنطرة تانسيفت بقصيدة انبعثت من اعماقه حتى كادت تخرج عن المدح والوصف الى التغزل ، كما هجا باشا فاس بوستة البغدادي وهو رب الكلاوي في التربية الاستعمارية اثر محاولة تطبيق الظهير البربري الشهير .

واذا كانت هذه المواقف قد تعتبر تسللا نفذ اليها الشاعر من نافذة الكلاوي ، فهناك موقف آخر في حياة الشاعر يعتز به كمغربي ، يغار على بلاده مهما رمت به يد الاقطاعيين ، فقد تملص الشاعر من طاعة الكلاوي ولم يتمالك كبت ما يجيش به ضميره عند ما نظم الاحرار المراكشيون مظاهرة سنة الف وثلاثمائة وستة وخمسين 1356 ـ 1937 م ، احتجاجا على البؤس والظلم والوضعية التي يعيشونها ، وقد اتخذتها فرنسا وسيلة لمبددها لنخبة من علماء المدينة وزعمائها ، والقت بهم في غياهب سجن تارودانت مع الزامهم باشق الاعمال واضناها ! وكان شاعر الحمراء من بين هذه النخبة التي نالت شرف السجن الوطني نتيجة اعلان تضامنه مع بقية اخوانه ، كما ساهم بقريضه في حوادث انسانية ، فندد بزعيم النازيين في الحرب البشرية الثانية ، وبوعد بلفور الانجليزي ، واغتصاب بني صهيون لفلسطين السليبة ! !

هذه نظرة وجيزة عن الحياة التي عاشها شاعر الحمراء وعاشها غيره من الادباء في هذه الفترة الدقيقة من حياة المغرب المحتل ، ولكن شاعرية ابن ابراهيم لفتت الانظار اليه ، فتتبع الناس خطاه ، واحصوا انفاسه .

ولنرجع الآن الى شاعريته وحياته الادبية . لقد تناول في شعره المدح والهجاء والغزل والاجتماع ، ويعتبر اول شاعر اخرج الشعر المغربي من تلك البيئة الضيقة ، التي سلكها شعراء المغرب قبله ، وحتى المعاصرين له متأثرا بشعراء النهضة الحديثة في الشرق العربي ، كحافظ وشوقي وخليل مطران والبارودي ، وغيرهم من الذين وجهوا الادب توجيها يتفق مع الاحداث المعاصرة والخروج به من محيطه التقليدي الضيق الى واقع الحياة المتطورة ، وقد احتفظ ابن ابراهيم مع هذا التجديد بالصبغة المغربية التي ميزته عن باقي معاصريه ، ولهذه الظاهرة تلقت الصحف والمجلات آنذاك شعره بشوق وشغف ونشرته على اول اعمدتها احتفاء به وقصد المزيد من زبنائها الذين كانوا يترقبون عن كثب نشر هذا الشعر ، حيث كان ينفذ الى اعماقها فتلمس فيه العذوبة والتجديد والابتكار ، وقد اطلقت بعض هذه الصحف على الشاعر اسم شاعر المغرب الاول او شاعر افريقيا ولهذه الشهرة غير التلقائية تردد هواة الادب والمعجبين بفنه على منزله ، وعن المنتديات التي كان يرتديها فكان يتحفهم بقطعه الشعرية الارتجالية ونكته الدقيقة اللاذعة التي كانت تنبئ عن حدة ذكائه ، وقوة ذاكرته .

وهكذا احدث ابن ابراهيم ضجة مدوية في الاوساط الادبية ، وقد تعرض الشاعر اثناء هذه الشهرة لعقدة نفسية على اثر السخرية التي كانت تلحقه من جراء سلوكه الشخصي رغم اكباره وتقديره من ادن الاوساط الادبية ، وقد ادرك هذه الوضعية التي يعيشها فسخط على نفسه ودعا عليها .

والذي يهم من حياة هذا الاديب المغربي المسلم دراسة شعره وادبه كنموذج للشعر المغربي المعاصر وكمرآة لظروف استثنائية عاشها المغرب . على ان انتاج هذا الشاعر البئيس الحظ لم يقدر له ان يجمع في حياته رغم اهتمامه بترتيب ديوانه طبقا للعهود التي كان يعهد بها اصحابه واصدقاءه المعجبين بفنه الادبي ، وشاء القدر ان تعاجل المنية شاعر الحمراء قرب انفراج الازمة المغربية ، وانقضاء عهد الحماية سنة الف وثلاثمائة وثلاث وسبعين 1373 ـ 1955 ، وكان انتهاء حياته بداية عهد جديد في المغرب ، وراح كبار الادباء والشعراء يتحدثون على شاعريته ، والمحنة التي تخللت حياته ، ويود كل واحد منهم ان يرى شاعر الحمراء في هذه الظروف التي اقصي فيها الاستغلال البشري ، وما عسى ان يقول وهو الشاعر الفحل الذي يعرفونه ، وانطوى اصدقاؤه عن الحزن والاسى على الظرف الحالك الذي اختفى فيه هذا النجم اللامع ، ونسي ذووا الاحقاد احقادهم رأفة

بسحنه وتقديرا للادب والوفاء له ، وفي اول عهد التحرير برزت احدى المجلات تحمل طابعا حياديا عن النزعات السياسية خدمة للثقافة العربية وادبها وراحت تبحث عن انتاج شاعر الحمراء ، واعلنت عن طريق الصحف والمجلات والاذاعة عزمها على نشر هذا الانتاج ، طالبة من هواة الادب ، ومن لهم صلة بشعره ان يوافوها به لينشر خدمة للادب ، وحفظا لهذا التراث الفني التليد ، ولبى الناس هذا النداء باحثين عن قصائده ، وقطعه الشعرية ، من مختلف الجرائد والمجلات القديمة والحديثة وممن يحفظ شعره من اصدقائه ، وقد اجتمعت كمية من شعره تقل عن نصف شعره اذا قيست بالمواقف والمناسبات التي اتحفها بشعره واقتصرت المجلة التي اعتنت بهذا التراث وكذ الصحف التي نشرت بعض القطع منه على نشر هذا الشعر دون تعليق او تذييل مكتفية بجوهر القصيدة التي تمكن القارىء من اخذ نظرة عن هذا الشعر في غير احتياج الى تنبيه .

وبعد هذا رأى بعض المتأدبين ان يستغلوا هذا الانتاج ويقدموا انفسهم للناس على حسابه في مقدمات سخيفة ملوءها البغض والكراهية لشخصية الشاعر ، رائدهم في هذا التقديم حب الانتقام والعتاب ، ولو بعد الموت فوصفه بعضهم بشاعر الاقطاع ، ومات ابن ابراهيم وحيدا غريبا من الاهل والمال لم يخلف الا تحفة فنية ادبية ضاع جلها وليس هذا من شأن الاقطاعيين واذنابهم .

وانبرى آخر من هؤلاء المتأدبين ليجمع ما نشرته تلك المجلات والصحف بالحرف وسودها في مقدمة عقيمة اختلط عليه فيها النقد الشخصي بالنقد الادبي ، ولعل المتحدث الكريم كان عاريا عن معرفة اصول النقد الادبي ولم يع منها سمعه الا لفظة السطحية ، وجملا ملفقة من هذا القبيل لينعت بها شاعر الحمراء دون ان يعرف ما يعني نقاد الادب بهذه الالفاظ ولعله يرى ان الشاعر كان يجب عليه ان يكون داريا ببعض ظروف التعاليم الديماغوجية حتى لا يرمى عنده بالسطحية ، وهذا عقوق سافر للادب وذويه ، يتمخض عن كبت الغيظ ولم تكن صفة العقوق طارئة عن المجتمعات بل هي بادرة نفسانية اجتماعية تتحلى به بعض النفوس الغير الصائبة لاصل وراثي او كسبي ولا غرابة في التحلي بها ، فقديما عق الخليقة اهله وعشيرته ، وعق امه بعد ان ارضعته من لبانها واستفاد من تربيتها فاقبل عليها يقول :

أأعـــيـر الا اذا استودعـــت ســـرا
وكاتونـــا علـــى المتحدثينـــا

وقد حاول احد كبار كتاب المغرب بعد هذا الظلم الغاشم ان ينصف شاعر الحمراء من مظلمته ، فاعتمد تلك النماذج التي نشرت مكتفيا بتحليل تنف منها على ضوء ميزان النقد الادبي الصحيح ، ولكن الكاتب الاديب تأثر عن قصد او عن غير قصد بتلك المقدمة السخيفة التي اعتمدها فرماه هو ايضا بعدم اجادته لصنعة الشعر مع ملاحظة ركاكة الاسلوب معللا ذلك بضيق افق الشاعر لعدم اطلاعه على ادب الغرب وجهله باللغات الاجنبية .

وهذا رأي شخصي آخر يعبر عن رأي الكاتب الخاص دون ان يكون نقدا يتفق وآراء الادباء ولم يتفق ابدا مع الصبغة التي سلكها شاعر الحمراء في قرض الشعر اذ لم يشتهر شعره ولم يكتسب له التفوق الا من حيث سلامة الفاظه وعذوبة معانيه وخلوه من الركاكة مع الالتزام التام لصناعة الشعر العربي ، اما تحديد ثقافة الشاعر وعدم تزوده من آداب الغرب فهو اكبر برهان منطقي على موهبة الشاعر وذكائه الحاد فكم حاول غيره ادراك شأوه فارهق سمعه وبصره بآداب الشرق والغرب بمطالعة وحفظ آداب الشرق والغرب ولكن الانتاج هب كسحابة ، لا شرقية ولا غربية تبددت بعد نشرها بيسير لما تحمله من طابع التقليد اللفظي والركاكة المعنوية .

وهناك ظاهرة اخرى اخذها الناقد على شاعر الحمراء وهي اقحامه للالفاظ المبتذلة التي تخللت بعض المواضع من شعره قد تصل احيانا الى الدارجة المغربية ، والحق ان هذه الظاهرة هي التي كانت صلة وصل بين الشاعر وبين الطبقة الشعبية ، وموضع اعجاب واكبار من لدن الطبقة الادبية الارستقراطية ، فقد كان الشاعر المقتدر يصعد في سلمه الذهبي الى تلك الطبقة العليا ليلقي شعره بين يديها فينتزع منها التقدير والاعجاب ويقاطع انتاجه بالتصفيق الحاد وتسابق مديري الجرائد والمجلات لتتحف اعمدتها باسم شاعر الحمراء ثم ينزل من سلمه ليحتك بالطبقة الشعبية التي كان يجد سلوة في الحديث بين افرادها حيث كان لها اثر في نفسيته وسير حياته ، ثم ينشدها قطعا شعرية لا تخرج عن نطاق الشعر العربي في قالب ينفذ الى قلب الامي الصرف لسلاستها وقرب مأخذ لفظها ودون ان يجد عناء في حفظها فيصبح هو ايضا راوية من رواة شعره

هذه نظرة وجيزة حول نقاد ابن ابراهيم التقليديين الذين تراكضوا على ترقيم الفراغ ، فشعر ابن ابراهيم لا زال لم يجمع كله ، ولم يقع تحليله حتى يحكم عليه ، ولكن هؤلاء النقاد انتهزوا حرية القول والتعبير والنقد والنشر الادبي فراحوا يهدمون المقومات الادبية في غير مراعاة ، وانصاف لاربابها ، واذا كان برهان الفضل وآياته ان يجد المرء نقادا يتشرفون بنقد نزيه لانتاجه فان شاعر الحمراء لقي اعداء وحسادا تتبعوا لقطاته الشخصية ليمسخوا بها انتاجه الادبي ورغم ذلك فلم يفقد اصدقاءه وانصاره والمقدرين لادبه وثقافته من المنصفين للادب والادباء فعسى ان تتضامن جهود هؤلاء المنصفين ويجدوا في البحث كي يتأتى تدوين انتاجه تدوينا صحيحا يتفق وعبقرية شاعر المغرب الاول الذي ترددت اصداؤه في الداخل والخارج لا لشهرة تلقائية ولكن لأدبه الجزل الذي تبوأ به الذروة في عالم التجديد للشعر العربي .

مراكش — التهامي السكيتسي

حول كتاب المغرب عبر التاريخ

رد على تعليق الأستاذ حسن السايح

تكرم صديقي الاستاذ حسن السائح فابدى ملاحظاته تلقائيا على كتابي « المغرب عبر التاريخ » واني اذ اكبر فيه هذه الروح النقدية التي تؤكد اهتمامه الحقيقي بالانتاج الفكري في المغرب الذي نحن معا ، منه واليه ، اود ان ابدي وجهة نظري حول ملاحظاته القيمة التي استمحه في اجتيازها كما يلي:

1 ـ ان الكتاب لم يخرج عن الاحداث الحربية والسياسية .

2 ـ ان المؤلف لم يربط الحوادث بعضها ببعض ولم يبحث عن الدوافع الخفية للحركات الظاهرة .

3 ـ الفصول الاقتصادية والاجتماعية ينقصها التبسيط والتفصيل

4 ـ المصادر غير مذكورة في اسفل الصفحات

5 ـ المؤلف لم يستوعب المصادر الكافية

اما عن الملاحظة الاولى فيكفي مجرد القاء نظرة على صفحات الكتاب للتثبت من ان العكس هو الذي حدث ، وحتى اذا لم يقبل السيد الناقد هذه الحقيقة فقد يوافق على ان هناك جهدا في ضمان توازن بين الفصول السياسية والفصول المتعلقة بالحضارة امثلة :

الرومان «سياسيا» : 9 صفحات ـ حضاريا : 15 صفحة

الادارسة «سياسيا» : 12 صفحة ـ حضاريا 17 صفحة .

المرابطون «سياسيا» : 35 صفحة ـ حضاريا: 53 صفحة

الموحدون « سياسيا » : 66 صفحة ـ حضاريا : 77 صفحة .

واذا قلت ان هناك توازنا بين الجانبين السياسي والحضاري على الرغم من كثرة صفحات القسم الثاني التي تطغى على القسم الاول فذلك لان مظاهر الحضارة متعددة متنوعة ، بينما النشاط السياسي والحربي ليس الا عنصرا خلاقا لهذه المظاهر ، والجانب السياسي كما يقرر توينبي، يجب انلا يشغل من اهتمام المؤرخ الحديث الا قدرا ضئيلا حتى يتفرغ للجوانب الاخرى التي هي اهم .

وعن الملاحظة الثانية ، فان السيد الناقد لم يضرب لذلك مثالا على الاقل مع وجاهة ملاحظته كمبدأ يرتكز عليه المؤرخ ، واذا كان مقصوده ان الاحداث السياسية قد صيغت بشكل مضطرب فهذا قد يرجع الى حقيقة وقوعها او عدم اتفاق المؤرخين على طريقة سيرها ، وكيفما كان الامر فلابد من تحديد الامثلة وبيان الطريقة المثلى في علاجها ، واما اذا كان يقصد ان الاحداث المعروضة ينقصها بتعبير واضح التعليل ورد الاسباب الى المسببات ، فهذا موضع نظر، فهناك فصول خصصت لتعليل الاحداث وقيام الدول وسقوطها مما لا حاجة الى الاستشهاد له ما دام الفهرس موجودا ، فضلا عن نبذ خصصت لتقدير اعمال الدول والحكم لها او عليها ، ومن حقي ما دمت في موقف المدافع ، ان اقول ان تحليل الاحداث وبيان الاسباب العميقة لهذه الظاهرة او تلك يكاد يشمل كل فصل من الكتاب كلما كان ذلك ضروريا ، من ذلك على سبيل المثال :

1 ـ بيان الاثر الوثني في بربر الريف عن طريق السحر والتنجيم اثناء الفتح الاسلامي وبعده «ص68»

2 ـ تعليل الظروف التي ساعدت على الفتح الاسلامي للمغرب «ص 90»

3 ـ استنتاج ان المغرب في عهد الادارسة عرف مذاهب متعددة «ص 128»

4 ـ تعليل ضعف الحركة الفكرية ايام الادارسة « ص 138»

5 ـ تقدير التدخل الزناتي في القرن الرابع بكونه كان وقوفا في وجه الدعوة الشيعية « ص 158 »

ولا اريد ان اطيل بسرد الامثلة اذ لا توجد حركة سياسية او فكرية او اجتماعية او غيرها لم تحظ بقدر قليل او كثير من الاستنتاج والتعليل في فصول الكتاب وذلك في دائرة امكانيات المؤلف وجهده المحدود . .

وعن الملاحظة الثالثة ، فلا يخفى ان موضوع الحياة الاجتماعية والاقتصادية ليس الا جزءا فقط من المواضيع المطروقة ، وهكذا ينبغي ان ينظر اليها على انها مظهر من مظاهر الحياة العامة التي يدخل فيها نظم الحكم والادارة والحياة الدينية والحركة الفكرية والعمرانية وما الى ذلك . ثم ينبغي ان نعرف ان معالجة الحياة الاقتصادية بالمغرب من الناحية التاريخية امر من الجراة بل الخطورة بمكان وعلى الخصوص بالنسبة للدول التي ارخ لها في هذا الجزء ، فلا توجد ابحاث او كتب خاصة بهذا الموضوع لكل من الدول المشار اليها ، واهم المراجع في العصر الاسلامي الى نهاية الموحدين ، ما كتبه على الخصوص بعض الرحالة كالادريسي والبكري ، ونفس الامر تقريبا يقال عن الحياة الاجتماعية وحتى النبذ الهزيلة والسطور القليلة التي خصصها بعض المؤرخين الاجانب للحياة الاجتماعية والاقتصادية ، ليست بطبيعة الحال الاستنتاجات مما جاء في كتب هؤلاء وقليلا مما ورد عفوا في جمل او فقرات في مصادر قديمة تاريخية . فكان من حق الاخ الناقد ان يرشدنا الى مصادر خاصة او مفيدة في هذا الباب ، ثم يبقى من حق المؤلف ان يقوم هذه المصادر او يقر بصلاحيتها وفائدتها .

وعن الملاحظة الرابعة ، فمجموع ما تضمنه الكتاب :

1 ـ احداث معلومة عادية مجمع عليها من طرف المؤرخين على اختلاف مادتهم « تاريخ سياسي ادبي الخ» وهذه لا فائدة في الاشارة اليها لانها تقرا في كل مرجع وقد تعرف من كل قارىء مثل ان تقول فلان مات سنة كذا ، او ان المرابطين لم يدخلوا الى طليطلة او ان الرباط اسسها المنصور الموحدي .

2 ـ رد على نظريات وءاراء اجنبية وهذه يذكر بطبيعة الحال اصحابها ومصادرها وكذا الامر فيما يخص الرجوع الى هذه الاراء والنظريات وحتى مجرد الحقائق المقررة « انظر مثلا : ص 17 « المرجع مذكور في فهرس المصادر» 18 ، 22 ، 23 ، 25 ، 28 ، 50 ، 56 ، 90 ، 107 ، 167 ، 179 الخ »

وهكذا ايضا تنسب المعلومات المستقاة من مراجع عربية الى اصحابها ، ولا يمكن ان يذكر في نهاية اقسام الكتاب مرجع لم تسبق الاشارة اليه .

3 ـ استنتاجات خاصة بالمؤلف ، وهي كثيرة وليس من المعقول ان يتكرم باسنادها الى احد ما دامت ملكا حلالا له مهما بلغ من تفاهتها او قيمتها ، فاذا تبين ان هناك فكرة لاجنبي اسندها المؤلف الى نفسه، فلا باس بتحديدها وبيان مكانها مثلما يطالبني الاخ الناقد من جهته ببيان المراجع في ابانها وهو ما فعلته « الصفحات المشار اليها ءانفا »

ومن الطريف ان المؤرخين الغربيين الذين رجع اليهم المؤلف ، ندر جدا ان يشيروا الى مراجعهم بنفس الطريقة التي نبه عليها الناقد وطبقتها في كتابي ، فهم عادة ، يذكرون مراجعهم في اول ابحاثهم ، ثم يذكرونها مجتمعة في نهاية الكتاب وقد يسجلونها في اوله .

وحسب استنتاجي في هذا الباب ـ والله اعلم ـ ان تدخلاتهم الخاصة في مناقشة الاحداث وتعليل الظواهر العامة والخاصة تطغى على اهتمامهم بالحقائق المسلمة والوقائع التي سبق عرضها مرارا من طرف مؤرخين قدماء ، فهم يعرضون هذه الوقائع لا لذاتها ولكن ليستنتجوا فكرة معينة على طريقتهم الخاصة .

والملاحظة الاخيرة جديرة بالتسجيل كسائر الملاحظات التي ابداها السيد الناقد ، وهي عدم الاكثار من المصادر ، وهنا يؤسفني ان اسجل ان الاخ السابح لم يدل بقائمة المراجع التي كان ينبغي ان تضاف الى المصادر التي رجع اليها المؤلف ، وعلى الرغم من ان هذه المصادر ليست بالكثرة التي تتناسب والموضوعات المطروقة لتنوعها فان العبرة ليست بالكم ، بل بالمحتوى اي بمحتوى المراجع التي لم يعتمدها المؤلف وكذلك بطريقة الاستفادة من الكتب المعتمدة .

فتاريخ المغرب كتبه احد ثلاثة :

1 ـ مؤرخون مغاربة اكثرهم اكتفى بتاريخ الدولة التي عاصرها وفيهم مجهولون لا تعرف هويتهم، وما كتبوه قليلا جدا بالقياس الى عظمة المغرب ونشاطه السياسي وغير السياسي .

2 ـ مؤرخون مسلمون ، عرب وغيرهم ، كتبوا عن المغرب وعاشوا فيه عن كثب او بعيدين بالمرة عن المغرب ، مثلما كتبه ابن الاثير وابن خلدون .

والى كلتا الطائفتين رجعت بما فيه الكفاية ، لان التطويل يضخم حجم الكتاب مما لا يطيقه ناشر بالمغرب ، كما ترتفع تكاليفه على القارىء ، مع العلم ان المجلد القادم لا مناص من اخراجه في حجم اضخم اذا تيسر نشره .

3 ـ مؤرخون اجانب ، وهم يعدون بالعشرات ولكن اهتمامهم ينصب في معظمه على الفترة الواقعة بعد الموحدين ، ويطغى هذا الاهتمام خاصة بالنسبة للفترة التي تسبق الحماية الفرنسية مباشرة وتمتد الى عهد الاستقلال . وفي جميع الاحوال ، فليس كل ما كتبه الاجانب قيما من جهة ولا موثوقا به من جهة اخرى ، بل ان القليل فقط ، يمتاز بالرصانة والرجوع الى المظان الحقيقية وهؤلاء قد لا يبلغون اصابع اليدين عدا فيما يرجع الى تاريخ الفترة السابقة للمرينيين ، وقد رجعت الى ابرزهم من مؤرخين واثريين وغيرهم ، وبعبارة موجزة ، فمعظم ما كتبه الاجانب اما مجرد معلومات عن وضعية بالمغرب كانت تسوغ اقرار الحماية الفرنسية في نظرهم، واما تبرير التصرفات والخطة التي سلكها ممثلو الحماية بعد اقرارها .

وينبغي ان لا اترك هذه الفرصة تمر ، دون ان اشير الى ان كتاب « المغرب عبر التاريخ » لا يتمثل فيه الكمال بحال ، فهناك بعض النقط التي يمكن اضافتها في طبعة قادمة ان شاء الله ، وقد تؤثر بزيادة قليلة او كثيرة في مادته ، وهذه النقط قد بدأت بتسجيلها منذ شهور ونرجو الله ان يغلبنا على كل الصعاب، ولكنها لا تعتبر اساسية او لها اثر على منهاج الكتاب الحالي .

وقد لاحظ الاستاذ عدم حديث المؤلف عن الحركة الفكرية في عصر الولاة ، وهو العصر الذي لم يكن الاسلام فيه قد ثبت اقدامه بالمغرب ، فاي حركة فكرية هذه التي يمكن ان يتحدث عنها مؤرخ هذا العصر المضطرب الذي كانت الوثنية تضرب فيه اطنابها في مختلف ارجاء المغرب ؟ فاما ان كانت هناك اسماء بعض البربر الذين تلقوا العلم فهذا لا يعني ابدا وجود حركة مزدهرة في وقت لا يزال الاسلام يبحث فيه عن طريقه الى المغاربة ولم يكن المغرب الا مقاطعة تابعة للادارة الاقليمية بالقيروان ، فهل بنيت مدارس؟ هل اسست خزائن ؟ هل الفت كتب ، هل دونت اشعار ؟ ماذا نعرف عن ذلك كله مما يستحق بحثا ضافيا ؟ ما هو نشاط الفئة القليلة من رجال العلم الذين ظهروا في هذه الحقبة ؟

لا يكون اثر حتى يوجد مؤثر ، فهل اثر عصر الفتح الاسلامي الذي يسميه الاخ السايح عصر الولاة في ميدان الفكر بالمغرب ؟ اما انا فاؤكد ان لا ، لان توطيد الاسلام لم يتم على يد العرب وحدهم ، بل لم يتم بالتاكيد في كل المغرب الا على يد المرابطين ، وما دام اثر الولاة ضعيفا في الاسلام بهذه الديار ، فمن الثابت قطعا ، ان اثرهم كان جد ضعيف في الميدان الفكري .

وتحيتي وتقديري للاستاذ السايح واعترافي مرة اخرى بوجاهة ملاحظاته كمبدا وخطة .

الرباط ـ ابراهيم حركات

ديوان المجلة



« ومع انني تعودت ان اقف في الشاطىء ، فان هذه الوقفة كانت تختلف عن كل وقفة اخـرى ٠٠ »

ومطاف افقك في مـدى قلبـي مداه — القـاه في صـدري وفي نفسـي اراه
فيـه الميـاه تظـل هائجـة ، وفـي — قلبي اصيـخ الى هديره او صـداه
في وجهـه الامـواج تلطمهـا العـوا — صف ثم ترميها هنـاك علـى ربـاه
وانـا احـس بهـا تدمدم في دمـي — في عمق هذا القلب ، في اقصى مداه
في جوفه خـوف ، وفي جنباتـه — ليل كئيب ، قاتم يعلـو سمـاه
من عمقـه يجـري القمـام ويرتمي — مثل الدموع عليـه يندب ما دهـاه
وظلام روحـي لـف احلامـي وحـ — ـجبهـا ، وهام الخوف في نفسـي وتاه
ودواخلـي تعلـو مـداهـا غيمـة — تبكي على قلبي ٠٠ على اغلى منـاه
لا فرحة يهمـي علـي سناؤهـا — او كوكب امشي هناك على سنـاه
فكأننـي شبـح ، واحلامـي مبعـ — ـثرة ، واشجـان ، وانـات ، وءاه
او انني كهف قـد ارتطمت دواخـ — ـله مـع التصخاب وانزعـزت ذراه

* * *

يا بحر ، كـم تهتاجنـي وتثيرنـي — زفرات قلبك حين تصطفق الميـاه
يا بحر ، يـا مهـد الخيـال وسـره — يا مقلـة الاوهـام ، يـا لغـز الحيـاه
يا بحر ، انت انا ، كلانـا واحـد — ما غاب منـي فيـك منطرحـا اراه
ووجـوم شاطئـك الجذيب اراه في — صدري ، وابصر في جوانحه لظـاه
حصباؤه تحكـي شـرود خواطـري — ورضابه مثلي يضيـع على ثـراه !

العرائـش ـ حسن محمد الطريبق

دمعة الشاعر

للأستاذ الشاعر: عبد المجيد بن جلون

غـن واصدح في الوجـود الزاهـر
انعش الكـون بلحـن ساحـر
انسـه معنى الاسى يا شاعـري
واختصـر عـالمنـا في نغمـة
واعتصرهـا مـن شقـاء ونعيـم

غـن لليـل وللفجـر الوليـد
غـن للزهـر وللطيـر السعيـد
غـن للاتي وللامس البعيـد
مثل طيـر سابح في روضـة
يذرع العمـر .. يغنـي ويهيـم

لقن الادهـار لحنـا لا يـزول
وليعش صوتك في الكون الجميـل
خالد الالحان جيلا بعـد جيـل
وتالـق في سمـاء الشهـرة
نجمـة ساطعـة بين النجـوم

آه لكن .. اختبر هـذا النغـم
ايـه اصـدق ؟ انغـام الالـم ؟
ليت شعري او ترانيـم الحكـم ؟
او لحـون صفتهـا في اللوعـة
او لحون الوصف للكون العظيـم

لا .. فهـذا كلـه نمقتـه
انمـا اصـدق مـا رددتـه
انمـا اروع لحـن صغتـه
دمعـة ترسلهـا في الظلمـة
صامتـا في حلكة الليل البهيـم

الرباط : عبد المجيد بن جلـون

في محراب الذكريات

الروض المهجور

للشاعر: عبد الكريم التواتي

« يقترن اسم روض ابي الجنود او منتزه ابي الجنود بفاس ، وعلى الدوام من افكـار الرعيل الاول للحركة التحريرية بالمغرب ، وخاصة اولئك الذين قدر لهم ان يعيشوا لفترات طويلة بفاس ، يقترن بكثير من الذكريات فيها الحلو المفري المضحك ، وفيها المر المؤسف المحزن ، وكان هذا المنتـزه ملتقى الادباء والشعـراء والسياسيين الذين كانوا يتخذون من مفاهيمه المنتشرة على ضفاف فـروع وادي الجواهر المارة من هناك نوادي ومجالس .. ولم اشاهده منذ سنوات ، وقدر لـي ان اشهد ـ وفي شهر نوفمبر من سنـة 1965 ـ وانا امر من هناك عمالا يروحـون ويجيئون فدعتني حركتهم لزيارته ، فشاهدت بركته الرائعة وقد جف ماؤها ، ورأيت الخمائل الجميلة قد صوح نبتها ، والخيزران الباسق الاغصان يتناوح علـى مصيـره ، فلم املك الا ان اسجل هذه الارتسامات ، واني اهدي هذه القطعة لارواح الذين قد رلهم في يوم ما ان زاروا او سيزورون هذا المنتزه الجميـل »

عبـد الكريـم التواتـي

فردوس فاس وقاك الله ارهاقـــا   وطاب ربعك ايناسا واشراقـــا
يا مرتع الذكريات الغـر طافحـــة   بالانس والبشر ، لا اعدمت ارفاقـا
« وادي الجواهر » في احناك كوثره   يجري فينعش ارواحا واحداقـــا
والسرو ، والخيزران الرابضان على   اقداس عرشك صانا منك آفاقـــا
يجوس ابعادها العشاق هائمـــة   ارواحهم ، تتملى النور خفاقـــا
كانما انت ، و « الاجساد » حانيـة   عليك ترعاك ، لا تالوك اشفاقـــا
جنات عدن ، بها الاملاك محتفـــة   تختال في برد ، تختال ايراقـــا

❊ ❊ ❊

يا موطن اللهو ، والايام ريقـــــة   والحب عذب الجنى ، ريان رقراقـا
زهت بحسنك فاس، وانتشت فرحا   وهيج الشوق « بطحاها » وعشاقا
ما عرس روضك ، والازهـار طائعة   والطير يصدح الحانا واشواقـــا
والعطر ينشر في ارجاك خمرتـــه   فينتشي الروض ادواحا واعراقـــا
والدوح يرقص ، نشوانـا ، غدائره   فتلثم الماء تحنانـا وتياقـــا

والغيم وسنان يوحي النهر اغنية … تنساب منه خرير اللقا ، تاقا
الا نسائم من معناك ناشرة … على البسائط بشراها ، واطواقا
يا روض ، اي عتي السافيات اتى … على معانيك ، اقواء ، واطباقا
اضحت معالمك اللاتي انسنا بها … ازمان ، لذ الهوى صفوا واشراقا
قفرا ، يدمدم في ارجاء جنتها … بوم ، وينعق ارعادا وابراقا
ينعي روابي ، كانت للهنا سكنا … وللصفاء ملاذا شاق مشتاقا
ويبكي دوحك ، والحسون هاجرها … حزنا ، احست له الازهار ارهاقا
قد غاض نهرك واجتثت طحالبه … وغام صفوك ، واستبدلت اطواقا

* * *

وصوح الزهر ، وابؤسا لمنظره … والريح بعثره ، جذعا واوراقا
اما الخمائل ، فالاعصار ارهقها … فاصبحت بلقعا غفلا ، وانفاقا
تناوحت ، في رباها ، الريح عاصفة … فقوضت من حماها ، الاس والساقا
وفي سواقيك ، للالام دمدمة … لها النواعير تجري الدمع مهراقا
تسر للنهر في يأس وزمجرة … اقصوصة الكون ، انجاحا واخفاقا
وتسمع الطير نجواها ، فيرسلها … شجوا يزعزع اغصانا واوراقا
فترسل النوح لا ترقى بما جرعت … من خمرة الطل ابساسا واغداقا

* * *

كانت رحابك للعشاق منتجعا … وللندامى امانيا واشواقا
نرتادها ، وسرور الانس يسكرنا … طيبا ، ويغمرنا فنا واذواقا
فاصبحت جرزا ضنكا معالمها … خرسا ، وكانت بها الايام احداقا
اين الصبايا الملاح الدل والهة … قلوبهن هوى غضا واشواقا
يسبحن في البركة القوراء في دعة … ويرتجزن نشاوى والهوى راقا
اين المسارح ، والارام طاب لها … بها ، الفنا ، فاقامت فيه اجواقا
في كل زاوية اصداء اغنية … تشجي الحنايا وتوحي القلب اشراقا
اين المقاهي وقد كانت مرابعها … للهو للشعر ، للالحان اسواقا
لا شيء ، الا خيالات بكت ندما … على زمان ، قضى هما وارهاقا
تلك الحياة ، وما يرجى لها رشد … وليس تحفظ للانسان ميثاقا

فاس — عبد الكريم التواتي

اسطورة انسان

للشاعر: عبد الكريم الطبال

سيان عندي ان اثرثر في صفاء   الحلم كالقيثار . كالنهر الغرير
او استكين الى الاسى في وحشة م   الادغال . في صمت الاماسي والقبور
ضحكي وحزني غيمة تمشي بلا   ماء على صحراء صيف كالسعير
وانا جنازة ضائع تسري الى   قبر بلا صخب كموجات العبير
قدري : ظلال راعشات تحت غصن   الوهم . اصداء مهلهلة تسير
اشباح ليل عاصف لا تستبين   لفير مجنون النوازع والشعور
احلام اطفال مذهبة الرؤى   هي رغوة تنساب في ساح القدير
صور بلا لون بلا ظل لها   سر الحقيقة في خيالات الضرير
فلم الجنازة يا ترى والعمر   والانسان والاحلام اوهام تطير ،
فلم الكتابة والشرور وعالمي   كالثورة البيضاء في كاس يغور ،

عبد الكريم الطبال

قصة العدد

المشلول

للأستاذ ياسين رفاعية

افكر احيانا ان اقذف بنفسي من النافذة المطلة على الزقاق ، وقد رسمت الخطة اكثر من مرة ، بان امد رأسي منحنيا واهوي ، فاسقط عليه وينتهي الامر .. فهذا هو الشهر الثالث وانا على هذه الحال ملقى فوق فراشي لا استطيع الحراك ، مصاب بشلل فى القدمين والظهر ، والطبيب ليس متاكدا من النتائج التي يحاول الوصول اليها .

ونقمت على الحياة الى حد الحقد ، فانا ما زلت شابا يافعا لم اتجاوز من العمر الخامسة والعشرين ، وقد ساءني جدا ان اجد نفسي مشلولا وانا فى هذه السن لم انل من الحياة ما كان يجب ان اناله .

وكم اشعر بالالم العنيف عندما يدخل علي بعض اصدقائي الذين كنت اقضي معهم ليالي ممتعة لا ننسى ذكرياتها قط .

وكانوا يدخلون علي يحاولون تسليتي ، ومشاركتي شعوري فيجلسون عندي بعض الساعات ثم يتحدثون امامي عن كيفية قضاء سهرتهم .

وكان الالم فى تلك اللحظة يمزق روحي رهيبا ، وكنت اتظاهر بان مصيبتي هينة ولابد من شفائي فى يوم ما ، الا انني ضمنا لم اكن اومن بكل هذه الاشياء بل على العكس كنت اشعر بانى اسير من سيء الى اسوأ .

كان الزقاق يمتد امامي كنفق قطار يدخل اليه النور من خلال المنازل المتداخلة فى بعضها من فوق ، كأنها كتلة واحدة من الطين والتراب ، كانت ارضيته فيها بعض الاتساع الا ان حصته من السماء والنور لم تكن كذلك ابدا ، ومن هذا اصبح الزقاق مرتع الاطفال ، لان المطر لم يكن يستطيع التسرب الى ارضيته .

كنت احاول ان اتسلى بالنظر من عل الى الاطفال الذين يلعبون لعبات تذكرني بطفولتي التي اتمنى لو تعود ، فيزيد ذلك من المي بشكل حزين .. حزين .

واليوم الجمعة ، وكان الاطفال فيه كثرا وقد الفت وجوههم لتكرار مشاهدتي اياهم ، الا انني رايت هذا اليوم طفلا جديدا لم الحظه من ذي قبل ، كان قد وقف متفرجا مستندا الى الجدار ، وكانت **قدمه اليمنى مبتورة** وقد استند على عكاز حمله تحت ابطه ولم يتجاوز على ما اظن الثالثة عشر من عمره ، تأملت وجهه فاذا بالكآبة تعلوه كأنه شيخ ممن مرت عليه اهوال مخيفة .

كان الاطفال يلعبون لعبة مسلية مضحكة ، الا انه لم يكن يبتسم على الاطلاق فهو ينظر اليهم بشرود ووجوم وفى جبينه تقطيبة قاسية ، كأنه يتألم من وضعه فى هذه الاثناء ، تقدمت منه طفلة احسبها تصغره بعامين وصرخت فى وجهه بصوت عال : اين قدمك الثانية ؟

شعرت بالحرج بدل الطفل ، حتى ان العرق راح يتصبب من جبيني بغزارة وتمنيت لو كنت واقفا اسفل لصفعتها وابعدتها عنه ، ولكن الطفل ابتسم لها كأنه سئل مثل هذا السؤال اكثر من الف مرة .. ثم ربت على كتفها ولم يجب .

ابتعدت الطفلة عنه تعدو ، وكأنها قد فخـــرت بنفسها ، لانها ليست بقدم واحدة مثله ، وكانت قـد وصلت بالقرب من كومة حجارة ، فالتقطت حجريـن وقذفته بواحد منهما اصابته في بطنه تقريبا ، وتألم ، وكان ذلك ملاحظا من وضع يده بشدة على بطنـــه ثم صرخ بالفتاة ان تكف عن ذلك ، الا انها ابتعدت عنه قليلا وهي ما تزال تضحك ، ثم قذفته بالحجر الثاني الذي اصاب صدره بقوة اعنف من السابق .

كنت هذه الاثناء اتألم للطفل كثيرا ، ووددت مرة ثانية لو استطيع الحراك لابعدت هذه الطفلة عنه ، وتساءلت حينها : « ترى .. بماذا يفكر الطفل مـــن الداخل ..؟ هل يتألم كما اتألم انا ؟ هل يفكر كمـــا افكر انـــا ..؟ ثم ما الاسباب التي واجهته حتى اصبح بقدم واحدة لا يستطيـــع ان يلعب كما يلعب الاخرون. يا للمسكيـــن .. »

كانت الطفلة قد عادت اليه مرة ثانيـــة وقد ملات يديها بحجارة صغيرة ثم راحت تقذفه بها الواحدة تلو الاخرى ، وكان قد لذ لها ، انه لا يستطيـــع مقاومتها او اللحاق بها ان هي فـــرت .

وكانت قوة احتماله ، قد نفذت على ما يبدو ، فاذا به ينحني نحو الارض ويلتقط بعض الحجـــارة بغفلة من الطفلة وينتظـــر .

وتساءلت : « ترى .. ماذا سيفعل ..؟ هـــل يضرب الفتـــاة ..؟» ولذ لي ان اراقبه عن كثب لاجد ماذا هو فاعل ...

كانت الطفلة قد بدأت تلتهي باشياء اخرى ... فاذا به يتقدم منها على حذر شديد .. حتى انه كـــان يحاول ان لا يسمع لعكازه صوت ، ولما اقترب منهـــا كثيـــرا صرخ في وجهها : «لماذا كنت تقذفينني بالحجارة يا ملعونـــة » فوجئت الطفلة فبان على وجهها الرعـــب .. اذ ذاك بدأت تتراجع حتى التصقت بالجدار .. كانت يده مرتفعة وفيها الحجارة كأنه يود فعلا ان يقذفها بهـــا .

ولما اصبح قريبا جدا منها انتحبت بمـــــرارة وراحت تصرخ : «دخيلك . ابوس رجلك » ابتسم الطفل ابتسامة المنتصر وقال لها بهدوء استطعت ان اسمعه : « اي رجل .. قالت : «هذه» واشارت الـــى المبتورة . فقال لها « هيا قبليها » ولما حاولت ان تفعل ما امرها به .. اذ به يبتعد عنها ويقذف بالحجـــارة الى الارض .. ثم يحط برأسه الى الجدار ويبكـــي بمرارة .

خنقتني العبرة ، وكادت دموعي ان تطفر مـــن عينـــي ، لولا انني تماسكت وظللت اتابع تلـــــك المصيبة .

كان الالم قد ظهر مليا علـــى وجـــه الطفلـــة ، فتقدمت على مهل ، وربتت على ظهره بيد حنون ، ولما التفت نحوها ، كانت عيناه تنضحان بالدموع ، ولكنـــه حاول ان يبتسم .. ثم حمل يده ولمس شعرها الذهبي بلطف وايناس ، فاذا بها تلتقط حجرين وتمد يدهـــا بهما اليه ، وتقول بـــسذاجـــة : « خذهما .. اضربني ... الله يخليـــك » فقال وكأنه شيخ من ينصح ابنته « لا .. لا .. انا لا اضرب احدا وانت يجب ان تكوني مثلي » فقالت بنفس الـــسذاجة : «واللهما عدت اضرب احدا ابـــدا ..» ثم راحت تبتعد عنه وهي تلتفت اليه بيـــن لحظة واخرى.. وفي عينيها نظرات ملؤها الاسف والاعتذار حتى التوت من فم الزقاق وغابت عـــــن الانظـــــار .

انتظر الطفل قليلا ، ثم ذهب خارجا من الزقاق وهو يطرق بعكازه الارض طرقات مخيفة ، كانت تـــرن في راســـي كضربات مطرقة حداد .

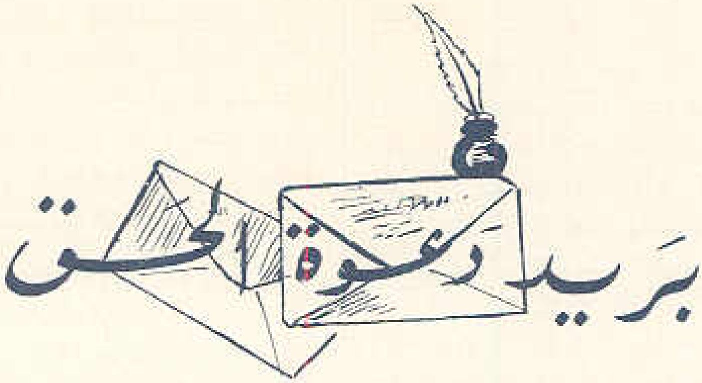
عدت الى نفسي كانني كنت اعيش هذه المصيبة، وتأملت ما حدث لي ، فشعرت ان مصيبتـــي تافهة ، وصغيرة جدا بالنسبة لمصائب الاخرين ، فهان الامـــر علي ، طالما ليس هناك من يسخر مني كما سخرت تلك الطفلة من صاحب القدم المبتورة ، وكم اعجبـــــت بمعاملته لها وكيف اعتذرت له بتلك السذاجة اللطيفة.

كان علي منذ تلك اللحظة ان اعتبر ان مصيبتي لم تكن بالنسبـــة لتلك المصائب التي تزخر بها حياتنـــــا الانسانية المتعبة الا مصيبة صغيرة .. صغيرة جدا ، وقد تطول حياتي او تقصر ، وقـــد يستمر مرضي او اشفى ، الا ان عقلي يجب ان يفكر دائما بحياة فاضلة ، وكأنني واعظ اعظ نفســـي : « يجب ان اعتبر كـــــل مصيبة تمر بحياتي تافهة بشكل لا يستحق التفكيـــــر بهـــا .. حتى استطيـــع التغلب عليها .. »

ان الطفل ذا القدم المبتورة يستطيع ان يعلمني: « ان الانســـان شجاع وعلى شجاعته يستطيع ان يبنـــي تعاسته او سعادتـــه » .

اذ ذاك اسلمت راسي للوسادة ، واغمضت عيني لاروح في رقـــاد طويـــل .

بيروت ـ ياسيـــن رفاعيـــة



توصل بريد المجلة خلال هذا الشهر بعدد غير قليل من الكتب والمجلات والنشرات والرسائل من مختلف انحاء العالم ، وقد احببنا ان نشرك قراءنا في قراءتها .

وهكذا فقد بعث الينا الدكتور « نقولا زيادة » استاذ التاريخ العربي الحديث بالجامعة الامريكية في بيروت طائفة من كتبه القيمة عن الزيارة التي كان قد قام بها الى وطننا في الصيف الماضي . ومن هذه الكتب :

(لمحات من تاريخ المغرب)

وقد استهل هذا الكتاب بمقدمة قصيرة ولعلها تصور اصدق تصوير مضمون الكتاب فقد جاء فيها :

« ما اكثر ما في التاريخ العربي من قاعات قل من دخلها، وسبل قل من طرقها ، وزوايا قل من ولجها ، وفيها كلها خير كثير لو انصفها الناس .

هذه اللمحات التي اقدمها اليك هي ثمرة جهد في سبيل التعرف الى بعض تلك النواحي من تاريخ العرب .

ولقد لقيت في جمعها متعة ولذة ، رأيت ان لا احرمك منها ، وآمل ان اوافق الى اثارة رغبتك في الكشف عن نواح اخرى ...) .

وقد ضم الكتاب اقساما ثمانية :

فالقسم الاول خصه بالمجتمع العربي ، والقسم الثاني تحدث فيه عن العرب في جزر البحر الابيض المتوسط ، والثالث عن ديار الشام كما عرفها ، والرابع عنونه ب اندلسيات ، والخامس « صفحات من تاريخ العرب » ، ثم في القسم السابع « الشرق العربي في صبح الاعشى » وفي القسم الثامن «مغربيات»، وقد تحدث في هذا القسم الاخير عن مدينة وليلي قلب المغرب ، « والتجاني في طرابلس الغرب » ، و « اليوسي المغربي » ، و « الشيخ محمد قباد » العلامة التونسي الكبير الذي تنتمي اجداده الى مدينة طرابلس ...

الجغرافية والرحلات عند العرب

وهو من جملة الكتب التي اتحف بها خزانتنا الدكتور (نقولا زيادة) ، وهذا الكتاب قد تم طبعه على مطابع دار الكتاب اللبناني . وقد احتوى الكتاب على اقسام ثلاثة :

خصص القسم الاول منه على التحدث عن « العرب والجغرافية » وتحت هذا القسم تكلم عن المدرسة اليونانية العربية ، والمدرسة العربية ، كما خصص الفصل الرابع عن خاتمة الجغرافيين الكبار من المدرسة العربية التي بلغت اوجها في القرن الرابع (القرن العاشر) ابي عبد الله محمد بن ابي بكر البناء ، المعروف بالمقدسي ، وفي الفصل الخامس حديث عن « المعاجم الجغرافية » .

والقسم الثاني من الكتاب يشتمل على «ادب الرحلات» وقد تحدث فيه الدكتور (نقولا زيادة) وباسهاب عن طلائع الرحالين ، كالمسعودي الذي يعتبر علما من اعلام الفكر العربي الاسلامي في عصر نضجه .

وقد عقد فصولا تحت هذا الباب ذكر فيها : « رحالين من المشرق » و « رحالة من المغرب » ذكر منهم ثلاثة خصهم بترجمة وافية ، وهم ابن جبير ، وابن سعيد ، والعبدري .

والعبدري هذا هو محمد بن محمد بن علي وينسب الى عبد الدار، واسم العبدري مرتبط ببلنسية من حيث اسرته و بالصويرة.

وفصل آخر عن رحالة عالم وهو عبد اللطيف البغدادي ، وعن شيخ الرحالين ابن بطوطة ، ثم ابن فضلان ، والتجاني التونسي .

تونس في عهد الحماية من 1881 – 1934

وهو عبارة عن محاضرات القاها الدكتور (نقولا زيادة) على طلبة قسم الدراسات التاريخية والجغرافية .

البهائيــة حــزب لا مبدأ

وهذا الكتاب من جملة الكتب الصادرة من سلسلة منابع الثقافــة الاسلامية . وقد الفــه الســيد احمد الفالي احد المدرسين بكربلا ، وله مكانة علمية مرموقة بين المدرسين .

وقد عرض الســيد المؤلف بايجاز للبهائية هذا الحــزب السياسي الذي اسسه الاستعمار باسم الدين ليضرب به الحركات الاسلاميــــة .

كما عرض لتاريخ زعماء البهائية ، وقادتها وحياتهــــم باختصار ، ويذكر بعضا من صلاتهم الوثيقة بالمستعمرين ، وانهم كيف ادعوا ما ادعوه ، وهم يجهلون حتى اللغة وابسط الاشياء .

المؤتمر الثانــي لمجمع البحوث الاسلاميــة

نشرت (اضواء) مقالا بقلم حسن المخاخني عن المؤتمر الثاني لمجمع البحوث الاسلامية جاء فيه :

انعقد في العام الماضي اول مؤتمر لمجمع البحوث الاسلامية بعد صدور قانون تطوير الازهــر الشريــف وتشكيل مجمــع البحــوث الاسلامية ، واستقبلــت القاهرة طلائع علماء المسلمين الذين وفدوا من قرابة اربعين دولة اسلامية من شتى ارجاء العالم ليشاركوا في وضع قواعد البحث المشترك والفهم المتطور في الفقه الاسلامي وعلوم القرآن الكريم والسنة النبوية لتحقيق التلاؤم بين واقع الدنيا واصول الدين في غير جمود او تحليل .

وقد اجتمع في صيف هذا العام مؤتمر مجمــع البحــوث الاسلامية في دورته الثانية بمدينة القاهرة ايضا وانعقد المؤتمر على فترتين : الاولى من يوم الخميــس 12 من المحرم سنــة 1385 الموافق 13 من مايو 1965 ، والثانيــة من يوم الاربعــاء 25 من المحرم سنة 1385 الموافق 26 مايو 1965 الى تاريخ الجلسة الختامية للـــدورة .

وحضره عدد وفير من علماء المسلمين ومفكريهم من مختلف البلاد الاسلامية في افريقيا وآسيا واوربا يمثلون اكثــر من 35 دولة على النحو التالي :

مــن افريقيــــا :

ليبيا – تونــس – الجزائــر – المغــرب – الســودان – نيجيريا – السنغال – مالي – غينيا – سيراليــون – توجــو – اوغندا – كينيا – جنوب افريقيا .

ومــن آسيــا :

العراق – اليمن – الكويت – عمان – الاردن – لبنان – فلسطين – البحرين – افغنستان – باكستان – الهند – اندونيسيا – سيلان – الفلبين – ماليزيا – اليابان – تركيا .

ومن اوروبــــا :

المجر – روسيا – اليونان .

وتضمنت كلمات الوفود جوانب شتى من رسالة المجمع في العمل على دعم الاسلام والدعوة اليه ، ورفع مستــوى المسلميــن وتوحيد صفوفهم لواجهة المشاكل والقضايا الاسلامية الراهنة ، كما عكست صورة الآمال التي يعلقها المسلمون في كل مكان على قيام هذه المؤسسة الاسلامية العظيمة . وقد اكدت كلمات المتحدثين جميعا ضرورة العمل الاسلامي الموحد من اجل تحرير فلسطين بوصفها قضية المسلمين جميعا ، كما اشادوا في كلمتهــم بالدور القيادي الذي تقوم به الجمهورية العربية المتحدة معقل العروبة وموطن الازهر في هذا السبيل .

هذا وقد تضمنت بحوث المؤتمر الموضوعات التالية :

1 – العقيدة الاسلامية كما جاءت في القرآن الكريم لفضيلة الشيخ محمد ابي زهرة .

2 – الزكاة لفضيلة الشيخ محمد ابي زهرة .

3 – تنظيم الاسرة وتنظيم النسل لفضيلــة الشيــخ محمد ابي زهرة .

4 – استثمار الاموال في الاسلام للدكتور محمد عبد الله العربــــي .

5 – المعاملات المصرفية المعاصــرة ورأي الاســلام فيهـــا للدكتور محمد عبد الله العربي .

6 – شبابنا المثقف امام الايمان والتدين لفضيلة الشيـــخ نديم الجســـر .

7 – تربية الشباب على مبادئ الاســلام للاستــاذ عبــد الحميد حســن .

8 – اثر الحضارة الاسلامية في رقي البشرية وسعادتهـــا للاستاذ محمد خلف الله احمد .

9 – مكانة المرأة في الاسلام للدكتور ابراهيم اللبان .

10 – المعاملات المصرفية للاستاذ وفيق القصار .

11 – فلسطين واسرائيل للدكتور اسحق الحسيني .

12 – مقومات الحضارة الاسلامية للدكتور سليمان حزين .

13 – التأمين لفضيلة الشيخ علي الخفيف .

14 – موقف الاسلام من الرق في العصر الحاضر للاستاذ عبد الله كنون .

15 – الصدقات في الاسلام للدكتور محمد مهدي علام .

وكان اهم ما اوصى به المؤتمر خلال الفترة الاولى من انعقاده التالي :

1 – ضرورة وقوف الدول الاسلامية صفا واحدا في كل ما يمس مصالح المسلمين في حياتهم الدينية والدنيوية

2 – المسارعة في تحديد الوسائل العلمية لنشر الاســلام وكيفية تمويل هذه الوسائل .

3 – اعتبار قضية فلسطين قضية المسلمين جميعا مع ضرورة اعطائها كامل اهتمامهم ومطالبة الدول الاسلامية

التي اعترفت بحكومة اسرائيل بسحب اعترافها ، ومطالبتهم بتنفيذ قرارات مؤتمري القمة العربيين ومؤازرة منظمة التحرير الفلسطينية .

اما القرارات والتوصيات التي وصل اليها المؤتمر في الفترة الثانية من انعقاده فمنها ما يتعلق :

1 ـ بالشؤون المالية والاقتصادية : كالتأمين والمعاملات المصرفية واستثمار الاموال والزكاة وصدقات التطوع .

2 ـ ومنها ما يتعلق بشؤون الاسرة والشباب : كشؤون تعدد الزوجات والطلاق وتحديد النسل وتربية الشباب تربية دينية كافية . ومنها ما يتعلق اخيرا :

3 ـ بالشؤون الاجتماعية والحضارية : كموقف الاسلام من الرق الفردي والجماعي ومقومات الحضارة الاسلامية واثرها في سعادة البشرية ورقيها ، ومطالبة السلطات التعليمية في كل بلد اسلامي بضرورة تقرير دراسة الحضارة الاسلامية مادة اساسية في الجامعات ومعاهد التعليم .

هذا وستقوم الامانة العامة لمجمع البحوث الاسلامية باصدار كتاب جامع يسجل تفصيل كل ما قيل وما كتب من بحوث وما دار من مناقشات والقرارات التي اتخذت خلال الدورة الثانية للمؤتمر لتوزيعه على جميع الشعوب والهيآت العلمية الاسلامية وغيرها ليرى المسلمون على هداه طريقهم الى الحق والخير والحياة الكريمة .

* * *

مجلة «المغرب»

اصدرت وزارة المثل الشخصي لجلالة الملك العددين السادس والسابع من مجلة « المغرب » الغراء ، وقد اشتمل العددان على المواضيع التالية :

فاس من خلال المخطوطات التونسية بقلم العلامة الاستاذ محمد الفاضل بن عاشور .

« دور القرويين في جعل مدينة فاس احدى العواصم الكبرى » للاستاذ محمد الفاسي .

« رسالة ابن ابي زيد القيرواني واثرها في تدريس الفقه المالكي بالمغرب » بقلم الاستاذ مولاي عبد الواحد العلوي .

«المخطوطات التونسية بالمغرب » بقلم الاستاذ محمد المنوني .

وقد اشتمل العددان على صور بمناسبة زيارة السيد الحبيب بورقيبة و « ريبورتاج » عن الاستعراض الرائع للقوات المسلحة الملكية بمناسبة عيد الاستقلال ، كما تضمن العددان تسجيل اللقاء العربي الكبير في الدار البيضاء لمعالجة القضايا التي تهم الشعوب العربية حاضرا ومستقبلا .

الوحدة

« الوحدة » مجلة تصدرها وزارة شؤون موريطانيا والصحراء المغربية ، وقد صدر العدد الخامس من هذه المجلة حافلا بالدراسات والابحاث .

وقد جاء في احدى المقالات التي تحدثت عن موقف المغرب من موريطانيا قولة مومنة لصاحب الجلالة تبين بوضوح بان المغرب لم يتغير موقفه من قضية موريطانيا والصحراء :

لقد القى احد الصحفيين اللبنانيين الذين اتوا الى المغرب مؤخرا سؤالا على عاهل المغرب في مقابلة صحفية تناولت عدة جوانب من الحياة السياسية والاقتصادية في المغرب ، وكان جواب صاحب الجلالة اعزه الله واضحا حين قال في موضوع موريطانيا :

(كلا ابدا ، واني احيلكم على نص البيان المشترك لمؤتمر القمة بالدار البيضاء هذا البيان الذي يعارض بشدة كل محاولات التجزئة في العالم العربي ، وعند ما تقدم المشير عارف بهذا الاقتراح الذي ادهشني ، ذكرته بان موريطانيا جزء لا يتجزأ من المغرب مثلها في ذلك مثل اكراد كردستان .

هذه حقيقة تاريخية ، والمعتقد انها ـ يقول صاحب الجلالة ـ قد غابت عن اذهان بعض الدول العربية الشقيقة التي اعترفت بنواكشوط) .

* * *

شـــروق

« شروق » مجلة نسائية دورية تعنى بشؤون المرأة والفكر ، وقد صدر العدد الثاني من سنتها الاولى حافلا بالمقالات والتراجم والدراسات الادبية والقصائد .

وقد استهلت (شروق) عددها الثاني بندوة دارت حول موضوع تحديد النسل ضمت مجموعة من الشواب والشباب ، وقد شارك في الندوة ايضا الاخوات والاخوان الآنسة ربيعة الادريسي ، خريجة كلية الحقوق ، الاستاذة زهور الازرق ، السيدة حبيبة العلوي والسيدة مليكة المليانى والاستاذ محمد الداودي خريج كلية الاقتصاد بلندن ، محمد الدردابي خريج كلية الحقوق ، السيد محمد القباج خريج كلية الادب بالرباط ، السيد احمد بلقات خريج كلية الحقوق بجامعة محمد الخامس .

قال السيد الداودي : (ان مسألة تحديد النسل في المغرب امنية مرتبطة بعدة عوامل تتوقف على توعية الشعب) .

وقالت السيدة مليكة الملياني : (ان تحديد النسل ضروري بالنسبة للمرأة في ظروفها الحالية) .

وقال السيد احمد بلقات : (ان موضوع تحديد النسل في المغرب ، لن يطرح بنفس الصبغة التي طرح بها في بعض الدول التي تشكو من خطورته ... ان الاقلال من النسل بالنسبة لكل

عائلة مغربية ضروري لكن دون اللجوء الى عمليات الاجهاض ، انما بالاعتماد على الطب ...

وتحدث الاستاذ السيد محمد القباج عن تحديد النسل بان ناخذ المشكل بالاعتبار التربوي ، ونحن لم نصل في المغرب لدرجة التشاؤم لان لنا امكانيات ، وتحديد النسل بالنسبة الينا معناه التربية .

وقالت الآنسة ربيعة الادريسي : ان تحديد النسل في المغرب يجب النظر فيه على اساس انه طريق فقط من الاصلاحات التي يتطلبها البلد .

وتطرقت السيدة زهور الازرق الى المشكل فقالت : (ان تنظيم النسل لا يخالف الشريعة الاسلامية لان ما تدعو اليه هو غير الاجهاض .

ولا بأس بان نعطي وجهة نظر الاسلام في الموضوع ، فكتاب الله في صراحته ووضوحه لا يوافق على هذه البدعة التي ابتدعها ادعياء هذا العصر الكذبة ، وهي بدعة تحديد النسل .

ان الذي يتأمل القرآن يرى انه قد ورد فيه ذكر الذرية على انها نعمة من نعم الله تعالى ، فلقد امتن سبحانه على نبيه زكرياء بولده يحيى فقال سبحانه : (ووهبنا له يحيى) فكان الولد هبة من الله .

وبين ان الذرية من عنده هو وليس شيئا يصنعه الانسان ، كما يصنع الالة والمتاع ، فقال تعالى : (يهب لمن يشاء اناثا ، ويهب لمن يشاء الذكور ، او يزوجهم ذكرانا واناثا ، ويجعل من يشاء عقيما) .

وقد ذم القرآن الكريم الذين يقتلون اولادهم خشية الفقر ووصفهم بالخسران والسفه ، فقال سبحانه : (قد خسر الذين قتلوا اولادهم سفها بغير علم) ، وهذا حكم على اعمالهم .

وسنة النبي (ص) في وضوحها وجلائها تشمر عن ساعدها لتيسر للنسل سبيل الظهور .

وقد تواترت احاديث كثيرة في هذا الباب .

فالنبي يدعو الى اكثار النسل لتكثر بذلك امة التوحيد ، وتزاحم امم الشرك ، وتغلبها على سلطان الارض فتعلو كلمة الله ...

(ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ، ويتبع غير سبيل المومنين نوله ما تولى ، ونصله جهنم وساءت مصيرا) .

وفي الوقت الذي نريد ان نضاعف فيه من انتاج الارض ، وغير الارض لنستقبل الاجيال القادمة ، ندعو الى قطع الطريق على الاجيال القادمة ، واذن ، فلم الارهاق الذي نعانيه ، ولم بناء هذه السدود ؟ واستصلاح الاراضي ، اذا كان ادعياء هذا العصر قد هدونا الى الحل الصحيح ؟ بتحديد النسل ؟ ان الامم الصليبية قد ازعجها كثرة المسلمين وتزايدهم ، وقد الف مستشرق غربي كتابا قال فيه : (ان المستقبل للمسلمين) وعلل ذلك بعلل شتى .

ومن هذه العلل قوله : (وزيادتهم المطردة التي سمح بها دينهم بتصريحه للمسلمين ان يتزوج اكثر من واحدة ، وينجب ذرية اكثر ، فقال : (ان هذه الزيادة مستمرة حتى تصل بهم الى حد يتفوقون فيه على غيرهم) .

* * *

مع الاستاذ السيد عبد الكريم غلاب

(العدد الماضي في الميزان) الذي كان قد كتبه لمجلتنا الاستاذ السيد عبد الكريم غلاب اثار عدة ردود من مختلف الجهات ، وقد توصلنا بعدة نقود سواء في موضوع الدراسات الاسلامية او في ديوان المجلة .

ونحن ارجأنا البعض منها الى اعداد مقبلة لا سيما في موضوع (الديوان) ديوان المجلة نظرا لوفرة المواد التي بين ايدينا ، وقد نشرنا مقالا في غير هذا المكان من هذا العدد للاستاذ السيد محمد الحمداوي .

وقد اتصل بنا السيد عبد القادر القادري فكتب الينا هذه الرسالة التي الح علينا في نشرها ، قال السيد القادري :

(.... فقد قرأت بتعمق كبير ما كتبه الاستاذ السيد عبد الكريم غلاب في العدد الاول من مجلة « دعوة الحق » لسنتها الثامنة ، وقد استوقف نظري بصفة خاصة المآخذ التي اخذها على مجلة « دعوة الحق » وعلى كاتبها الناقد المذكور .

ولا يخفى على هذا الاخير ان مجلة « دعوة الحق » هي مجلة دينية قبل كل شيء ، وتصدرها وزارة دينية موردها من مال المحبسين الذين ارادوا الحفاظ على قيام الشعائر الدينية في هذا البلد المسلم .

والدين كما هو معلوم سواء كان اسلاميا او مسيحيا او يهوديا يامر بالترغيب والترهيب ويخاطب جميع طبقات الشعب لا طبقة دون اخرى باللغة التي يفهمها الجميع ، وعلى هذا فكل ما يجيء في مجلة « دعوة الحق » من مقالات وعظية او خطابية هو في محله ، « فدعوة الحق » ليست مجلة اختصاص .

ومن العجيب — يقول السيد القادري — ان لا ينوه الناقد المذكور بقصيدة الابطال الثلاثة التي نظمها الشاعر المدني الحمراوي في مدح ابطال مسلمين جاهدوا في الله حق جهاده ، وغفل العرب والمسلمون عن ذكر احدهم وهو الشيخ شامل القوقازي بطل الثورة القوقازية .

اما المقالات العادية التي يكتبها كتاب عاديون ، فيكتبها هؤلاء حينما يروا ان الكتاب الكبار لم يطرقوا بعض المواضع التي هي في حاجة الى التعريف بها ، وقديما قالت العرب : يوجد في النهر ما لا يوجد في البحر .

ولولا تشجيع المجلات المصرية « كالهلال » و « المقتطف » و « الرسالة » لكتاب ناشئين لما ظهر طه حسين ، والعقاد ، وتوفيق الحكيم ، وعلي الطنطاوي ، وغيرهم كثير) .

نشاط وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

تدشيـن مسجـد قصبـة بن دبـاب

توجه معالي وزير عموم الاوقاف والشـؤون الاسلامية السيد الحاج احمد بركاش الى مدينـة فاس لتدشين المسجد الذي شيد بقصبة بن دباب .

وقد ادى معاليه صلاة العصر بمحضر العامل ورجال السلطة المحليـة ووجهاء المدينـة ، والقـى – معاليه – فى الحاضرين كلمة توجيهية اشاد فيها بالدور الذي يقوم به المسجد فى تربية المواطنيـن منذ القديم والحديث ، وكان لكلماته الجامعة اثر كبير فى السادة الحاضرين ، وختم هذا الحفل الدينـي بالدعاء والتايد لمولانا المنصور بالله جلالة الحسـن الثانـي حفظـه اللـه .

وقد اغتنم معاليه وجوده بالعاصمة العلميـة لدراسة بعض القضايـا الحبسيـة فى عيـن المكان مع ممثلـي وزارتـه بهذه المدينـة .

انجاز المجموعة الاولى من المساجد باقليم فـاس

– تـوجه معالـي وزيـر عمـوم الاوقـاف والشؤون الاسلامية الى مدينة فاس قبيل شهـر رمضان المعظم حيث التحق منها صحبة عامل الاقليم ونظار الاوقاف الى دائرة تاونات وقرية ابا محمـد لتدشيـن المساجد التي اعيـد بناؤها .

وقد جرت حفلتان لتسليم مفاتيح ثمانية عشـر مسجدا تعتبر المجموعة الاولى من المساجد التـي قررت وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية تشييدها بقبائل احواز فاس وذلك بمحضر رجال السلطـة المحليـة والجماعات المنتخبة ووجهـاء تلـك القبائل .

وقد بلغ مجموع المساجد التي اعيد بناؤها باقليم فاس فى السنوات الاخيرة 66 مسجدا .

ووزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية تعتـزم اعادة بناء 15 مسجدا اخر خلال سنة 1966 ، وبذلك سيصل مجموع المساجد التي اعيد بناؤها واحـدا وثمانين 81 مسجدا .

ولقد صرح مولانا الامام امير المومنيـن ، حامي حوزة الوطن والدين ، جلالة الحسن الثاني نصره الله على ان تكون تلك المساجد جاهزة قبل حلول شهـر رمضان المعظم حتى يتسنى للمواطنيـن ان يعمـروا مساجد الله التي اذن ان ترفع ويذكـر فيه اسمه .

تدشيـن ((مسجد الحسن الثاني)) باصيلا

وفى صبيحة يوم الاربعاء 22 من شهر دسمبـر توجه معالي الوزير الى مدينة اصيلا بامر من صاحب الجلالة حفظه الله لتدشيـن المسجد الذي شيدتـه الوزارة بهذه المدينة ، وحمل هذا المسجد الاسـم الكريم لصاحب الجلالة . .

وقد جرت حفلة دينية حضرها العلماء والنظـار وباشا المدينة والسلطات المحلية وجمهور من الشعـب الاصيلي المومن حيث القى معالي الوزيرخطبة ابان فيها ما للمساجد من اثـر كبيـر فى تربيـة المواطنيـن ، وتهذيبهم ، ختمها بالدعاء لمولانا الامام دام له النصر والتأييـد .

جولة تفقدية : بزرهون ، ومكناس ، والقرويين ، والمرستان ، وفـاس

شكلت الوزارة لجنة تفقدية من المفتش العام للوزارة وبعض المساعدين ، وبمشاركـة النظار والخبـراء الفلاحيين التابعين لها ، للقيـام بجولة تفقدية ، اجريت بنظارات زرهون ومكناس والقرويين، والمرستان وفاس

وقد خلفت هذه الزيارة التفقدية نتائج طيبة .

فلم تعرف وزارة عموم الاوقاف نتائج حصلـت عليهـا مثـل مـا حصلـت عليـه فى سنـة 1965 حيث كـانت نتائـج بيـع المنتوجـات الفلاحية مرتفعة جدا ، كما سيتضح ذلك بالارقـام عندما ينتهي النظار من اجراء السمسرة .

وترجع اسباب هذه الزيادة العظيمة الى الجهود المبذولة من طرف الوزارة فيما يرجع لخدمة اشجار الزيتون من حيث التجفين ، والتسميد ، والتقليم ، والحرث ، كما ان الامطار التي سقطت في شهر سبتمبر الماضي اعانت على الحصول على هذه النتائج .

كما وقعت مراقبة من طرف اللجنة على غابة الكلبتوس بزرهون ، وتبين ان اشجارها في حالة جيدة من حيث النمو .

وتم الوقوف على غابة الزيتون الحديثة العهد بسهب الحدادة لمشاهدة نتائج حرثها بالتراكتور ، وحالة حبوب الزيتون الناضجة في اشجارها ، والجدير بالملاحظة ان هذه الغلة الجديدة بيعت هذه السنة بزيادة مائة في المائة عن السنة الماضية ، كما انها ستبلغ الملايين في السنين المقبلة باذن الله .

وقد تأكد من خلال الجولة التي وقعت بجنان باب القزدير ان الاعشاب المضرة التي كانت منتشرة على هذه الارض تم القضاء عليها ، كما ان اشجار البرتقال ، والمشمش ، المغروسة في السنة الماضية والتي قبلها توجد في حالة جيدة ، وسيقع غرس اشجار اخرى من نوع البرتقال والسفرجل في السنة المقبلة، وكذلك مطرح تربية نقلات البرتقال، وبما ان الارض محتاجة الى الحرث فقد وقع الاتفاق على نقل الجرار الجبي من زرهون الى مكناس .

اما النتائج الاولية التي تحصلت بواسطة السمسرة العلنية فتنحصر فيما ياتي بالنسبة لبيع غلة الزيتون :

النظارات	1964	1965
القرويين	20 000	30 000
المرستان	13 000	40 000
فاس الجديد	2 000	10 000
احواز فاس	42 934	446 558

اما بالنسبة لنتائج الجولة التفقدية التي اجريت بنظارات : القرويين ، المرستان ، احواز فاس ، صفرو ، فقد تم تسليم الاراضي المغروسة من طرف ادارة المياه والغابات بفاس الى كل من نظارات : القرويين ، والمرستان ، وفاس الجديد ، وهكذا فستصبح عمليات الحرث والتجفين والتقليم والتسميد منوطة بالنظارات الانفة الذكر .

وتم الطواف في ناحية صفرو على جميع الاراضي التي غرست مباشرة : ككدية السلطان ، وبوتيران ، وسهب المساكين ، وحفرة بن البرقوق ، وقد لوحظ ان اكثر من تسعين في المائة من الاشجار المغروسة حديثا قد نجحت بفضل العناية الفائقة التي خصصت

وفي يومي الاثنين والثلاثاء 22—23 نوفمبر الماضي من 1965 ، اجريت بوزان جولة تفقدية ، قام بها مفتشون من طرف الوزارة للاطلاع على النشاط الذي يقوم به المسؤولون في تلك الناحية .

وهكذا فقد وقعت مراجعة ملفات المغارسات ومقارنة المعلومات المدرجة فيها بالتي سجلت في دفاتر المداخيل الفلاحية ، وقد وقع العثور على كثير من المغارسات القديمة التي لم تدرج في هذه الدفاتر .

وقد تم الوقوف على ارض سيدي محفوظ قرب سيدي ابي سلهام دائرة سوق الاربعاء مساحتها 32هـ بمحضر رئيس دائرة سوق الاربعاء ، وقائدين ، ورئيس الجماعة القروية ، ووقع الاتفاق على تاخير مشروع التشجير المعد لناحية الغرب نظرا لرغبة السكان المجاورين لهذه الارض في استغلالها لاجل الرعي .

وقد شاهدت اللجنة الانفة الذكر حالة جدران ضريح سيدي ابي سلهام التي بنيت من طرف الجماعة القروية خلافا لما وقع عليه الاتفاق سابقا من كون الاحباس هي التي يناط بها بناء هذه الجدران ، كما تم الوقوف على الارض التي تضرر تشجيرها باشجار الكلبتوس في سنة 1966

اما فيما يرجع لعملية التجزئة التي وقع الاتفاق على انجازها منذ سنتين ، فهي على وشك التطبيق بمؤازرة ارباب السلطة المحلية، وممثلي الجماعة القروية، التي تقترح من جهة اخرى ، بناء فران ، وسوق للخضر

ولقد اصبح توسيع نطاق الغرس المباشر ضروريا لوجود اراضي شاسعة بنيابة ارهونة تبلغ مساحتها من 40 هـ الى 1500هـ .

وقد تأكد شراء سيارة « جيب » لاجل التنقل في هذه القبائل قصد البحث عن الاراضي التي وقع الترامي عليها، واعمال اللازم في اكرائها بعد استرجاعها بواسطة السلطة المحلية او المحاكم ، وستستعمل هذه السيارة ايضا لاجراء سمسرة كراء الاراضي التي لم يرغب فيها احد اثناء الفترة الاولى من عملية السمسرة - وهي كثيرة جدا .

كما ستنفع بواسطتها مراقبة المغارسات الكثيرة التي لم يتمكن الوقوف عليها بحسب امتناع ارباب السيارات العمومية من التنقل في الاراضي الوعرة .

وهكذا فقد تم الاتفاق مع الناظر على اسناد مهمة خبير فلاحي لكل نائب حتى يشعر هذا الاخير بالواجب الملقى على عاتقه في هذا الميدان .

وسيعمل هذا الخبير دوما على تحسين المداخيل الفلاحية ، مقدما في كل ثلاثة اشهر تقارير عن النتائج المحصل عليها ؛ كما ان الناظر من جهته حينما يصبح متوفرا على سيارة « الجيب » يتنقل باستمرار الى القبائل لمراقبة الاعمال المنجزة من طرف النواب .

« مساهمة وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية في موسوعة المغرب العربي »

وجهت وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية منشورا عاما لسائر نظار المملكة تهيب بهم فيه الى مد يد المساعدة لشعبة المغرب في هيئة موسوعة المغرب العربي هذه الموسوعة التي تضم معلومات مدققة عن المدن والقرى المغربية وسكانها وعناصرهم كما تشتمل على بيان القبائل والمعالم الحضارية بما في ذلك المساجد والمدارس والكتاتيب ، وكل ذلك مساهمة من وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية في هذا العمل العلمي الكبير الذي لا تخفى اهميته وجدواه في المغرب العربي .

من نشاط قسم الشؤون الاسلامية

من المعلوم ان مصلحة احياء التراث الاسلامي بوزارة الاوقاف والشون الاسلامية تعكف حاليا على اعداد وتصحيح كتاب التمهيد لحافظ المغرب المحدث ابي عمر يوسف بن عبد البر . والكتاب قد لا توجد منه نسخة مجموعة في مكتبة واحدة . وانما هي اجزاء مفرقة في شتى المكاتب بالعالم . والمصلحة جادة في البحث والتنقيب عساها تتوفر على نسخ تامة ومكررة للمقابلة والتصحيح . وفي نطاق عملها هذا انعقدت جلسة عمل في الوزارة يوم الجمعة 10-12-65 حضرها كل من الاساتذة السيد محمد ابن العباس القباج ، والسيد عبد الكريم بن المدني الحسني والسيد عبد الرحمان الدكالي والسيد البكري محمد والسيد مصطفى العلوي .

وقد تداول الاساتذة الاراء حول الاساليب التي يجب اتباعها في اعداد وتصحيح الكتاب المذكور وطبعه وانتهت الجلسة بنتائج حسنة سوف يظهر اثرها قريبا عند طبع الكتاب بحول الله .

تنظيم حملة الوعظ والارشاد الديني خلال شهر رمضان المعظم

اصدر صاحب الجلالة امره المطاع الى وزارتنا للقيام بحملة وعظ وارشاد ديني خلال شهر رمضان المعظم في سائر انحاء المملكة .

وهكذا فقد نظمت الوازرة حملة مباركة في مختلف مساجد العمالات والاقاليم بمشاركة نظار الاوقاف والقضاة الشرعيين والعلماء والسلطات المحلية .

وهذا جدول يبين توزيع الوعاظ اللازمين والمتجولين في اقاليم المملكة :

جدول توزيع الوعاظ فى اقاليم المملكة

اسم العمالة او الاقليم	عدد الوعاظ الملازمين	عدد الوعاظ المتجولين
عمالة مدينتي الرباط وسلا	14	1
عمالة اقليم القنيطرة	19	1
عمالة مدينة الدار البيضاء	24	1
عمالة اقليم الدار البيضاء	29	1
عمالة اسفي	14	1
عمالة اكادير	29	1
عمالة طرفاية	2	1
عمالة مراكش	29	1
عمالة اقليم ورزازات	9	1
عمالة قصر السوق	24	1
عمالة بني ملال	14	1
عمالة مكناس	19	1
عمالة فاس	24	1
عمالة تازة	14	1
عمالة اقليم وجدة	19	1
عمالة الناضور ومليلية	19	1
عمالة اقليم الحسيمة	19	1
عمالة مدينة طنجة	9	1
عمالة تطوان	31	1

أنباء ثقافية

* بمناسبة زيارة فخامة رئيس الجمهورية التونسية السيد الحبيب بورقيبة للمغرب ، اصدرت وزارة الممثل الشخصي لجلالة الملك عددا خاصا من مجلة « المغرب » عن توأمة فاس والقيروان شارك فيه الاساتذة : عبد الهادي التازي ، الحسن السائح ، عبد السلام ابن سعودة ، الحاج محمد بنونة ، عبد المجيد ابن جلون ، عبد اللطيف احمد خالص ، عبد القادر زمامة ، العربي العمروي ، وقد جاء حافلا بالدراسات المفيدة والابحاث الشيقة في اخراج انيق .

* انعقد بطهران مؤتمر وزراء التربية الوطنية الذي نظمته اليونسكو من 8 الى 19 سبتمبر بدعوة من صاحب الجلالة شاه ايران لبحث محو الامية وضم المؤتمر مندوبي 88 بلدا من بينهم 38 وزيرا للتربية .

وقد مثل المغرب معالي وزير التربية الوطنية مصحوبا بمساعديه الاقربين .

وقد انتخب الاستاذ السيد احمد الاخضر مقررا عاما للمؤتمر .

* في شهر اكتوبر انعقد بتونس وعلى صعيد المغرب العربي ملتقى حول محاربة الامية ، وتربية الكبار وقد مثل المغرب في هذا المؤتمر الاستاذ السيد احمد الاخضر والسيد محمد بن شقرون رئيس قسم الوسائل السمعية والبصرية .

* غادر المغرب متوجها الى بغداد الاستاذ السيد عبد الله كنون لحضور اجتماع المجمع العلمي الذي ينعقد في عاصمة العراق .

* قام الشاعر السوري عمر بهاء الدين الاميري بالقاء مختارات من شعره في مهرجان نظمه اتحاد كتاب المغرب العربي في مقره .

* نظم بالرباط مركز التنسيق بين اللجان الوطنية العربية لليونسكو برئاسة الاستاذ محمد الفاسي رئيس الجامعة المغربية ، ورئيس المجلس التنفيذي لليونسكو ، معرضا هاما للصحافة العربية بمبنى كلية العلوم في غضون الشهر الماضي . وشارك في هذا المعرض الهام جميع البلدان العربية بصحفها ومجلاتها ونشراتها . والى جانب المعرض نظم المركز سلسلة من المحاضرات عن الصحافة العربية .

* بدعوة من اتحاد كتاب المغرب العربي قام الشاعر السوري نزار قباني بزيارة للمغرب للتعرف على نشاطه الفكري . وخلال زيارته له قام بالقاء عدة محاضرات كما انشد بعض قصائده في كبريات المدن المغربية . وقد كان الشاعر محل حفاوة وتكريم من لدن الهيئات الفكرية في المغرب .

* سافر الاستاذ السيد محمد الفاسي ، رئيس الجامعة المغربية الى اميركا ليتسلم الدكتوراه الفخرية من جامعة بريدج بورت في كانتوكين .

* يقدر عدد سكان المغرب حسب ما اوردته المصلحة المركزية للاحصائيات مؤخرا بـ 12 959 000 نسمة في نهاية 1964 .

ويوزع العدد على الشكل التالي :

5 842 300 شخصا وعمرهم اقل من 14 سنة .

6 374 100 شخصا تتراوح اعمارهم ما بين 14 و60 سنة .

412 600 تتجاوز اعمارهم 60 سنة .

وتجدر الاشارة الى ان عدد سكان المغرب قد زاد خلال الفترة ما بين 1960 و1964 نسبة 12٪

* سافر وفد مغربي برئاسة السيد بدر الدين السنوسي نائب كاتب الدولة في الشؤون الادارية للاشتراك في المؤتمر العربي للعلوم الادارية .

* احتفلت جريدة « العمل » التونسية بالذكرى الثالثة والثلاثين .

* حولت الحكومة التونسية كنيسة مسيحية الى متحف اثري بموجب اتفاق بين الفاتكان والدولة التونسية .

* عقد مؤتمر مغربي لمكافحة الامية فى تونس . وقد صادق المؤتمر على تقرير عام يوصي بانشاء لجنة مغربية دائمة مكلفة بتنسيق جهود البلدان الاربع فى مكافحة الامية . وستجتمع هذه اللجنة كل سنة على الاقل فى احدى بلدان المغرب العربي ، وسيتم تعيين سكرتير عام للجنة ومقر لها من طرف الوزراء المعنيين بالامر .

* انشات الحكومة التونسية معهدا للدراسات المسرحية العليا . وسيفتتح ابوابه لجميع الطلاب العرب ومن يتقدم من ابناء البلاد الافريقية . وقد اكتتبت فرنسا بمنحة فى تكوين هذا المعهد ، كما شارك المعهد الدولي للمسرح فى تنظيم واعداد المواد للمحاضرات التي ستشمل الناحيتين النظرية والعملية وستكون الدراسة فى هذا المعهد مجانية ، كما ان المعهد سيقدم للطلاب الطعام والمسكن اثناء الفترة الدراسية التي تبدا من اول مايو وتنتهي فى ءاخر يوليو .

* قريبا يصدر فى تونس كتاب « منهاج البلغاء وسراج الادباء » لابي الحسن حازم القرطاجني المتوفى سنة 684هـ بتونس قام بتحقيقه وتقديمه الدكتور الحبيب بلخوجة . وهو كتاب يشتمل على قوانين الشعر العربي ناقش فيه صاحبه نظريات علماء الشعر والبلاغة فى العربية ، كما اعتمد نص كتاب الشعر لارسطو ينقل فصولا منه عن طريق ترجمات ابن سينا والفارابي وهو يحيل عليها ويوجه بها عمل النقاد . وهو كما يصرح بذلك قد ابتدع فى هذا العلم جوانب تجعله من اجل ذلك يعتبر اهم مرجع واكمل تأليف فى هذا الغرض يدل على ذلك بحث الكتاب وتحليله والتقديم لهوشهادات المتقدمين امثال الزركشي فى كتابه علوم القرءان ، وابن رشيد بما تحدث به فى رحلته ناقلا عن ابن القويع .

* اعلن السيد رئيس وزارة نيجريا الوسطى ان ما يقرب من نصف مليون نيجري قد اعتنقوا الاسلام فى بحر اثنتي عشرة سنة .

* كان عدد سكان افريقيا سنة 1690 يقدر بـ 100 مليون نسمة ، اي ما يعادل نسبة 3ر8٪ من مجموع سكان العالم ، وفى سنة 1800 كان عدد سكانها 90 مليون نسمة ، اي بنسبة 9ر9٪ من مجموع نسبة ثلاث مرات فى حين ان سكان افريقية لم يزيدوا باكثر من 20 ٪ .

* مؤلف ايراني كتب بالايطالية كتابا عن الفيلسوف والطبيب العربي ابن سينا . عنوان الكتاب « فيلسوف عربي لا ينسى » ويقول المؤلف ان نظريات ابن سينا جميعا قد ثبتت صحتها على مر العصور .

* « الاتجاهات الحديثة فى الادب العربي » كتاب جديد تصدره جامعة الدول العربية .

* احتفل المجلس الاعلى للاداب فى القاهرة خلال شهر نوفمبر الماضي بالذكرى المائوية السادسة للمقريزي المؤرخ العربي الكبير .

* كتاب « الايام » لطه حسين ترجم الى الالمانية ، وكان من قبل قد ترجم الى الفرنسية والروسية والاسبانية ، كما كان طه حسين قد قضى العام الماضي فى ايطاليا لكتابة الجزء الثالث من قصة حياته .

* « الادب المعاصر فى كربلاء» تاليف صادق الطعمة يصدر قريبا فى العراق .

* انتهى الشيخ محمد حسن ءال ياسين من جمع وتحقيق ديوان الشاعر العراقي « حبيب بن طالب الكاظمي » المتوفى سنة 1269هـ .

* صدر فى بغداد كتاب « شاعرية ابي المحاسن ـ دراسة ادبية » فى 140 صفحة تاليف خضر عباس الصالحي .

* صدر فى القاهرة كتاب « حياة مطران » للطاهر احمد الطناحي .

* « الترجمة الذاتية فى الادب العربي حتى ءاخر القرن الثامن عشر » عنوان رسالة الماجستير التي التي قدمها يحيى ابراهيم عبد الدايم المعيد فى كلية ءاداب جامعة عين شمس .

* حلاق في القاهرة اسمه فاروق لوقا الف كتابا عنوانه « اضواء على مدارسنا الادبية » قدم له يحيى حقي . الكتاب يناقش نظريات واتجاهات 8 من كبار الادباء .

* اطلقت وزارة الثقافة اسم « يوسف وهبي » على مسرحها بالانفوشي بالاسكندرية تقديرا لجهاده الفني في عالم المسرح .

* الاديب والباحث السوري الدكتور ممدوح حقي اعد للطبع قاموسا للحقوق ، ويشمل المصطلحات التجارية والدبلوماسية . يضم 36 الف جذر ، ويقع في جزاين عربي فرنسي ، وفرنسي عربي في 1500 ص

* « المعلم داود قسطنطين الخوري : تراثه الكامل في الرواية والشعر والادب » كتاب يقع في 502 صفحة من الحجم الكبير صدر اخيرا في دمشق .

* صدر في دير الزور بسورية كتاب « الانية والمواعين في دير الزور » للمحامي عبد القادر عياش في سلسلة مطبوعات مركز الدراسات التاريخية والجغرافية بدير الزور .

* يعد الشاعر السوري علي الزيبق للطبع ديوانه الجديد « الوتر الذبيح » وهو ثالث مجموعة له بعد « ساميا » و « النبعة اليتيمة » .

* قامت الشاعرة البلغارية اليزابيث باغريانا بترجمة ديوان الشاعر السوري احمد سليمان الاحمد تحت عنوان « منتخبات » .

* صدر في دمشق كتاب فوق الحدود والسدود للاديب الدمشقي وجيه جبر ، استعرض فيه تاريخ سوريا الحديث والقضايا القومية . وقد قدم نظرية دستورية تتيح للمراة التمتع بكامل حقوقها في ميادين السياسة والادارة والمجتمع .

* يصدر قريبا في بيروت ديوان شعري جديد لصلاح عبد الصبور .

* احتفل في النبطية بلبنان بذكرى مرور 70 عاما على ولادة المخترع اللبناني حسن كامل الصباح واقيمت بهذه المناسبة حفلة خطابية وافتتح معرض خاص لآثار المخترع الكبير .

* ثلاثة من الكتاب السوفيتيين اعتقلوا اخيرا بسبب عملهم على نشر مؤلفاتهم في الغرب . ويعرف منهم لحد الان الكاتب ابرام تيرتز ، وكاتب آخر يدعى دانييلو ، وكاتب ثالث لم يعرف اسمه .

* يشتغل الاستاذ منير بعلبكي في اعداد قاموسه الانجليزي العربي الجديد الذي سيصدر في العام القادم .

* كتاب خليل حاوي عن « جبران خليل جبران» الذي صدر بالانجليزية ونال عليه الشاعر الدكتوراه من جامعة كمبردج سيعاد طبعه من جديد ، بعد الطلبات التي انهالت عليه من الجامعات الاميركية .

* الدكتور قسطنطين زريق الاستاذ في الجامعة الامريكية ببيروت ، انتخب رئيسا للمنظمة الدولية للجامعات للسنوات الخمس المقبلة 1965 – 1970 وقد جرى هذا الانتخاب بالاجماع في المؤتمر الذي عقدته هذه المنظمة في طوكيو مؤخرا . وسيعمل الدكتور زريق في العام الدراسي المقبل استاذا زائرا في احدى جامعات الولايات المتحدة .

* باشرت لجنة تخليد ذكرى الاميرين شكيب وعادل ارسلان ، باقامة ضريحين لهما في الشويفات بلبنان ، ويجري العمل باشراف المهندس خليل فرنيني .

* وجهت لجنة امين الريحاني التابعة لمجلس المتن الشمالي للثقافة بلبنان ، كتابا الى وزارة البريد والبرق ، تقترح فيه اصدار طابع بريدي يحمل رسم امين الريحاني لمناسبة المهرجانات التي اقيمت احتفاء بذكرى مرور 25 سنة على وفاة فيلسوف الفريكة .

* توفي في بيروت الاستاذ حسيب مروة «37 سنة » وكان يعمل استاذا للتربيةفي كلية بيروت للبنات وفي الجامعة الامريكية . وكان الفقيد في الحقبة الاخيرة قد انصرف عن التدريس للعمل في شؤون التربية بمؤسسة فورد .

* اصدر انور الجندي في القاهرة دراسة جديدة في موسوعة معالم الفكر العربي المعاصر . موضوعها الثقافة العربية المعاصرة في معارك قضاياها مع التغريب والشعوبية » البحث يضم 75 قضية ومعركة ومساجلة .

✻ يصدر قريبا فى بغداد المجلد الثاني من كتاب « اللغة العامية البغدادية » للشيخ جلال الحنفي ويقع فى 450 صفحـة .

✻ يقوم البحاثة العراقي يوسف نسكوني بنشر تحقيق ثلاث رسائل : فى « تمام فصيح اللغة لابن فارس » و « فى حدود النحو » وفى منازل الحروف » وهما للرماني . وسيقدم لهذه الرسائل الدكتور مصطفى جواد .

✻ قدم كامس خميس الى المطبعة مجموعة قصائد الشاعر العراقي الفقيد عبد القادر رشيد الناصري .

✻ يصدر قريبا فى مطبوعات المجمع العلمي العراقي : تاريخ الخط العربي لناجي زين الدين و « تاريخ التفسير لقاسم القيسي » و « الدرهم العراقي لناصر النقشبندي » و « العين للفراهيدي »

✻ كتاب « نهاية الرتبة فى طلب الحسبة لابن بسام » يصدر قريبا فى بغداد من تحقيق حسام السامرائي المعيد بجامعة بغداد وعواد معروف .

✻ الاديب والشاعر العراقي احمد حامد الصراف يجمع شتات ذكرياته عن استاذه الشاعر جميل صدقي الزهاوي لطبعها فى كتاب .

✻ ترجم الدكتور صفاء خلوصي كتاب « تاريخ العرب الادبي » للبروفسور رينوالد نكلسن مع اضافة المصادر التي فات المؤلف ذكرها . وسيصدر الكتاب قريبا فى بغداد فى جزء ضخم .

✻ افتتحت مؤخرا فى الكويت حلقة دراسية للبحوث القانونية والعلوم السياسية للدول العربية بحضور ممثلين عن الكويت ، والجمهورية العربية المتحدة ، والعراق ، والاردن ، ولبنان ، ، والجزائر ، والمغرب .

✻ رفض الكاتب الانكليزي ولسن زيارة « اسرائيل » قائلا : ان صداقة العرب تعني بالنسبة له الشيء الكثير .

✻ ما زال المسرح الالماني يقدم المسرحيات الفرنسية ، فبالاضافة الى تمثيليات المؤلفين الفرنسيين المعروفين من كلاسيكيين ومعاصرين ، ستقدم المانيا فى موسمها الجديد : موليير ، بورماسية ، انوى كلوديل جيرودو ، ايونسكوبيت ، كورناي ، ديرو ، لابيش ، وغيرهم .

✻ منحت الاكاديمية الملكية للعلوم بالسويد جائزة نوبل فى الفيزياء لسنة 1965 لثلاثة من العلماء هم : البرفسور سين اتيروطومناغا من جامعة طوكيو باليابان ، وللاستاذين جوليان سفينجر من جامعة هارفود بالولايات المتحدة ، وريشار فينمان من معهد العلوم بولاية بسادنيا بالولايات المتحدة كذلك ، وسيتم تقسيم الجائزة بين الثلاثة .

✻ عصر فولتير كتاب جديد للمؤرخ العالمي ويل ديورانت صدر مؤخرا فى 898 صفحة . زوجة المؤرخ اريل ساعدت زوجها فى انجاز الكتاب .

✻ اهدى رئيس الجمهورية الايطالية وسام الاستحقاق الايطالي من رتبة كوماندر الى الدكتور جميل جبر ، رئيس تحرير مجلة (الحكمة) فى بيروت . وكان الدكتور جبر قد نال فى العام الماضي وسام جوقة الآداب والفنون من وزارة الثقافة الفرنسية .

✻ اخرج المستشرق البلغاري بوريس نيتكوف دراسة عن الجغرافي المغربي « الادريسي » .

✻ تصدر قريبا فى موسكو مذكرات ستالين ، مختارات من مؤلفات ستالين ، تترقب الدوائر الادبية العالمية باهتمام بالغ هذه المذكرات . وكانت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي قد عقدت اجتماعا سريا . وبعد مناقشات طويلة قررت اللجنة نشر بعض مؤلفات ستالين بالرغم من الحملة القديمة التي قادها خروتشوف لتحطيم اسطورة ستالين .

✻ اعلن العلماء فى موسكو انهم انتهوا من وضع خريطة للقمر عرضها 7 امتار وضعت عليها تفصيلات عديدة عن سطح القمر .

✻ قال البتوموراقيا : ان انتاج ـ شولوخوف الذي حصل على جائزة نوبل للاداب لهذه السنة جزء من التراث الروسي العالمي .

✻ نظمت وزارة الثقافة بالاتحاد السوفيتي مهرجانا ثقافيا بمسرح بولشواي بموسكو ، بمناسبة الذكرى المائوية السابعة لوفاة الشاعر الايطالي دانتي ،

مؤلف الكوميديا الالهية . وقد القيت بهذه المناسبة عدة خطب اكد خلالها الخطباء اثر الشاعر الايطالي الكبير على الشعراء الروس مثل بوشيكي . وحضر هذا المهرجان وزير الثقافة السوفييتي واعضاء اتحاد الكتاب السوفييت . وعدة شخصيات تنتمي الى عالم الفن والثقافة .

* احتفل المسرح الواقعي في تشيكوسلوفاكيا بمرور عشرين سنة على تأسيسه . وقد قدم بهذه المناسبة مسرحية « رجال وفئران » للكاتب الامريكي جون شتاينبك .

* قررت لجنة جائزة نوبل للسلام ، منح جائزتها عن هذه السنة ، للصندوق الخاص بالطوارىء التي يتعرض لها الاطفال في العالم وهو صندوق تابع للامم المتحدة .

* اقيم بمسرح محمد الخامس معرض ثقافي تونسي استمر اسبوعا كاملا بمناسبة زيارة الرئيس التونسي للمغرب . وقد اشتمل هذا المعرض على رسوم زيتية لاشهر الرسامين التونسيين ، وصورا فوتغرافية لتونس بين الامس واليوم ، ومظاهر الصناعة التقليدية .

* 700 مليون امي لايعرفون القراءة والكتابة . والف مليون يعرفون قراءة كلمات قليلة . اعلن هذا مؤتمر اليونسكو لمكافحة الامية الذي انعقد في طهران

* امكن جمع مبلغ 16,000 دولارا من مبيعات تسجيلات « مهرجان البيانو العالمي » وسيخصص هذا المبلغ للانفاق على منهجين تدريبيين يحضرهما ستة عشر طالبا من ابناء اللاجئين الفلسطينيين في مركز من المراكز التدريبية العشرة التي تديرها وكالة الاعمال والاغاثة التابعة للامم المتحدة .

وتتالف هذه التسجيلات من الحان لكل من بيتهوفن ، وشوبان ، وليست ، وموزار ، وشوبير ، وشومان . وتولت الوكالة بيع هذه التسجيلات لصالح اللاجئين في جميع انحاء العالم .

* تدل الاحصاءات على أن عدد الاجهزة التليفونية التي كانت موجودة في العالم خلال عام 1954 لم يزد على 90 مليون جهاز ، في حين يقدر الآن عددها بحوالي الضعف ، اذ تبلغ 170 مليونا والمتوقع في نظر الاحصائيين ان تصل عام 2000 الى 600 مليونا

* تدرس القاهرة الآن مشروعا بانشاء متحف ، يوضع فيه مركب عتيق يرجع تاريخه الى 4,000 سنة ، عثر عليه عند سفح الهرم الاكبر .

ان طريقة عرض هذا المركب التاريخي الفريد في نوعه ، ووسيلة الاحتفاظ به سليما من السوء مشكلة دقيقة يبحثها الخبراء المتخصصون . وهي مشكلة عسيرة تعود صعوبتها الى ان هذا المركب القيم مصنوع من مادة قابلة للعطب والفناء ، فهو مركب خشبي .

واستجابت هيئة اليونسكو لدعوة الحكومة المصرية فاوفدت خبيرين هما بلندرليث ، مدير المركز الدولي لابحاث المحافظة على التراث الثقافي في روما ، وبرنابوبربا ، المشرف على الآثار في صقلية الشرقية .

اما هذا المركب المصري فقد عثر عليه ، عام 1954 في حفرة جنوبي هرم خوفو ، مؤسس الاسرة الرابعة .

وهي حفرة منحوتة في الصخر يحميها سقف وطيد قوامه احجارا من الاسمنت وجد فيها المركب سليما كاملا ، ولكن اجزاءه وجدت مفككة معقودة معا في حزم مربوطة ، واتفق علماء الآثار المصريون عامين كاملين لاعادة تركيب المركب الذي بدا لهم عند ذلك اكبر حجما من الحفرة التي عثر عليه فيها . ولا يدري العلماء حتى الآن اذا ما كان هذا من المراكب المقدسة ؛ وان بدا واضحا انه قد استخدم فعلا في الملاحة النيلية ويدل المظهر الخارجي للمركب ، وتكوينه الداخلي ، وطريقة تشكيل اجزائه المختلفة (سواء جسر المركب او قمرية الملكية الفاخرة) .. يدل كل ذلك على المستوى الفني الرائع الذي بلغه المصريون منذ الاسرة الرابعة .

* تعمل دار النشر الدولية « كرياتزيوني جرافيتشي انترناتزيونالي » في روما على جمع الاقاصيص التي يكتبها اطفال ، من البنين والبنات ، قبل سن الثانية عشرة لتؤلف منها ديوانا عنوانه « اطفال العالم » سوف ينشر بعدة لغات .

* اصدرت سلطات البريد الايرانية طابعا تذكاريا احتفالا بالمؤتمر الدولي لمكافحة الامية الذي انعقد في طهران فى الفترة من 8 الى 19 سبتمبر 1965 .

* توفي في القاهرة الكاتب والشاعر المصري المعروف كامل الشناوي عن 55 سنة

* صدر فى الاتحاد السوفياتي قاموس صغير باسم « القاموس المرجع » ، وهو عبارة عن انسكلوبيديا مصغرة تضم 200 مقال مليئة بالمعلومات عن المؤلفات، والتعليم ، والفن ، والموسيقى ، والاذاعة ، والمسرح ، والتليفزيون فى الاتحاد السوفييتي .

* توفيت مؤخرا المستشرقة السوفييتية كلانديا اود فاسيليماما عن 72 عاما .

وكانت كلانديا قد نشرت عدة مؤلفات علمية من بينها كتاب يحتوي على مجموعة من نماذج الادب العربي الحديث ، كما قامت بتعريف الشعب السوفييتي على الادب العربي الحديث ، وبعض المؤلفين المصريين ، والسوريين ، واللبنانيين .

* رفع الكاتب المصري نجيب محفوظ دعوى على دار للنشر فى لبنان ، لنشرها روايته « الشحاذ » بدون اذنه . وقد سبق لنجيب محفوظ ان رفع دعوى مماثلة على دار لبنانية ، وسحب الدعوى .

* احتفل فى امريكا وبريطانيا وفرنسا ببلوغ الشاعر ازراباوند الثمانين من عمره .

* وجهت حركة مقاومة الميز العنصري فى افريقيا الجنوبية نداء الى جميع المثقفين فى العالم ، راجية المعاضدة ضد زيف الوضع هناك . ووجه زعماء الحركة المعروفون مثل البير لوتولى الحائز على جائزة نوبل للسلام ، والروائي آلان باتون النداء الى جميع المثقفين لكي لايشجعوا الوضع بالسماح لانتاجاتهم ان تتداول فى جنوب افريقيا حيث التعسف والجور .